العدد الرابع ـ السنة الحادية عشرة ـ ذو القعدة 1387 ـ فبراير 68

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

خاص

القرآن وعلومه في عهد الدولة العلوية الشريفة

تصدرها
وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الرابع
السنة الحادية عشرة
ذو القعدة 1387
فبراير 1968
ثمن العدد
درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ــ قسم التحرير ــ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ــ المغرب . الهاتف 10 ــ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ؛ والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ــ 485 ــ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط ــ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط
تليفون 308.10 ــ 327.03 ــ الرباط





لمعالي وزير عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية الأستاذ
الحاج احمد بركاش

يصدر هذا العدد من « دعوة الحق » والشعب المغربي النبيل يحتفل بذكرى عزيزة عليه ، أثيرة لديه ، وهي الذكرى السابعة لتبوىء سيد البلاد ، وعاهلها المفدى عرش اسلافه الامجاد .

وان من بواعث الغبطة والسرور، ومشاعر البهجة والحبور، أن تقترن هذه الذكرى المجيدة ، بذكرى جليلة خالدة ، لها مكانها في التاريخ ، وتقديرها في القلوب ، وعبرتها في الاجيال الماضية والحاضرة وما يستقبل منها ، وهي ذكرى مرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ...

ومساهمة منا في احياء هذه الذكرى العطرة الوطنية الغالية ، وفي ظلال احتفال المغرب والعالم الاسلامي في هذه السنة بذكرى نزول القرآن الكريم ، ولا سيما في هذا البلد الامين الذي أصبح مثابة للناس وأمنا ، ومهوى أفئدة المسلمين ، ومعقد رجاء الاسلام ، فاحتل مكانه من صدر الوجود في عهد العاهل الكريم صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله وأيده ، رأينا أن نصدر هذا العدد الخاص من مجلتنا يكون موضوعه منبعثا من صميم هذه الذكرى ، ومصدره أولئك الاقيال ملوكنا العلويون الذين اعتمدوا في تأثيل ملكهم ، وانهاض شعبهم على الحرص الموصول ، والجد النزيه ، والاخلاص لله ، والعمل على اعلان مجده باعزاز دينه ، وبث فنون العلم والمعرفة والثقافة في ربوع هذه المملكة السعيدة بما يوائم فطرة الله ، ويلائم طبيعة التقدم ، ويساير مقتضى الحياة ... فسطروا بذلك صفحات مشرقة خالدة في تاريخ هذه البلاد العزيزة .

لقد وجه ملوك هذه الدولة العلوية قافلة الحياة في طريقها القاصد ، وجمعوا حولهم القلوب النافرة الشاردة على هوى واحد ، ومهدوا لهذا البلد المسلم ، منذ قيضهم الله ملوكا على هذه الامة ، سبيل الاستقلال الخالص الصريح الذي حفظ الكرامة ، وأعان على النهوض ، فعاشت بلادهم حرة كريمة غنية ، عالية الرأس بين الشعوب والامم في ظلال عرش علوي منيف ، ثابت الاس ، رفيع الذرى ، وطيد الاركان .

ومما يدعو الى الاعتزاز والفخر ، ويبقى مخلدا في جبين الدهر ، ان دولة ملوكنا العلويين غنيت بملوك كانوا غرة المجد ، وهامة الشرف ، وعنوان النجابة والشهامة

والنجدة ، فقد عملوا ، في وقت جمدت فيه القرائح ، وخارت العزائم ، على انشاء حضارة مغربية أصيلة ، ونهضة فكرية رشيدة متحررة من ربقة التقاليد ، واسار العادات بلغت في عهد جلالة الحسن الثاني غايتها المرجوة ، وشاوها البعيد ، وأمدها المرسوم ...

لقد أدى ملوك هذه الدولة المجيدة واجبهم ، وخدموا كتاب الله وسنة رسوله في تفان واخلاص ، وقاموا بما عهد اليهم نحو رسالة المغرب الحضارية والثقافية والاجتماعية والسياسية .

فبعد ما قضى المولى الرشيد على الخصم العنيد ، والعدو الكاشح ، بالعلاج النافع الحاسم الصواب ، وحل النزعات الاقليمية ، ورد على المغرب وحدته ، وجمع كلمته ، واهاب بشوارد الانفس الى سواء السبيل ، اختط الخطة « الرشيدة » لرفع قواعد العمل المثمر ، ونشر العلوم ، وتنوير الافكار ، وبث روح المعرفة بين ابناء شعبه ، ضاربا المثل بنفسه حتى كان يحضر رحمه الله مجالس العلماء ، ويغشى رحاب القرويين ولا سيما مجلس العلامة أبي علي اليوسي تحفيا له ، واكبارا للعلم ، حتى قال فيه هذا الاخير في رسالته للمولى اسماعيل :

« ثم جاء المولى الرشيد بن الرشيد ، فاعلى للعلم مناره ، واوضح نهاره ، وأكرم العلماء اكراما لم يعهد ، وأعطاهم ما لم يعد ، ولا سيما بمدينة فاس ، ففضح من قبله ، واتعب من بعده ، ولو طالت مدته لجاءته علماء كل بلد ... »

وقد وجه المولى اسماعيل الذي امتاز عهده بالمضاء والعدل ، عنايته الى التربية والتوجيه ، وبسط رعايته على كل عمل من أعمال الفكر ، والى كل فن من فنون الثقافة فسلك سبيل أخيه في احياء المعاهد ، واعلاء شان المدارس والمساجد ، وجعل امتحان الطلبة اساسا لنيل اسمى المراتب ، وتبوء أسنى المناصب ، حتى عم العلم ، وانتشرت الثقافة ، وخر الجهل الفاضح في عهده صريعا لليدين وللفم ..!

وكان رحمة الله عليه يامر العلامة المجاطي بختم التفسير في قصره ، ثم يقوم بخدمة العلماء الحضور لذلك ، ويصب الماء على أيديهم اجلالا للعلم ، وتكريما للعلماء

وقد بلغ من تمسكه وخدمته للقرآن والسنة أن جمع ذات يوم جنوده ، واحضر نسخة من صحيح الامام البخاري ، وقال قولته الشهيرة في قوة المومن الملهم المخلص الملتزم :

« انا وانتم عبيد لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشرعه المجموع في هذا الكتاب ، فكل ما أمر به نفعله ، وكل ما نهى عنه نتركه ، وعليه نقاتل » .

وهذا محمد بن عبد الله الذي انفسح مدى نظره ، واتسع افق تفكيره ، فترك اثرا ضخما ، وتاريخا حافلا في ميدان الفكر والثقافة ، فقد كان اماما من أئمة الدين ، وعلما هاديا من اعلام المسلمين ترك تصانيف عديدة ، وكتبا شهيرة تشهد لعقليته العملية الفريدة ، تقرأ بالمشرق والمغرب ، فهو الامام الموهوب لهذه الامة على رأس المائة كما قال في حقه عبد السلام بن الخياط القادري رحمه الله .

وكان للمولى سليمان ولوع بزيارة القرويين ، وتفقد علمائها ، وحضور مجالسهم والايعاز اليهم بالتصنيف والتاليف في مختلف الفنون والعلوم ، وضروب المعرفة والثقافة والفكر .

وقد اهتم المولى عبد الرحمن بشان العلم اهتماما زائدا ، فالزم جميع قواد ايالته ان يؤسس كل واحد منهم بناحيته كتابا لتعليم الاطفال أمور دينهم ، وعد من خالف ذلك أو تهاون به مجرما يعاقب أشد العقاب .

كما ربط ابنه المولى محمد أوثق الصلات بين المشرق والمغرب ، فاوفد بعثته المشهورة الى مصر لتعليم فن الطباعة وعلوم الطب والفلك والجغرافية ، وكان له باع طويل ، وقدم فارعة في العلوم العقلية كالحساب والتوقيت والتنجيم والموسيقى حيث درس تلك العلوم بالنقد والتحرير ، وختم كتاب اقليدس في الهندسة .

وقد راع المولى الحسن الاول رحمه الله حال المسلمين من قناعتهم بالدون ، وقعودهم عن مسايرة التطور والتقدم والتمدن ، فجرد من نفسه عزيمة ماضية ، وهمة شماء ، واضاء دياجير الجهالة بوميض روحه ، وجمع كلمة الامة حول رايه ، ووحد وجهتها وراء خطاه ، وانطلق بها نحو العز المرصود ، والكمال المنشود ، فبعث البعثات الى الخارج ، الى ما وراء البحار وخلف السهوب ، بعد أن رد سهام الاعداء الجارحة التي كانت تنوش البلاد من اطرافها .

فلا غرابة اذا اعتبرنا المولى الحسن الاول رحمه الله ابا للنهضة المغربية الحديثة ...

وقد واصل المولى يوسف رحمه الله رسالة آبائه الكرام ، وأجداده المنعمين ، فاستيقظت في عهده روح الوطنية الصادقة لمحاربة المستعمر الذي شن على البلاد حربا في صراحة ووقاحة ، وانبعثت في ايامه ثورات ملهبة للحماس للقضاء على الواغل المقتحم الكافر الذي سخره الشيطان الرجيم لافساد العقول بمدنيته الملحدة ، وعلمه الشاك .

والحق ان المغرب مسح عن اجفانه في عهده فتور الوسن ، ونفض عن كاهله غبار الكسل والخمول !!

ففي عهد هذا الملك الصالح شيدت مدارس وانشئت مؤسسات ومعاهد ، في مختلف مدن المغرب وقراه على النمط العصري الحديث ، منها مثلا المدرسة اليوسفية بالرباط التي تخرج منها الجم الغفير من شباب المغرب وعيونه وعلمائه كما هو معروف .

وقد امتاز عصر محمد الخامس طيب الله بالرحمة ثراه بالطموح والكفاح ، والجلاد والنضال ، والعمل على حفز الهمم الوانية ، وايقاظ الضمائر الغافية ، واعزاز القومية المغربية ، وتحقيق الاماني الوطنية حتى نالت بلاده في عهده استقلالا مطلقا ناجزا ، وحرية مهذبة الاطراف .

وقد عانى رحمه الله في سبيل ذلك رهقا شديدا ، وكابد برحاء الهموم مع المستعمر الذي اراد للشعب المغربي ان يعيش ، ابد الدهر ، بين الحفر ، متاخرا جاهلا مريضا .. لكن همته القعساء ، وعزيمته الماضية ، أبت عليه الا ان ياخذ بيد شعبه ليسكنه بين السماكين ، فعلمه ، وفتح بصره وبصيرته ، وقاده نحو رابية المجد ، ورحاب السعادة الراضية والامل المطمئن ، فنشطت الحركة الفكرية في أيامه ، وانتعشت النهضة الثقافية في عهده ، وحظيت منه بعناية خاصة ، واهتمام بالغ .

وكان رحمه الله يجعل من كتاب الله مصباحا يستضيء به اذا ادلهمت الخطوب ، واحلولكت الاحداث ، واستبهمت السبل فيجد فيه الدواء الناجع ، والبلسم النافع لمعضلات الحياة .

تلك لمسات خفيفة عن ملوكنا الامجاد أتينا بها للتدليل على أن هذه الدولة قامت برسالتها الثقافية والاجتماعية والحضارية . وسيرى القارىء الكريم في هذا العدد الذي خصصناه لخدمة القرآن وعلومه في عهد هذه الدولة المجيدة تفصيل ما اجملناه ليقف بنفسه على المجهود العلمي الضخم الرائع الذي قام به ملوك هذه الدولة العلوية الشريفة .

وها هو جلالة الحسن الثاني ، حفظه الله ونصره ، وأطال عمره ، وحفظه في صاحب السمو الملكي ولي العهد المحبوب ، وأبنائه البررة الكرام ، وشعبه الوفي ، يتم صرح هذه الحضارة المغربية المتفتحة ويرعى حركة المغرب العصرية الرشيدة ، بيد امينة ، وتبصر واع ، وحكمة الاهية للوصول بهذا البلد الامين الى الكمال المنشود.

احمد بركاش



المملكة المغربية، معقل الوعي الإسلامي الأصيل في عهد الراشدين العظيمين: جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه، ووارث سره جلالة الحسن الثاني أدام الله ملكه.

من اختيار الأستاذ م. ع

« ... وهكذا ستبقى علائقنا مستمرة ، علائق الاب مع ابنائه ، حتى نشعر باننا بينكم ومعكم ، كاعضاء أسرة واحدة ، متحدين متوادين ، وبالعروة الوثقى متمسكين، وبوصية الله بالتعاون عاملين (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون) .

من خطاب جلالة المغفور له محمد الخامس — نور الله ضريحه ، امام الحشود الوافدة على القصر العامر في أعقاب عودة جلالته من المنفى . الرباط — يوم الجمعة 5 جمادى الاولى عـــام 1375 هـ الموافق 30 ديسمبر 1955 .

« ... ولا يغيب عن ذهننا ان سلامة الدولة مرتكزة على السلام والامن والاستقرار وضمان الحقوق وسلامة النفوس . وان ديننا الحنيف قد حض على الطاعة والنظام ضمن العدل ، وحث على السكينة واحترام حريات الافراد ، ورعى مصالح الجماعات. فاتحدوا ولا تتخاذلوا (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) » .

من خطاب جلالة المغفور له محمد الخامس — قدس الله روحه — اثناء زيارته الرسمية للعاصمة الاقتصادية ، الدار البيضـــاء ، يـــوم الاربعاء 25 جمادى الثانية عام 1375 هـ الموافق 8 فبراير 1956 م .

« ... ايها الناس ، ان الله انعم عليكم بدين الاسلام ، فبعروته الوثقى تمسكوا ، واسعدكم بمحمد عليه السلام، فسبيل ملته اسلكوا — اسلكوا سبيل الرسول المستقيم،

وانهجوا نهج دينه القويم ، الذي طالما دعا اليه ، وبذل الجهود في الدلالة عليـه ، مستصغرا في سبيل نشره كل اذية ، وكل سبة فذية . لقد دعا اليه أعواما محتسبا صابرا ، واوضح تعاليمه ليالي وأياما حامدا شاكرا ، تحفه في كل مواقفه العنايـة الالهية ، وتقويه في كل مراحله العزيمة الاخلاصية ، حتى طلع قمر الايمان فابدر ، وخبا الشرك فادبر ، وظهر دين الله وازهر ، وانبلج الحق واشتهر ، وزهق تمويه الباطل ودحر . فتح عينا عمياء ، وأسمع أذنا صماء . أنقذ الناس من جاهلية جهلاء ، وحروب شعواء . وما فتىء صلى الله عليه وسلم ، معطيا مثل الانسانية الكاملة ، والاخلاق الفاضلة ، سائرا نحو هدفه الاسمى ، لا يصده صاد كيفما كانت قوته ، ولا يرده راد كيفما كانت شدته ، الى ان توفي والايمان منتشر الاعلام ، والدين ممتثـل الاحكام ، والحق باسقة فروعه ، والصدق عامرة ربوعه ، والعدل مفتوحة ابوابه . وتركنا في أمة جعلت الاسلام في قلوبها وعقولها وعزائمها ، فاخلصت لله الشهادة ، وعبدته حق العبادة ، وقرأت القرآن تبصرا ، وتلته تدبرا ، واقتطفت ثمار الحكمة من اشجاره ، ورياحين المعرفة من ازهاره ، وجعلته رائدها في المهمات ، ومفزعهـا في الملمات ، ومصباحها في الظلمات ، وصارت في كل حال وحادث ملم على تعاليم المنقذ الاعظم صلى الله عليه وسلم ، شعارها الصدق في الاقوال ، والاخلاص في الاعمال ، والعدل في الاحكام ، وخدمة الصالح العام ، رائدها الدعوة الى ضروب الاصلاح ، وأسباب الفوز والنجاح ، وانقاذ الانسانية من مخالب الغواية العاتية . امة ، ومـا أعظمها من امة ! يتراحم أبناؤها ويتعاطفون ، للضعفاء يساعدون ، ولحال البؤساء يرقون ، عن الضرر يتباعدون ، وعلى الخير يتكتلون ، وأمام الحق يخضعون ، نبذوا اغراضهم ، وبذلوا في المصالح أموالهم ، واتقوا في كل الاحوال ربهم . وان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . »

من خطبة الجمعة التي القيت بجامع حسان يوم الجمعة 26 رجب الاصب عام 1375 هـ الموافق 9 مارس سنة 1956 م .

« ... فاذا كنتم مطالبين بان تكونوا مثالا للاستقامة والنزاهة في وظيفتكم كقضاة ، فانتم مطالبون اكثر من ذلك ، بان تكونوا مثالا في التقوى والورع ، لبقية الناس ، حتى تقوموا بمهمتكم الدينية احسن قيام ، وتكونوا قدوة لغيركم ، واذا كان اتصافكم بوصف القضاء ، يوجب عليكم الاتصاف بالنزاهة والاستقامة ، فانكم في العهد الجديـد ، مطالبون بذلك اكثر من ذي قبل ، لانكم تمثلون الشرع الشريف الذي يتعين علـى القائمين بشؤونه ، ان يكون لهم مركز في الاجتماع ، لا يجاريهم فيه احد ، وذلك بالقيام احسن قيام ، وعلى اكمل وجه بخدمة مصالح الناس » .

من الخطاب الذى القي بمناسبة تسليم ظهائـر شريفة للقضاة الجدد ، يوم الاثنين 6 شعبان عام 1375 هـ الموافق 19 مارس سنة 1956 م .

« .. وليس الناظر الا الحارس الامين على الشيء المحبس ، فاذا كانت الشريعة تطالبه بصيانة متمولاته الخاصة ، فانها بالاحرى تطالبه بصيانة متمولات المحبسين

الذين جعلوها وقفا على مصلحة العباد ، من طلبة العلم ، والقائمين بشعائر الدين ، والمعوزين والفقراء وعابري السبيل » .

من الخطاب الذي القي بمناسبة تسليم الظهائر الى النظار الجدد ، يوم الخميس 16 شعبان عام 1375 هـ الموافق 29 مارس سنة 1956 م .

« ... وعليكم ان تراقبوا الله الذي يتولى سرائركم فيما تصدرونه من احكام ، وان تجعلوا شعاركم أولا واخيرا النزاهة والتبصر والسعي الحثيث لضمان الحقـوق ، وهناك من القضايا ما يجب ان يعالج بكامل الحزم والسرعة . فلا ينبغي حرصا على ضمان الحقوق ، التماطل في شانه ، وبالاخص في تلك القضايا ما له مساس بالارامل والمحاجير ، والمطلقات . واظننا في غنى عن تذكيركم بما قرره كتاب الله وسنة نبيه في حق هؤلاء . وعسى ان تكونوا عند حسن ظننا ، وان نرى وظيفتكم تسترد باعمالكـم مكانتها اللائقة بها » .

من الخطاب الذي القي بمناسبة استقبال عدد من القضاة لمنحهم ظهائر توليتهم . يوم الاربعاء 11 ذي القعدة عام 1375 هـ — الموافق 20 يونيه سنة 1956 م .

« ... يا بني :

لم اعتن بتثقيفك فحسب ، بل كنت ادربك على تعاليم الاسلام ، واحترام اوامره، واقامة شعائره ، كما كنت القنك كيف يجب ان تعامل اباك واخوتك وشعبك والناس اجمعين . وهكذا نشات يا بني للكبير محترما ، وللنظير انيسا وملاطفا ، وعلى الصغير رؤوفا حنونا ، تصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتعين على نوائب الدهر .

يا بني :

اقم الصلاة ، وامر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما اصابك . ان ذلك من عزم الامور » .

من الخطاب الذي القي بمناسبة الذكرى السابعة والعشرين لمولد سمو الامير مولاي الحسن، يوم الاثنين متم ذي القعدة عام 1375 هـ الموافق 9 يوليوز سنة 1956 .

« ... ايها القضاة الشرعيون ، ايها الحكام المفوضون ، لا تجوروا في احكامكم ، واهتموا بقضايا اخوانكم اهتمامكم بانفسكم . انصفوا المظلوم ، وايدوا المهضوم . اجعلوا المتخاصمين لديكم سواء عند التحاكم والقضاء . فلا غرض ولا شهوة ، ولا ميزة ولا رشوة . اسعوا في مراقبة الحكم العدل في سركم ونجواكم ، وارضوا ضمائركم

فى كل احوالكم . واتخذوا فى العدل قيمة لانفسكم ، وزينة لمحاكمكم . اشعروا الخصوم بان الحكم من قانون الله ، ومراقبة الله ، ليس مستمدا من هواكم ، ولا على وفق شهوتكم ، لتطمئن نفوسهم ، وتستقر وتنقاد لما فرض وقرر ، واقدروا مسالة الحكم حق قدرها ، والامانة العظمى التي حملتموها ، واصيخوا لقول الله ، وما اجل قوله (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين) — وفى الحديث القدسي : (يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا) .

من خطبة الجمعة بجامع القرويين بفاس ، يوم الجمعة 4 ذي الحجة عام 1375 هـ — الموافق 13 يوليوز 1956 م .

« ... ولا نظننا فى حاجة الى القول بان الحضارة فى الاسلام ، تقوم على اسس الاخلاق السامية والفضائل الانسانية ، وغيرة المواطنين عليها ، مما لم نفتأ ندعو للتشبث به ، والنضال فى سبيله ، لتيقننا ان ذلك هو اصلح اساس للعمران ، والمدنية المثالية . »

من الخطاب الذي القي بالرباط ، فى حفلة استقبال اعضاء مؤتمر تيوملبلين ، يوم الاربعاء 21 محرم عام 1376 هـ الموافق 29 غشت سنة 1956 م .

« ... أما الهدف الذي لن ندخر جهدا فى العمل على ابلاغ شعبنا اليه ، فهو حياة نيابية بالمعنى الصحيح ، تمكن الشعب من تدبير الشؤون العامة ، فى دائرة ملكية دستورية ، تضمن المساواة والحرية ، والعدل للامة أفرادا وجماعات ، حتى يتم بذلك خلق ديمقراطية مغربية بناءة ، تتفق مع ديننا الحنيف الذي جعل الناس سواسية كاسنان المشط ، ومع القرآن الكريم الذي جعل الامر شورى بين المؤمنين ، وأمر نبيه فقال له : « وشاورهم فى الامر » . وحثنا جميعا على التعاون فى البناء حين قال : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ومع تقاليدنا الوطنية التي لم نعرف من انظمة الحكم غير امامة الاسلام القائمة على العدل ، والمعاملة بالحسنى للجميع » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، بمناسبة افتتاح المجلس الوطني الاستشاري ، يوم الاثنين 8 ربيع الثاني عام 1376 هـ الموافق 12 نونبر سنة 1956 م .

« ... ولكي نعيد للاوقاف الاسلامية مركزها الرئيسي فى التوجيه الروحي ، نظمنا دروس الوعظ والارشاد ، ووجهنا الخطباء الدينين نحو تجديد أساليبهم . وشكلنا هيئة من العلماء ، لاعطاء دروس دينية وفقهية ، فى جميع انحاء المغرب الحاضرة والبادية على السواء . ومن الجهة الاجتماعية ، فقد اهتمت وزارة الاوقاف بتحسين أجور

الموظفين الدينيين تحسينا ملموسا ، وتبنت تبعا لما امرناها به ، عائلات الشهـداء الذين اعدم آباؤهم أو عائلوهم في سبيل القضية المقدسة ، وساهمت في اسعاف طلبة المعاهد الدينيـــة ... » .

من خطاب الذكرى التاسعة والعشرين لجلوس العاهل الكريم على عرش اسلافه المقدسين — الاحد 14 ربيع الثاني عام 1376 هـ — الموافق 18 نوفمبر 1956 م .

« ... فانتم مسؤولون امام الله ، لانكم امناء على الريع الذي يصرف في مختلـف وجوه البر والاحسان ، واعانة طلبة العلم وحفظة القرآن الكريم الذي به اعتزازنـا كمسلمين ، وعليه اعتمادنا في شؤوننا الروحية ، وتصرفاتنا » .

من الخطاب الذي القي بالرباط امام النظـار الجدد ، بمناسبة تسليمهم ظهائر توليتهم ، يوم الاربعاء 16 جمدى الاولـى عـام 1376 هـ — الموافق 19 ديسمبر سنة 1956 م .

« ... ولا تاخذكم في اقامة العدل بين الناس لومة لائم ، أو تحيد بكم عن تطبيق القانون عاطفة نسب ، أو صلة صداقة ، وساووا بين الغني والفقير ، وانصفـوا المظلوم ، — ولا يجرمنكم شنئان قوم على ان لا تعدلوا — فالعدل أساس حضارتنا ، ومبدأ من مبادىء الاسلام السامية » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، على القضاة الشرعيين والحكام الاقليميين ، يوم السبت 3 جمدى الثانية عام 1376 هـ ، الموافـق 5 ينايـر 1957 م .

« ... وان المغرب الذي اختار الاسلام دينا ، والعربية لغة ، قد ساهم في تاريخه المجيد ، بما يجب عليه من العمل على نشر الاسلام ونصرته والمحافظة عليه ، وقاسى طيلة عصوره التاريخية صعوبات كثيرة في سبيل الذود عنه ، كما بذل مجهودات في تبليغ الحضارة العربية الى كثير من الشعوب الافريقية والاوروبية . وشارك دائما في توطيد أواصر الاخوة بين المسلمين ، والمودة مع جميع ذوي النيات الحسنة في كـل الانحـــاء » .

من خطاب الترحاب بعاهل الحجاز . وقد القاه جلالة المغفور له محمد الخامس ، اثناء حفلـة العشاء المقامة على شرف الزائر الكريم ، يوم الاثنين 18 رجب عام 1376 هـ — الموافق 18 فبراير 1957 م .

« ... واياك أن تحيد عن صراط الاسلام القويم ، أو تتبع غير سبيل المؤمنين ، فانه لا عدة في الشدائد كالايمان ، ولا حيلة في المحافل كالتقوى . واعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة . وتقرب منه بالاعمال الصالحة ذراعا ، يتقرب منك توفيقك باعا . واجعل القرآن المصباح الذي تستضيء به اذا ادلهمت الدياجي ، واشتبهت عليك السبل . وليكن لك في رسول الله ، وصالحي الخلفاء اسوة حسنة ، اولئك الذين هدى الله . فبهداهم اقتده . »

من الخطاب الذي القي بالرباط بمناسبة تنصيب صاحب السمو الملكي ، الامير مولاي الحسن وليا لعهد المملكة المغربية ، يوم الثلاثاء 10 ذي الحجة عام 1376 هـ — الموافق 9 يوليوز 1957م

« ... ان حرصنا على الاعتصام بحبل الدين ، والتشبث بمبادئه ، والسير على سننه ، ليعد احد العوامل الاساسية في خروجنا من معركة الحرية ظافرين منتصرين ، بالرغم عما اعترض سبيلنا من عراقل ،و مامنينا به من اهوال وخطوب ، وسيظل عاملا أساسيا في تحقيق اهدافنا المنشودة كاملة تواقة الى حياة راقية كريمة . »

من الكلمة الإفتتاحية التي توج بها جلالة الملك محمد الخامس — نور الله ضريحه — ، أول عدد من مجلة « دعوة الحق » الصادرة في غضون شهر يوليوز 1957 .

« ... درج المغرب على ان يكون مهد التسامح الديني ، مما اتاح لكثير من الديانات ان تنعم في كنفه بالحرية والكرامة ، ومما جعل المسيحية والاسلام تعيشان تحت سمائه جنبا الى جنب ، تعملان في جو من التعاون والود والصفاء ، وتتآزران لتحقيق خير الانسانية وسعادتها عن طريق نشر التعاليم الالهية ، والدعوة الى التشبث بالمبادىء الانسانية السامية » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، بمناسبة اقتبال اعضاء مؤتمر توميلين ، يوم الجمعة 26 محرم عام 1377 هـ — الموافق 23 غشت 1957 .

« ... لنوطد العزم على تنوير بصائرنا ، ولنسدد السير في اصلاح شؤوننا . فان ديننا في حاجة الى بعث واحياء ، واخلاقنا في حاجة الى نمو وارتقاء . وان وطننا ليناديننا الى اتمام تحريره وتوحيده ، وحماية مجده وتخليده . واننا لن نصل لشيء من ذلك ، بغير ما وصل به المؤمنون ، وما تحلى به العاملون المخلصون » .

من خطبة الجمعة التي كان القاها المغفور له محمد الخامس بتطوان ، يوم الجمعة 2 ربيع الاول عام 1377 هـ — الموافق 27 سبتمبر1957م

« ... كانت بلاد التكور من أوائل ما اختطه العرب من البلدان بعد الفتح الاسلامي فى وطننا ، وسجل التاريخ لها من ضروب البطولة فى مقاومة المهاجمين ونشر الدين فى هذه الاصقاع ، ما يستحق كل اعجاب واكبار » .

من الخطاب الذي القي بالحسيمة يوم الاحد 4 ربيع الاول عام 1377 هـ — الموافق 29 سبتمبر 1957 م .

« ... وكان المغرب من اشد البلاد الاسلامية ايمانا بان العدل أساس الملك . ولعل هذا ما جعل تاريخه الثقافي يتسم بطابع الاغراق فى العناية بالميدان القضائي . ومن المعلوم أن اجلة الفقهاء والقضاة المغاربة ساهموا باوفر نصيب فى بناء هيكل التشريع الاسلامي ، وتوسيع دائرة دراساته » .

من الكلمة الافتتاحية التي كان جلالة الملك الراحل محمد الخامس — قدس الله روحه — قد توج بها أول عدد من مجلة « القضاء والقانون » الصادرة فى غضون شهر سبتمبر 1957 .

« ... ولعل اكبر وسيلة لجعل مجتمعنا المغربي سعيدا ، هو اقامة شريعة العدل بين افراده وضمان حقوقهم وصيانة حرياتهم ، وذلك ما يمكن من تحقيق الهدف الاجتماعي الذي جاء به الاسلام ، واقره فى نظام تشريعي شامل لجميع الاسس القانونية التي تكفلت تنظيم علائق الرحمة والمودة والسلام والبر بين الناس ، بعضهم مع بعض ، وصيانة الحقوق الخاصة للافراد ، والحقوق العامة للجماعات . ولا يخفى اننا أمة عريقة فى ميدان الدراسات الفقهية والتشريع ، تملك من ذلك ثروة تغنينا عن اتخاذ قوانين موضوعة لدول أخرى » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، أمام اعضاء لجنة تدوين الشرع الاسلامي ، يوم السبت 24 ربيع الاول 1377 هـ — 19 أكتوبر 1957 م .

« ... ان المغرب ينتمي الى عالم العروبة والاسلام الرحب الفسيح ، وهذا الانتماء يجعله شديد الاهتمام بما يجري فيه ، متتبعا عن كثب تطور أحواله ، مؤيدا قضاياه العادلة فى المنظمات الاممية ، كما انه سيسعى لتقوية ما يصله به من اواصر معنوية ومادية » .

« ... وفى الاسلام ما يكفي ويشفي ، وقد علمنا التاريخ أن أجدادنا المغاربة والمسلمين على العموم ، انما سادوا وشادوا بتمسكهم بالقرآن المبين ، واعتصامهم بحبل الله المتين . ولا سبيل للمسلمين للخروج من الحالة الحاضرة واهتدائهم الى اقوم طريق ، الا بالرجوع الى موارد الاسلام الصافية ينهلون منها ويعلون . وسيجدون فيها الدواء الناجع ، لكثير من أدواء العصر السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فالاسلام دين رحمة وسماحة وعدالة وسلام ، وهو يعطي للرب حقه فى نشاط المرء ، كما يعطي للمجتمع والاسرة والنفس حقوقها .

فالواجب على رعيتنا أن تتمسك بالدين ، وتقطع دابر الشك بحد اليقين ، وأن تلجأ الى الله اذا داهمتها الخطوب ، وتاخذ بسنته الكونية لنيل المرغوب (قل هذه سبيلي أدعو الى الله ، على بصيرة انا ومن اتبعني ، وسبحان الله ، وما أنا من المشركين) .

من الخطاب الذي القي بالرباط بمناسبة الذكرى الثلاثينية لجلوس جلالة الملك محمد الخامس — طيب الله ثراه — على عرش المغرب ، — في يوم الاثنين 24 ربيع الثاني 1377 هـ — 18 نوفمبر 1957 م .

« ... المساجد مهوى أفئدة المسلمين ، وأماكن للتذكير والتفكير في ملكوت الله وعظمة خالقه ، يجتمع فيها المؤمنون لاداء شعائر الدين ، والنظر فيما يعود عليهم بالخير والمصلحة ، اذ في تشبث المسلمين بعقيدتهم وقيمهم الاخلاقية ، ضمان لرابطتهم واتحادهم ، واستمرار لكيانهم في العالم » .

من الخطاب الذي القاه جلالة الملك محمد الخامس — قدس الله روحه — بواشنطن ، اثناء زيارته للمعهد الاسلامي يوم الاثنين 2 جمدى الاولى 1377 هـ — 25 نوفمبر 1957 .

« ... وان في طليعة المبادىء التي يقوم الاسلام على أساس منها ، والتي ترتفع في عيون المغاربة الى مقام التقديس الروحي ، المحافظة على السلم ، وتوطيد العلاقات الودية بين الناس والامم ، واحلال التعاون والمودة في سائر الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، كل التطاحن والتباغض والتطاول » .

من الخطاب الذي القي بسان فرانسيسكو ، في مأدبة العشاء التي أقامتها البلدية ، ومجلس الشؤون الخارجية في كاليفورنيا الشمالية ، لتكريم الملك الراحل محمد الخامس رحمه الله ، يوم الاربعاء 11 جمدى الاولى 1377 هـ — 4 دجنبر 1957 .

« ... واذا كانت دولتنا تمتاز بأنها دولة فتية ، فانها في نفس الوقت تمثل أمة عتيقة متشبثة بعقائدها الدينية ، وقيم الاسلام الروحية ، تلك القيم التي هي أسس حضارة شديدة الحرص على السلم والعدالة والمساواة » .

من الخطاب الذي القي بالمقر الدائم لمنظمة الامم المتحدة ، يوم الاثنين 16 جمدى الاولى 1377 هـ — 9 دجنبر 1957 م .

« ... ولعل ما نالته القرويين من عناية أسلافنا المقدسين بها ، واهتمامهم العظيم بشأنها ، قد ضاعف عناية واهتمام جميع الذين سبقوهم ممن تداولوا الحكم بهذه

البلاد ، اذ كانوا يرونها المنار الذي يشع منه ضياء المعرفة والايمان ، والحض الذي تحتمي به لغة القرآن وآدابها في هذه الديار » .

من الخطاب الذي ألقي بالرباط ، بمناسبة تدشين أول جامعة مغربية عصرية ، يوم السبت 28 جمدى الاولى 1377 هـ — 21 دجنبر 1957 .

وانا لنذكر فضل الاسلام على هذا الشمال الافريقي ، وما كان له من آثار فعالة في تحريره وتوحيده وتمدينه ، وتاهيله للمساهمة في اداء رسالة فاضلة ، تضمن الخير والسعادة للانسانية ، كما نبتهج ببقاء الروح الاسلامية التي رفعت قدر سلفنا حية في نفوس الخلف ، تحفزهم للمحافظة على كيانهم ، والنضال في سبيل الحرية والكرامة » .

من الخطاب الذي ألقي بالرباط بمناسبة الدعاء للجزائر ومؤتمر أكرا ، في يوم الاربعـــاء 26 رمضان 1377 هـ — 16 ابريل 1958 .

« ... انها لمناسبة سعيدة حقا ، اذ يتاح فيها لمملكتنا أن تمتن روابطها مع أكبر دولة اسلامية ، تلك الروابط المبنية على وحدة العقيدة ، والمطامح ، والرغبة الملحة في نصرة مبادىء الدين الاسلامي الحنيف وخدمة قضايا السلم والحرية والعدالة في العالم » .

من الخطاب الذي ألقي بالرباط بمناسبة تقديم السفير الباكستاني أوراق اعتماده الى جلالة المغفور له محمد الخامس — رضوان الله عليه — ، يوم الاربعاء 28 ذي الحجة 1377 — 16 يوليوز 1958 .

« ... ولئن كان الاعتبار باحداث الماضي ، والاتعاظ بسير المتقدمين ، يفيد أن في تثبيت الافئدة ، واجتناب الاخطاء ، فما أجدرنا بأن نستخرج من حادثة الهجرة التي ينسب اليها تاريخ الاسلام ، عبرا تقوي عزائمنا على الثبات والتضحية واخـــلاص النيات ، وما أحرانا أن نتعظ بسير سلفنا الصالح الذي شغفته المثل العليا التي دل عليها الدين الحنيف ، فمضى مسترخصا النفس والنفيس ، ينشرهـــا في الارض ، ويهدي بها الامم ، ويلفت الانظار الى ما يتلألأ فيها من سنا الحرية والعدالة والتسامح والتساوي بين الناس » .

من الخطاب الذي ألقي بمناسبة العام الهجري الجديد يوم السبت فاتح محرم 1378 — 19 يوليوز 1958 .

« ... وما هذا العمل في الواقع الا امتداد لعنايتنا المعهودة بجامعتنا المجيدة ، ومتابعة لجهودنا المبذولة في تحسين أحوالها ، ورفع مستواها . فبعد ادخال النظام ، وتجديد المناهج ، وتهيئة أماكن صالحة للدراسة ، تعين أن نخطو خطوة ثانية لتسيير الحياة المادية على طلبتها ، ولاسيما الافاقيين الذين يؤمونها من داخل المغرب وخارجه

ليستضيئوا بمشاعل الثقافة الاسلامية العربية ، التي اضطلعت بحملها منذ قـرون طويلة في هذا الجزء الغربي من أرض الاسلام والعروبة » .

من الخطاب الذي القي بفاس ، بمناسبة تسليم قصبة الشراردة الى طلبة جامعة القرويين ، يوم الجمعة 18 ربيع الاول 1378 ـــ 3 اكتوبر 1958

« ... ولا جرم أن الذي يسر علينا اعمالنا ، وقرب منا اهدافنا ـــ بعد هدي الله وتوفيقه ـــ هو ذلك الرصيد الخلقي الذي توافرت لنا في اغلى القيم ، وأزكى الشيـم الدينية والوطنية ، والذي عز به الاجداد وسادوا ، وبنوا وشادوا ، وحفظوا كيانهم ووجودهم ، رغم تقلبات الدهر ، ونكبات الايام » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، بمناسبة الذكرى الحادية والثلاثين لجلوس ، جلالة المغفور لـه محمد الخامس ـــ طيب الله ثراه ـــ على عرش اسلافه المبجلين ، يوم الثلاثاء 5 جمدى الاولى 1378 هـ ـــ 18 نوفمبر 1958 .

« ... فاما الذين يعتصمون بالله عند الامتحان ، وتطمئن قلوبهم ساعة العسرة بالايمان ، ويدورون مع الحق حيث دار ، ويخلصون في الاعلان والاسرار ، فقوم يكتب الله الفوز والظهور ، ويهيىء لهم رشدا في كل الامور ، ويجزل حسناتهم ، ويعلـي درجاتهم » .

من الخطاب الذي القي بمسجد آنسيرابي ، زوال يوم الجمعة 19 شعبان الابرك 1378 هـ ـــ 27 فبراير 1959 م .

« ... يجب أن تعتزوا بقوميتكم وتفخروا بها ، وأن يكون سلوككـم مستقيمـا وسيرتكم حسنة ، وأن يعتبر كل واحد منكم نفسه ممثلا للمغرب ، في هـذا البلـد الاسلامي ، بل في افريقيا التي تتطلع الى المغرب باعجاب ، نظرا للروابط العديدة التي تصلها به . ويجب أن تربوا ابناءكم تربية عربية اسلامية ، حتى لا يشعروا انهم غرباء، عندما يرجعون الى المغرب » .

من الخطاب الذي القي بدكار ، أمام ثلة مـن الرعايا المغاربة المستقرين بافريقيا السوداء ، يوم الثلاثاء 22 شعبان 1378 هـ ـــ 23 مارس 1959 م .

« ... كانت الثقافة الاسلامية ، ولا تزال محل اهتمامنا وعنايتنا من اجل تجديدها ونشرها ، تحدونا في ذلك دوافع روحية واخرى وطنية . وان مما يجعل رحلتنا لسوس كاملة الفوائد ، ميمونة الصلة والعائد ، ويتم بها بهجتنا ، تدشيننا اليوم لمعهد رودانة الديني الذي نامل ان يؤدي رسالته التربوية والتعليمية على احسن الوجوه وأكملها »

ان الثقافة الاسلامية جزء من مقوماتنا الوطنية ، ولا يسعنا ونحن نشيد صرح نهضتنا الحديثة ، الا ان نستمسك بها ، ونحافظ عليها ، حفظا لكياننا ، وربطا لحاضرنا بماضينا ، وتيسيرا لاسباب التقدم والتطور التي يجعلها الاسلام في متناول أيدي الذين يعتنقونه ، ويسيرون طبق تعاليمه الخالدة ، على أن هذه المحافظة ، لا تعني — كما قد يتوهمه البعض — الوقوف عند حدود معرفة الاحكام الشرعية ، والقواعد اللغوية ، بل تفسح المجال لاستيعاب العلوم والفنون ، على اختلافها ، لتكون ثقافتنا الاسلامية حينئذ ثقافة كاملة ، نطيق بها المساهمة في اقامة ركن الحضارة الجديدة ، كما ساهم اجدادنا بها في اقامة ركن الحضارة القديمة » .

من الخطاب الذي ألقي بتارودانت ، بمناسبة تدشين المعهد الاسلامي بهذه المدينة ، يوم الجمعة 20 ذي القعدة 1378 هـ — 29 مايو 1959 .

« ... كما لا اكتم ثقتي من نجاحكم ، اذا عملتم كما عمل افراد جيلي ، متآخين متضامنين ، متشبثين بمثل الاسلام العليا ، مخلصين لمبادئه السامية ، مؤثرين للصالح العام . فاحرص يا بني وليحرص معك جيلك على التحلي بتلك الاخلاق ، فانها أجمل زينة في الرخاء ، وامضى عدة في الشدة . وللتاريخ شواهد تؤكد ان الامم الموفقة والافراد الناجحين ، انما أفلحوا بالتزام الاخلاق القويمة ، والسجايا الزكية الكريمة . ولك من الامة المغربية خير مثال : أشرق عليها الاسلام بروحانيته ولا ذكر لها يذكر ، فاتحدت باعتناقه بعد تفرقة ، وقويت بعد ضعف ، واستغنت بعد املاق ، وانتشرت تدعو لمثل الاسلام ، وتمكن لشريعته السمحة » .

من الخطاب الذي كان وجهه جلالة محمد الخامس — قدس الله روحه — الى شعبه الوفي ، من مدينة — بيركوس — في طريقه الى سويسرا بمناسبة الذكرى الثلاثينية لميلاد سمو ولي العهد الامير الجليل مولاي الحسن حفظ الله .
في يوم الخميس 2 محرم عام 1379 هـ — 9 يوليوز 1959 م .

« ... وحرصنا على أن يتم تطور المغرب ، في نطاق المحافظة التامة على شعائر الاسلام وتعاليمه ، والاعتزاز العميق بالقومية المغربية ، بل نحن لا نتصور ان يتطور المغرب خارج هذا النطاق . فالاسلام في جوهره دين يسر سمح ، يكفل الاستقرار والتقدم والسعادة والرفاهية للذين يتبعون هديه ، ويفسح مجال التفكير والبحث والاجتهاد » .

من الخطاب الذي ألقي بالرباط بمناسبة الذكرى الثانية والثلاثين لجلوس الملك المنعم — محمد الخامس — رحمه الله — على عرش أسلافه المقدسين ، يوم الاربعاء 16 جمادى الاولى 1379 هـ — 18 نوفمبر 1959 م .

اخواننا اللاجئيـــــن ،

ابينا الا أن نزوركم في المخيمات التي تقيمون فيها لاجئين مشردين عن مدنكـم وقراكم ، ونقف وسطكم لنخاطبكم لا باعتبارنا ملكا فحسب ، بل باعتبارنا ايضا أخا مسلما عربيا ، يقاسم اخوانه العرب والمسلمين آلامهم وآمالهم ، ويشاطرهم سراءهم وضراءهم ، حيثما كانوا ، وأينما وجدوا » .

من الخطبة التي القيت في مخيم اللاجئين بأريحا يوم الجمعة فاتح شعبان 1379 هـ ـــ 29 يناير 1960 م .

« ... لقد كنا وشعبنا نتوق من زمان الى زيارتكم لنا ، ورؤيتكم في هذا الجزء من الوطن العربي الكبير ، سيرا مع خطتنا الرامية الى توثيق التعارف والتعاون بـين ملوك الاسلام والعروبة ورؤسائها . وقد أججت هذا الشوق الزيارة التي قمنا بها الى بلدكم في أواخر يناير الماضي تلك الزيارة التي قابلتمونا خلالها انتم وشعبكم بكل حفاوة والتي استطعنا بها أن نتعرف على الاشواط التي قطعها بلدكم ـــ تحت قيادتكـم الحكيمة ـــ في سبيل التطور والتقدم ، ونقدر الدور العظيم الذي تقومون به في حماية الاماكن المقدسة التي تهفو اليها قلوب المسلمين في كل مكان » .

من خطاب الترحيب بجلالة الملك حسين ، عاهل المملكة الاردنية الهاشمية ـــ يوم الجمعة 25 شوال 1379 هـ ـــ 22 ابريل 1960 م .

« ... وأملنا أن نرى الشعوب الاسلامية تواصل سيرها الموفق نحو استكمال حريتها ، وتحقيق وحدتها ، وتتعاون على خدمة السلم ، ونشر الحضارة في المعمور » .

من الخطاب الذي القي بالرباط بمناسبة حلـول العام الهجري الجديد ، في يوم السبت 30 ذي الحجة 1379 هـ ـــ 25 يونيه 1960 م .

« ... ولقد اثر عن المغاربة في ماضيهم ـــ ومنذ خروجهم الى الوجود كشعب ذي كيان ممتاز ـــ تشبثهم بالدين الحنيف ، وهيامهم بكل فضيلة ، وتقديسهم للعلم وتقديرهم للعلماء . ويرجع الفضل في اصطباغهم بهذه الصبغة الى جامعة القرويين التي كانت لها آثار بعيدة المدى في تكييف الحياة المغربية وتوجيهها باستمرار ، اذ هي التي مكنت للاسلام في نفوس المغاربة واطلقت السنتهم بالعربية .

فلا عجب ان صارت مهوى الافئدة وقبلة الانظار ، واستأثرت بعطف جميـع الملوك الذين تعاقبوا على حكم المغرب ورعايتهم وتأييدهم ، حتى رجعت مدرسـة شهيرة ذات أنصار ومريدين ، ومذهب معروف ، ومنهج واضح في البحث والتحليل والاجتهاد والافتاء ، تسارع الى التدريس بها علماء الاقطار المغربية والاندلسية ، وتسابق الطلبة من الاقطار الافريقية ومن أوربا لطلب العلوم التي كانت تقرأ بهـا ،

والتي كانت تعدو علوم الشريعة واللغة ، الى العلوم المشاعة بين البشر من فلسفة ومنطق وحساب وهندسة وادب وتاريخ وطب وموسيقى وتنجيم » .

من الخطاب الذي القي بفاس ، بمناسبة ذكرى مرور احد عشر قرنا على تاسيس جامعة القرويين يوم الاثنين 18 ربيع الثاني 1380 هـ — 10 اكتوبر 1960 م .

« ... كما شاهدت السنة الاحتفال بذكرى مرر احد عشر قرنا على تاسيـــس جامعة القرويين ، تلك الجامعة التي كانت اكبر سند للاسلام والعروبة في هذا الجناح الغربي في بلادهما ، والتي ستبقى محل عنايتنا ورعايتنا لتواصل اداء رسالتها التاريخية وخدمة الحضارة الاسلامية ، والثقافة العربية » .

من خطاب الذكرى الثالثة والثلاثين لعيد العرش يوم الجمعة 28 جمدى الاولى 1380 هـ — 18 نوفمبر 1960 م .

« ... وانني اعاهد الله واعاهدكم على أن اضطلع بمسؤولياتي ، وأؤدي واجبي ، طبق مبادىء الاسلام وقيمه السامية ، وتقاليدنا القومية العريقة ، ومقتضيات مصلحة الوطن العليا » .

من اول خطاب وجهه صاحب الجلالة الملـك الحسن الثاني الى شعبه ، اثر توليته الملك — يوم الجمعة 15 رمضان المعظم 1380 هـ — 3 مارس 1961 م .

« ... ابنـــاه ،

... وبنفس هذه الطمانينة ، استعادت ذاكرتي وصاياك الكريمة التي كنت تزودني بها ، وفي طليعتها خطابك الذي وجهته لي ، والذي ضم جوامع كلمك ، ذلك الخطاب الذي سيبقى لي نبراسا يضيء لي السبيل ، الم تتوجه الي في ذلك الخطاب بهذا القول الحكيم :

يا بني لقد اخترت لك من الاسماء الحسن ، لاربط بين حاضر البلاد وماضيهـــا القريب والبعيد . وليكون لك في جدك المولى الحسن خير اسوة واعظم قدوة . فلم تطل على السادســة من عمرك ، حتى قدمتك للمعلم ليلقنك آيات القرآن ، وليغرس في قلبك الطاهر الفتي حب الدين وعزة العروبة والاسلام » .

من الخطاب الذي القي بالرباط بمناسبة الذكرى الاربعينية لوفاة جلالة الملك محمد الخامـس قدس الله روحه — يوم الخميـس 20 شـــوال 1380 هـ — 6 ابريل 1961 م .

« ... ونحن لا نعتبركم أجانب في هذه البلاد ولا غرباء عن أهلها ، بل نعتبركم في بلدكم وبين أهليكم وعشيرتكم ، ولا عجب ، فمنذ فجر التاريخ وبلدانا مرتبطان باوثق

عرى الاخوة والصداقة . وقد زاد تلك الروابط (قوة ومتانة اهتداء شعبيهما بهداية الاسلام ، وقيامهما معا بنشر تعاليمه ، وتوسيع نفوذه داخل القارة الافريقية » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ترحيبا برئيس مالي يوم السبت 18 ذي الحجة 1380 هـ — 3 يونيه 1961 م .

« ... وحيث انكم حماة كتاب الله ، مفسرون لكتاب الله ، ولقوانين الاسلام ، حماة النظام ، لان عليكم أن ترفعوا المظالم بسرعة وبنزاهة وباستقامة حتى لا تفتحوا الابواب للانتقامات الشخصية ، والتصرفات الشخصية ، لذلك فان من واجب الدولة من جهة أخرى ، ان تساعدكم على القيام بمهمتكم ، وذلك باعطائكم المقام اللازم واللائق بكم في المجتمع المغربي » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، لدى زيارة صاحب الجلالة لوزارة العدل ، يوم الاثنين 27 جمدى الاولى عام 1381 هـ — 6 نوفمبر 1961 م.

« ... يجب أن تكون شخصيتنا الاسلامية بارزة في جميع مظاهر النهضة ، وان تاريخ المغرب نفسه ليشهد بأن ازهى عصورنا هي العصور التي كان التمسك بالاسلام فيها من أبرز المميزات ، وان كل حركة تحريرية اصلاحية ، انما قامت على أسس القيم الروحية ، ففي اطار ديننا الاسلامي السمح سنصوغ كل عمل ، وكل اصلاح ، لان المكاسب الدنيوية ليست غاية في حد ذاتها ، لانها مكاسب محدودة . أما المكاسب الروحية ، فليست لها حدود ، لانها هي الوجود ، ولانها هي التي تمكن الفرد من حسن التصرف في مكاسبه الدنيوية ، وتكيف تصرفه بالخصال الحميدة ، حتى لا تكون في المجتمع شحناء ولا بغضاء ولا تفرقة » .

من الخطاب الذي القي بالرباط بمناسبة الذكرى الاولى لجلوس جلالة الحسن الثاني على عرش جدوده المنعمين ، يوم السبت 26 رمضان 1381 هـ — 3 مارس 1962 م .

« ... وفيما يرجع لنشاط وزارة الاوقاف ، أوفدنا وزيرنا فيها الى جل الاقاليم للتعرف على احتياجات المواطنين في الميدان الديني ، وعلى ضوء دراساته ومشاهداته ، أمكن بناء عدد من المساجد ، واصلاح وتجديد مئات اخرى ، كما يوجد تحت الدرس ، مشروع بناء عدد من المساجد في الاحياء العصرية التي تزايد سكانها المسلمون .

وقامت وزارة الاحباس ايضا بتوفير العدد الكافي من الوعاظ والمرشدين ، لتزدهر بهم من جديد ، حلقات الثقافة الاسلامية ، ويكون المسلمون على بينة كاملة من شؤون دينهم وآدابه السامية ، واخلاقه العالية » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، بمناسبة الذكرى الثانية لجلوس حضرة صاحب الجلالة الحسن الثاني ايده الله ، على عرش أسلافه المنعمين ، يوم الاحد 7 شوال 1382 هـ — 3 مارس 1963 .

« ... كان الشعب المغربي دائما تواقا الى الحرية ، محافظا على كرامته . اعتنق عن طواعية واختيار ، لانه رأى في الاسلام الاطار الحقيقي الذي يمكن حريته من الانطلاق ، وان الديانة الاسلامية خليقة بأن تكون أساسا للعمل في البناء ، لانها تنبني على فضيلة جماعية تعود بالنفع على الجميع ، وعلى المجتمع » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، بمناسبة حملة انتخاب مجلس النواب ، يوم الاربعاء 21 ذي الحجة 1382 هـ — 15 مايو 1963 .

« ... ونحن على يقين ان العلم وحده منفصلا عن الايمان والوعي والشعور ، خراب للروح . لذلك ، فان رسالة شباب الجيل الصاعد ، تكمن في التكوين الروحي بعد التكوين الجسمي ، لانها رسالة انسانية قبل كل شيء . وهذا التكوين الروحي ، يتم عن طريق تلقين وتنمية القيم الروحية التي يتميز بها ديننا الحنيف ، ويزخر بها ماضينا الذهبي ، فالاسلام يجعل منا نحن المومنين بنيانا مرصوصا يشد بعضه بعضا».

من الخطاب الذي القي بالمحمدية بمناسبة عيد الشباب ، يوم الثلاثاء 17 صفر الخير 1383 هـ — 9 يوليوز 1963 .

« ... واذا كان المغرب رفض قبل الاسلام جميع الفتوحات المادية والتاثيرات المعنوية ، فانه تقبل الهداية الاسلامية في أول عهودها الزاهرة باطمئنان ورضى ، اذ وجد فيها رائده الروحي ومصدر انطلاقه لحياة العزة والكرامة ، فقد أثبت التاريخ انه حافظ على أصول ذلك الهدي ، واحتضنه وحمله في أمانة الى مختلف الآفاق ، ثم انتصب عليه قيما حفيظا حين ابتلى العالم الاسلامي بالنكسة التي تلافاها لحسن الحظ اجدادنا المقدسون ، في هذا الوطن العزيز » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، بمناسبة انشاء (دار الحديث) يوم الثلاثاء 26 رمضان 1383 هـ — 11 فبراير 1964 م .

« ... وان في تعاليم الاسلام الحنيف ، وهدي القرآن الكريم ، ما يملأ النفوس فضيلة والمحجة نورا ، فلنخلص العمل لربنا ، ولنستمسك بتعاليم ديننا ، وتقاليد قوميتنا ، تتحقق لنا الآمال ، وتثمر الاعمال ، وتحالفنا السعادة في الحال والمآل .
« قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله . وما أنا من المشركين » صدق الله العظيم » .

من الخطاب الذي القي بالدار البيضاء بمناسبة الذكرى الثالثة لجلوس جلالة الحسن الثاني أيده الله ، على عرش اجداده المنعمين ، يوم الثلاثاء 18 شوال 1383 — 3 مارس 1964 م .

« ... لما كان الاسلام دين النصيحة كما قال جدنا عليه افضل الصلاة وأزكى التسليم ، فان خير نصح نسديه بمناسبة عيد الهجرة النبوية هو أن ندعو ابناء أمتنا

الاسلامية في المشارق والمغارب على السواء ، الى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، والى الاقتداء بهدي الرسول ، وسير الائمة الصالحين من بعده ، حتى نعود كما كنا خير أمة اخرجت للناس ، تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله » .

من كلمة جلالة الملك ، بمناسبة عيد الهجرة النبوية ، يوم الاثنين 21 ذي الحجة 1383 هـ — 4 مايو 1964 م .

« ... واننا لنستوحي من هذه الذكرى مبادىء خالدة كان لها الاثر الفعال في تحرير الانسانية ، ورفع مستواها المادي والمعنوي ، واخراجها من الظلمات الى النور . وان مملكتنا القائمة على الحفاظ على هذه المبادىء السمحة ، لتهتدي بهديها في تعايشها الانساني ، مع الطوائف الدينية الاخرى المقيمة بين ظهرنينا » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، جوابا عن تهنئة اعضاء السلك الديبلوماسي بعيد المولد الشريف ، يوم الخميس 13 ربيع الاول هـ — 23 يوليوز 1964 م .

« ... ربوا بنيكم أيها الاخوة في خشية الله قبل كل شيء ، وبذلك يحبونه عندما يبلغون اشدهم . ربوهم في محبة وتقدير الشيوخ ، والعطف على الصغار ، والرفق بالمساكين ، لقنوهم المحبة المطلقة ، تلك المحبة التي ذكرها الله في جميع الاديان والكتب المنزلة . وبهذا فقط سيخلد هذا المسجد وغيره ، ما دام في جميع الاديان هذه الارض . وما دون هذا قال فيه تعالى في القرآن الكريم : « فاما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس ، فيمكث في الارض » .

فما دامت قلوبنا في صفاء ، وافئدتنا متجهة نحو التعاليم الالهية ، وما دمنا متعاضدين ومتضامنين ، فالله معنا ، وسيرشدنا ويساندنا » .

من الكلمة التي ارتجلها جلالة الملك الحسن الثاني — ايده الله — بمناسبة تدشين الجامع الكبير بدكار يوم الجمعة 12 ذي القعدة 1383 هـ — 27 مارس 1964 م .



لعل من نافلة القول ان نؤكد اهتمام اسرة مالكة كالاسرة العلوية المنحدرة من علي بن ابي طالب والمتصلة بالرسول عن طريق فاطمة الزهراء بحفظ القـــرءان وتلاوته ودراسة تفسيره وعلومه ، فذلك ما هو طبيعي وضروري لما يقتضيه واجب امارة المومنيـــن ، ومـا يستوجبه المركز المختار الذي لآل البيت فى المجتمـع الاسلامـــي .

لقد كان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فى جملة الصحابة الكبار الذين حفظوا القرءان وشاركوا فى جمعه وتدوينه وروايته وتلقينه ثم تفسيره وتاويله والسير على منهاجه ، فلا غرابة ان يورث ءال بيته نفس العناية والاهتمام بكتاب الله عز وجل .

والاسرة العلوية فى المغرب قامت على اســـاس الدعوة الى توحيد الدولة المغربية وجمع كلمتها حـول امام من سلالة الرسول ومبايعته على العمل بكتاب الله وسنة رسوله . وقد كانت سجلماسة مقرا للدراسات القرءانية ومفزعا لحفاظ كتاب الله حتى ان العلامـــة اليوسي روى انه عرف فى ايام دراسته بها زهاء الالفين من حفاظ الروايات العشر والسبع ، ولكن جمعهـم انتشر فى عهود الاضطراب وتوزعوا فى مختلف جهـــات المغرب. ولا شك ان اهتمام المولى الرشيد واسماعيل من بعده اعاد سبيل الامن والطمانينة ففسحا بذلك المجال لدراسة القرءان وسائر العلوم الدينية ، وتكفي مراجعة كتب التراجم والفهارس الحديثة لمعرفة العديد مـــن العلماء الذين برزوا فى هذا العصر فى علـوم القـــراءة والتفسير وما اليهما . وقد كان المولى اسماعيل نفسه من حفاظ القرءان يستحضر ءايه فى كثير من احوالـه كما وصفه بذلك سان لوي فى التقرير الذي رفعه لملك فرنسا لويز الرابع عشر فى شانه .

ولا شك ان التقاليد الخاصة بالاسرة بدات تتبلور فى هذا الوقت بالذات ، ومن جملتها العناية بتعليـم افراد الاسرة ذكورا واناثا آيات الكتاب الكريم واحكام الاسلام حتى اصبح من الضروري وجود كتاب داخل القصر للقيام بهذه المهمة واستمر العمل على ذلك حتى عهـــد محمد الخامس حيث اسس المدرسة الملكيـــة العامة ، وقد عرف الامراء مولاي الحسن ومولاي عبد الله والاميرات عهد الكتاب القرءاني حيث كان استاذنا السيد محمد اقصبي يقوم فيه بواجب المحفظ للقرءان والمربي على ءادبـه .

ومن اطرف ما نعلمه فى هذا الموضوع ان جلالـة سيدي محمد بن عبد الله وصل فى بعـض اسفـاره التفقدية الى قبيلة احمر من منطقة آسفي ، وخـرج ذات ليلة متنكرا لتفقد الاحوال فراى جماعات مـــن القراء يرتلون القرءان وراى فقيها مشرفـــا على تلك الجماعات ومربيا لها ومفسرا لبعض الآيات فسره ذلك كثيرا . وفي الغد جاء القواد والاعيان لاستقبالـــه ، وقدم له القراء وكان من بينهم ذلك الفقيه الذي رءاه فأمر بتنحية القائد، وعين ذلك الفقيه مكانه ، وقـال للناس ان اهل القرءان والمعرفة اولـى بالولاية مـــن غيرهم . ثم قرر ان يرسل اولاده ومن يرافقهم عـادة

من ابناء المحاسيب واعيان الجيش والمخزن ، للاقامة هناك سنوات لحفظ القرءان وتجويده ودراسة العلوم الاسلامية ، واستمر الامر على ذلك زمن مولاي سليمان ومولاي عبد الرحمن وسيدي محمد بن عبد الرحمن . وفي هذه القبيلة درس كل من السلطان مولاي الحسن الاول ، ومولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ . وقد رايت فى مذكرات استقاها الاستاذ الحاج احمد بناني من السيد ادريس ولد منو الذي كان طالبا مرافقا لمولاي عبد الحفيظ فى مدة مقامه باحمر تفاصيل عن هذه الدراسة وبرامجها والسلوك والواجب فيها .

وقد عرف مولاي سليمان بمزيد من العناية بالكتاب والسنة واحترام لرجال القراءات ، فاتخذ امام المقرئين فى عصره سيدي ادريس الودغيري خطيبا بمسجد فاس العليا ثم نقله الى المسجد الذي بناه بالرصيف من فاس . ولسيدي ادريس المذكور ثمانية كتب فى علم القراءات ، اما اكرامه لشيخه سيدي محمد ابن عبد السلام الفاسي فقد سجله التاريخ بصفحات من ذهب وكان مولاي سليمان يتردد عليه لمنزله ويلقبه بشيخنا واغدق عليه هدايا كثيرة ، وحينما توفي امر جلالته بتحبيس كتبه على ابنائه ومن تناسل منهم فاذا انقطع العقب ترجع تلك الكتب او بعضها الى خزانة الزاوية الفاسية وبعضها الى خزانة القرويين . واكراما لهذا الشيخ الف مولاي سليمان كتابه عناية اولي المجد بذكرى ءال الفاسي ابن الجد ، وتوجد فى بعض الخزائن الخاصة بمراكش نسخة عليها خط مولاي سليمان وطابعه الكريم ، كما توجد فى خزانة القاضي سيدي الصديق الفاسي نسخة عليها تقاريض العلماء المشيدين بفضل مولاي سليمان واعترافه بجميل استاذه ، ولا غرابة فمن الاثار التي يرددها فقهاء الكتاتيب القرءانية وطالما سمعناها منهم : من علمك حرفا من القرءان فهو سيدك ومولاك .

واشتهر فى زمن مولاي عبد الرحمن الاستاذ الحاج المعطي التادلي الذي قيل عنه انه تخرج عليه خمسمائة حافظ لكتاب الله فاتخذه السلطان المذكور معلما لبناته ، وكان الى جانب ذلك منكبا على نسخ المصحف الكريم وتوزيعه حتى عد من نسخه ما يفوق المائة من المصاحف .

وكان الحسن الاول ذا عناية تامة بدراسة القرءان والحديث ويكفي للدلالة على ذلك هذه التعاليق التي تنشر لاول مرة الحاقا بهذا المقال .

حدث اثناء قراءة الدروس المولوية من كتاب صحيح البخاري ان طلب السيد القاضي احمد ابن سودة عدم سرد حديث الافك قائلا ان الاوفق عدم اشاعته بين العوام ودراسته فعارضه فى ذلك العلامة السلفي سيدي عبد الله السنوسي الذي كان رجع من رحلته الى الشرق ودعا الى الاصلاح الديني فاشتدت المناقشة بين الفقيهين حتى الف ابن سودة رسالة في الرد على السنوسي واكد وجوب عدم قراءة حديث الافك وشنع على الشيخ عبد الله ادعاءه الاجتهاد واستدلاله بالكتاب والحديث وهو ممن لا يتجاوز درجة المقلد . وبعد ما اطلع مولاي الحسن على هذه الرسالة ملا هوامشها تعاليق موضوعية وافق ابن سودة في بعض ما قاله ولكنه اعطى الحق للسنوسي فى قراءة قصة الافك المذكورة فى كتاب الله وختم بهذه الكلمة الرقيقة : (القرءان كله لنا قال حسن) .

وقد وقفت على تجريد لهذه التعاليق انتسخها بعض عدول فاس ، فرايت من المناسب نشرها فى خاتمة هذا المقال حفظا لها من الضياع وابرازا لجانب من جوانب العناية بمسائل الدين وما نص عليه القرءان الكريم . **ولا غرابة اذا راينا الحسن الثاني ينسج على منوال جده فى مشاركة اهل العلم فى الدراسات الدينية وكلنا رجاء ان يضاعف جلالته عنايته بالقرءان ودفع الناس الى حفظه ودراسة علومه الدينية فوقتنا احوج من كل وقت مضى الى المزيد من هذه العناية والرعاية.**

الرباط : علال الفاسي

الملحق

الحمد لله . تجريد ما وقع به مولانا الذي لم تزل فيوض المعارف مقتبسة من بيانه ، ونكت البلاغة طوع بنانه ، ادام الله نوره هاديا ، ومدد بحوره للمستمدين جاريا ، على تقييد الفقيه القاضي السيد احمد ابن سودة المؤلف فى الرد على من انكر عدم سرد الحديث الافك ، عند قراءة الحديث الشريف بالاعتاب الشريفة وهو السيد عبد الله السنوسي ، واذا رد من ذلك بنصوص الائمة انكر التقليد وصار يدعى الاجتهاد بذكره ويقول برايه وذلك فى اواخر رمضان المعظم عام عشرة وثلاثمائة والف بمحروسة فاس ، صانها وحفظها المولى من كل باس .

مواضع التعليق من كلام ابن سودة

1 – فبيان لك من هذا الذي قررناه ان ترك قراءة حديث الافك واجب على الرعية الخ .

2 – قال ابن العربي وقاية العرض بترك سنة واجب في الدين الخ .

3 – وقال (ص) من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه الخ .

4 – وقد ادب سيدنا عمر رضي الله عنه صبيغ ابن عسل التميمي حين ساله عن معنى والمرسلات عرفا .

5 – لا يخوض المكلف فيما لايعنيه مستدلا بقوله تعالى تلك امة قد خلت الخ .

6 – ومنها ما قاله القاضي عياض في الشفاء من انه لا يجوز التحدث باخبار الانبياء الخ .

7 – وقد كره مالك التحدث بمثل ذلك الخ .

8 – قوله عن الدلجي ومن ثم لم يوافقه (اي مالكا) احد على كراهة التحدث الخ لانه لم يجز بذلك عبثا ولا ليترك سدى .

9 – قوله في احتجاج الدلجي مع امره (ص) بلغوا عني ولو آية الخ .

10 – قوله ان ما قاله امامنا مالك في كراهة التحدث هو الذي يقول به جميع الناس الخ .

11 – قوله فما عسى أن تقوله ايها المعترض الخ .

التعليق الملكي

1 – بل حسن لا احسن وخلاف الاولى .

2 – كالافتاء بغير المشهور اذا جرى به العمل او لضرورة .

3 – مسلم .

4 – والله اعلم .

5 – ولعله المقام محرز التفسير

6 – وهو شفائه .

7 – الكراهة سدا الخ

8 – من يومر

9 – ظاهر

10 – خلاف الدلجي

11 – انما يقول بالقرآن والحديث وقول مالك في الاجتهاد وعدم حمل الناس على قوله ، وما اجاب به القعنبي الى غير ذلك وهو ان القرءان والحديث وكلام الائمة بلفظه مسلم صحيح في نفسه ، لا لاحد ما يقول فيه ، الا ان قائله يضعه في غير موضعه ويورده في غير موارده ولم يوجد من يحسن جوابه عن ذلك ورده حتى يوقفه ويفحمه بالحجة عدى صاحب هذه النبذة في البعض . واما غيره فخبطة شعواء منه لفظا ومنه همزا ولمزا . لكونه اي المردود عنه ما يحتج به من قول مالك اذا قلت قال رسول الله الخ واذا قلت لكم انا فاعرضوا الخ انما كلامه في ذلك مع الراسخين لا مع امثالنا فيفحم ، وما يتعرض له بخليل ويعترض عليه به فجوابه خليل فصله وقد قال الخ مبينا لما به الفتوى وبالظهور لابن رشد وبالقول للمازري وبالترجيح لابن يونس الخ وفقهه كله في الكتاب والسنة الا انه لم يذكر الحديث بلفظه كصاحب الرسالة في بعض المواضع ، وليطالب ببيان مسألة في خليل غير موافقة للكتاب والسنة فيفحم . وغايته انه لم ينقل شبه الفلاسفة

12 ـ المتسبب كالمباشر

13 ـ جعل الافك من انواع القيب الخ

14 ـ وقد ذكر في الجامع الصغير الذي ينقل الخبر احد الشاتمين

15 ـ قوله عن الرازي ذكر قصة داوود ويوسف يقتضي اشاعة الفاحشة فوجب ان يكون محرما الخ .

16 ـ استدلالا بقوله تعالى : ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة الخ

17 ـ قوله عن ابي السعود والمراد بشيوعها شيوع خبرها .

18 ـ استدلالا بقوله تعالى : يعظكم الله ان تعودوا لمثله الخ .

19 ـ قوله واي اذاعة اعظم من ان تذكر اي عائشة بذلك الخ .

20 ـ والخوض في حديث الافك من هذا القبيل الخ

21 ـ قوله : بالروضة المنورة لايقراون ولا سورة تبت يدا ابي لهب اعظاما لرسول الله .

ولا زلدفتهم وانما يقول مؤيد الكتاب والسنة ، فحام ولم يرد . ووقع له كالمجدوب لا يربط كلاما بكلام . وقد ختمنا بقول صاحبه خليل والله اعلم ، وان كان مبحوثا معه فيه .

12 ـ مفهوم

13 ـ لعل هذا يورد اذا اقتصر على التحدث وحده لا بحسب التبعية .

14 ـ من نقل كلام الناس الخ وعهدته على قائله .

15 ـ لعله الاقتصار عليهما .

16 ـ المجيون لذلك

17 ـ خبا وغرضا

18 ـ ولعله لمفتريه والله اعلم والا دخل في وعيده كل من الفه ونسخه وسرده ، فتطلق عليه الاعادة .

19 ـ القرءان .

20 ـ خاصا .

21 ـ القرءان كله لنا قال حسن .

انتهى التعليق الملكي بلفظه .

علال



السلطان العالم ابو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل العلوي الحسني ، الى جانب اضطلاعه بشؤون الملك والامامة العظمى ، كان شديد الاهتمام بالعلم والاكباب عليه والتاليف فيه ، ولا سيما علم الحديث وعلم القرءان ، واعتناؤه بالعلماء وتقريبه لهم والمجالس التي كان يعقدها معهم للمذاكرة وقراءة الكتب العلمية المختلفة هو مما تعالم من سيرته واشتهر من برنامج عمله اليومي ، واخص ما كان يعنى به علوم البلاغة والحديث والقراءات ، كما يعلم ذلك من ترجمته وكم حض على تحرير مسائلها والتاليف فيها ، ومما هو معروف ان عدة كتب فى هذه العلوم وضعت بامره وتحقيقا لرغبته ، وانه اجاز عليها بالجوائز السنية ، والمكافآت العظيمة .

وهذا فضلا عن كونه هو نفسه قد عنى بالكتابة فى موضوعات متنوعة من مسائل العلوم المذكورة ، وجود فيها ما شاء ، وتآليفه هذه توجد فى الخزائن العامة والخاصة بكثرة .

ويهمنا فى هذا المقام عنايته بعلم التفسير خاصة، وبعض كتاباته فيه ، لا سيما وهو مما لا ينبه عليه التاريخ ولا يشير اليه كتاب ترجمته الا تضمينا حين يؤكدون على اشتغاله بعلوم القرءان جملة ويعينون منها علم القراءات بالخصوص ، وهو الذي الف فيه باسمه كتب متعددة من رجال مختصين ، وبعضها مطبوع متداول ، فأحببنا ان نلم فى هذه العجالة بشذرات من كتاباته وابحاثه التفسيرية على وجه التعيين ، لتدل على شمول عنايته بعلوم القرءان ؛ للتفسير الذي هو لبها وجوهرها ، ونبرهن ضمن ذلك على غوصه وتعمقه فى الفهم وبعد نظره وتحققه بفنون البلاغة واسرار العربية ؛ الذي جعله يدرك ما خفى على بعض المفسرين ويراجعهم فيما لهم من انظار ، ولكن فى دائرة المسلمات من العقائد والاصول الفقهية وعدم الزيغ عن الصراط المستقيم .

واول ذلك بحث له مع العلامة البيضاوي في تفسيره للآية الكريمة : (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها ، واشفقن منها ، وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا) فان هذا المفسر بعد ما فرغ من عرض ما لغيره فى الآية من ءاراء وهي ان المراد بالامانة الطاعة وبعرضها على من ذكر الفرض والتقدير وليس العرض بالفصل ، او ان المراد بها الطاعة الطبيعية والاختيارية وبالعرض الاستدعاء طلبا للفعل من المختار وارادة لصدوره من غيره ، او ان العرض كان حقيقة بان خلق الله الادراك فى هذه الجمادات ، والامانة على كل حال هي الطاعة .. بعد ذلك اتى براي له خاص عبر عنه بقوله : « ولعل المراد بالامانة العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن ، وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم القابلية والاستعداد ، وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها » . الخ .

فكتب عليه مولاي سليمان موجها الخطاب الى استاذه الشيخ الطيب بن كيران ما نصه :

« الحمد لله . اردت ان اظهر لشيخنا عوض والدنا ، جودة نظرنا ليكون ذلك عنده افضل من حمر النعم ، كما قالها عمر بن الخطاب رضى الله عنه لولده لما استحيى ، فمنعه ذلك من الحياء فى العلم . وهو اعتراض على البيضاوي فى الوجه الذي ابداه ، فانه ينبو عن الفهم السالم ، ومن كان له حسن نظر فيما يعطيه الكلام ويرتب عليه النظام ، فاقول : انما يقال لعاقل مثل زيد اردته لقبول المعالي والمزايا فلم اجده

يصلح لها ، ولا يقال أردت هذه الخشبة لقبول الرياسة والخيرات ، فلم اجدها تصلح لذالك ، ولم يتخرج هذا الكلام الا في معرض الذي لمن لم يكن اهلا لقبول ما رشح له وما اريد منه .

« والتفات آخر : لا يصدر هذا الكلام الا ممن يزيد علمه باختبار الاشياء ، اما الفاطر العالم قيوم السماء فلا يناسب نسبة هذا اليه الا في معرض الذي ممن اراد ان يظهر عيوبه لخلقه ، اما في مثل الجمادات فلا .

« نحب من شيخنا ان يعطي هذا الكلام حقه من نظره السديد وان لا يقرني على خطأ ، سيما وفيه تجاسر على ما لست له بأهل . والله يعصم افهامنا من الزلل ءامين . »

ثم زاد باثره يليه توضيحا لمراده قوله : « لانك لا تقول عرضت فضيلة على الجبل فلم اجد فيه قابلية، وعرضتها على زيد فوجدته ظلوما جهولا ، الا اذا اردت ذم المستغين على ان جلالة الاخطار في الاخطار ، وليس الذي يتوجه على من حمل ما يلقه ، انما الظلم والجهل منصبان على الخاسر ، وجنس الآدمي والجان خير من الجماد ، اعني المومن ، والجماد قابل لما حمله من امانته ، وهي السجود والتسبيح والاذعان ، وما يؤمر به من خسف وزلزال ، ومن لم يخن من الجن ولانس ممدوح له فضيلة تحمل الامانة وعدم الخيانة في امانته كما فسره به الكشاف ، وهل هو ابتكر هذا الوجه وتعب عليه ، لله دره ، أم سبق اليه احدنا » الخ .

وقد اجابه الشيخ الطيب بما نصه :

« الحمد لله حق حمده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وجنده . كان مراد مولانا الامام المؤيد، ابقى الله سعادته ومجادته الى الابد ، مناقشة الزمخشري في عدوله في الاية عن الحقيقة الى المجاز مع ان حملها على ظاهرها ممكن ، وهو المهيع المطروق الوارد عن السلف الذين هم اعلم منا بتاويل كتاب الله ومحامله الحقيقية والمجازية ، وادرى باساليب كلام العرب وما يتبادر من تراكيبهم وما ؛ لا . »

وبعد ان تعرض الشيخ الطيب لراي الزمخشري في الاية الكريمة وهو وجهان كلاهما محمولان على المجاز ، وتعقبه بان حملها هي الحقيقة بخلق الادراك والفهم في الجمادات المذكورة غير مستبعد على قدرة الله عز وجل وانه هو الحمل المنقول عن السلف ، استطرد لذكر الراي الذي ادلى به البيضاوي وهو محل بحث السلطان ، ولكنه انما نقله بالحرف ولم يعقب عليه بشيء ، كأنه لم ير فيه ما راى السلطان .

لكن تقييدا آخر ، نظن انه له بدوانه كتب بعد مراجعة ثانية من السلطان للشيخ الطيب ، وتحليته باوصاف راى انها فوق قدره كما في طالعة هذا التقييد يفصح عن موافقة السلطان في بحثه وتأييده في مناقشته وهو يقول فيه :

« ولنرجع الى المقصود فنقول ما اعترض به سيدنا على البيضاوي وارد عليه اي ورود ، عند تحكيم العبارة ومنعها من الانحراف والشرود ، والجرى على مقتضى اللفظ افرادا وتركيبا ، والاخذ بمعناه سياقا وترتيبا ، وبادنى ادنى من ذلك يناقش العلماء بعضهم بعضا ، ويواخذ النقاد البصراء من يتساهل في التعبير ولا يحترز عما يوهم ما لا يرضى » الخ .

والجدير بالذكر ان العلامة مولاي عبد الهادي العلوي كتب على بحث السلطان غير موافق على ما لفظه: « الحمد لله تأملت ما كتبه مولانا الامير سليمان ومجاراة شيخه سيدي الطيب بن كيران فاتضح لي عدم صحة ردهما على الزمخشري والبيضاوي ، ولم يبين رأيه وانما احال على تفسير العلامة ابي السعود. ومن هنا قلت ان التقييد الثاني ربما كان للشيخ الطيب ايضا لانه هو الذي فيه موافقة السلطان ومجاراته ، فضلا عن كون المصدر الذي انقل عنه ، وهو مجموع من محتويات خزانتنا الكنونية ، اكثره من مؤلفات الشيخ الطيب .

❋ ❋ ❋

وءاية اخرى للسلطان مولاي سليمان فيها بحث ادلى به لشيوخه وعلماء مجلسه ، فوافقوه عليه ، وهي قوله تعالى (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون) فيه تقييد اظنه للشيخ الطيب ايضا ان المفسرين والنحويين ذكروا في معنى (من) هنا وجهين ، البدل اي ولو نشاء لجعلنا بدلكم ملائكة كقوله (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) ، والثاني الابتداء اى ولو نشاء لجعلنا ملائكة ناشئين منكم ولم نجعلهم خلقا مخترعا بلا ابوين .. والخطاب على الوجهين للبشر عموما .

ثم قال التقييد : « وظهير لسيدنا السلطان المؤيد ، والعالم النحرير الاوحد ، مولانا سليمان بن مولانا محمد ، وجه ثالث كتبه بخطه الشريف وتلقيناه منه بالمشافهة وهو ان تكون (من) للبدل ، ولكن الخطاب خاص بالرسل كأنه قيل : ولو نشاء لجعلنا بدلكم ايها الرسل ملائكة يخلفونكم في دعوة البشر الى الله وتلقينهم عنه شرائعه واحكامه كما اقترحه الكفار

غير مرة ، فقال قوم نوح (ولو شاء الله لانزل ملائكة) وقال كفار قريش (لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) الخ ... »

وقد وجه التقييد هذا الراي وايده ، واورد ما ياتي عليه من الاعتراض وابطله ورده ، وجعله من الفهم الذي اوتيه رجل مسلم كما ورد في الحديث ، ومما نشير فيه : كم ترك الاول للاخر ، لان المفسرين لم يهتدوا الى تطريق هذا البحث في الاية ، واقتصروا فقط على الوجهين السابقين ، ثم ختم الكلام فيه بقول ابن مالك المشهور في خطبة تسهيله « واذا كانت العلوم منحا الهية ، ومواهب اختصاصية ، فغير مستبعد ان يدخر لبعض المتاخرين ، ما عسر فهمه على كثير من المتقدمين » .

***

وكتابة ثالثة له قدس الله روحه على ءاية (وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم ، الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه) الاية .. وهي ءاية جديرة بالتامل ، وتثير تساؤلات عديدة ، وعليها مبنى عقيدة النصارى فلننظر كيف حرر السلطان مولاي سليمان مبحث تفسيرها بسياق‌ما كتبه عليها ونصه مستخرجا من شرح شيخه عليه .

« انه اتلم بمراده تعالى ربنا .. (وان الذين اختلفوا فيه) اي عيسى من بني اسرائيل اليهود الذين كذبوه ، والنصارى الذين صدقوه ، وفرقهم في زمان محمد صلى الله عليه وسلم (لفي شك منه) اي لفي شك من امر عيسى ولم يحقق احد من المختلفين فيه ما هو الحق المطابق للواقع ، فكيف يحاجونك بما لا يعلمون صحته ، الا فرقة واحدة ، وهي المعتقدة للحق الصادقة من فرق النصارى . ولهذا لم يختلف قولها مع قول محمد والقرءان ، فلم تقصد بالذكر وليست في شك .

« والحق ما انزل اليك وهو ما تعتقده الفرقة الناجية التي بقيت على الحق ومن تبعها عليه حتى اتى محمد بالحق والنور : انهم (ما قتلوه يقينا) اى من ظن ذلك (بل رفعه الله اليه) وذلك ما اشير اليه في الاية من اختلافهم وشكهم اى بيانه ان فرق النصارى اختلفت في نفسها ومع اليهود ، فقالت اليهود هو كاذب وقد قتلناه وصلبناه ولكن شكهم في ذلك انهم لم يجدوا صاحبهم المنافق الذي القى شبهه عليه ، او المسلم الذي فقدوه من العدد على القول بان شبهه القى على مسلم من اصحابه ، لانهم علموا بالعدد الذي في البيت الذي كان فيه عيسى ، فلذلك قالوا ان قتلنا المسيح عيسى فأين صاحبنا وان قتلنا صاحبنا فأين عيسى ، او قالوا البدن بدن صاحبنا والوجه وجه عيسى ، فلذلك كانوا في شك من فعلهم .

« واما النصارى المارقون عن الحق فقالت فرقة هو الله والاله لا يقتل ، وقالت فرقة قتل وصلب فلذلك زادها بعض لليهود ، وقالت فرقة هو ابن الله ، وقالت فرقة هو اله ثالث ، وهي التي تقول بالتثليث ، وقد وجدهم قسطنطين الملك على فرق تزيد على الثلاثين ، وكلها ضلال ، الا القليل المعتقدين ما في القرءان الذي يقوم على الحق ، حتى اتى محمد صلى الله عليه وسلم ، ففروا منه بدينهم ، وقد جمعهم قسطنطين المذكور على ما هم عليه الان ، او جلهم وسماها الامانة الكبرى، وهي في الحقيقة الخيانةالكبرى»

هذا تفسيره رحمه الله ورضي عنه للاية ، ويظهر عند تامله ما فيه من تحقيق للنظر وتنزيل على الواقع واستدلال بتاريخ النصرانية نفسها ، مما يجعلنا نكبر همة هذا السلطان الذي لم تشغله مهام الملك وتدبير شؤون الرعية عن المشاركة مع اعيان علماء عصره في خدمة القرءان وعلومه بهذا الجهد الكبير والنفس العالي .

وقد اتبع شيخه هذا التقييد بشرح واف ، ابرز فيه نكته ومضامينه واستشهد عليها بالنصوص والنقول المؤيدة من قواعد الاصول والمنطق والبلاغة واقوال ائمة التفسير والمحدثين فاتى في ذلك بالعجب العجاب .

ومرة اخرى نظن ان شيخه هذا هو العلامة الطيب بن كيران لان نفسه ظاهر في كتابته ، وان لم يسم نفسه ولم يسمه كاتب الشرح وهو احد العلماء الاثبات .

ومن هنا نظن ايضا ان التفسير الذي كتبه الشيخ الطيب بن كيران والذي يبدا من سورة النساء ويقف في سورة غافر ، لا يبعد بل يترجح ان يكون بامر من مولاي سليمان ونتيجة لهذه المداولات التي كانت تجري بينهما في معاني الايات الكريمة ومراميها والتعليق على ما نحاه المفسرون السابقون في ذلك .

رحم الله السلطان العالم مولاي سليمان الذي كان مفخرة للسلاطين وعزا للعلماء .

طنجة : عبد الله كنون

الدولة العلوية

والقرآن الكريم

للعميد الرحالي الفاروقي

القرءان اصل اصيل فى حفظ المدنية الاسلامية وشرح مقوماتها ، وسبب قائم للهداية البشرية وتطور حياتها ، ودلالة على النظر فى الكائنات والاتصال بطبيعتها .

ومنذ نزل الكتاب العزيز الى الارض والناس يستضيئون بتوجيهاته ونظرياته ، ويستنبطون اصول الحياة وفنون المعرفة على اختلاف المدارك والمذاهب والغايات من جوامع كلماته ، وما زالوا يستخرجون على الاقتباس من وحيه فى كل عصر من العصور ، وما انفكت التفاسير تتشاكل فى وضعها مع احوال الزمان وظروف المكان ، وما برحت عناية العالم مصروفة الى ترجمته والوقوف على ثروته ، فاستفاد منه العنصر الاجنبي فى نهضته وحضارته ، وفى ابحاثه الفضائية ، وفى محاولاته الصعود الى المناطق السماوية ، ومع ذلك ففي كتاب الله عز وجل من الاسرار والعجائب ما لا ينبئك عنه الا تقدم الزمان ، وتطور فكر الانسان ، كما يقول الله تعالى : (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) . والمسلمون عندما اخذوا بهذا الكتاب فى حياتهم ، واستجابوا له استجابة حية كانوا راجحين فى كل ميزان ، وسابقين الى كل ميدان ، وكانت عزتهم وكرامتهم بمكان ، وصدق قول الله العظيم : (وانه لذكر لك ولقومك) .

ولقد نالت منه الامة المغربية اوفر الحظوظ والانصبة حتى قالوا ان القرءان نزل بلغة العرب ففسره العجم ، وحفظه المغاربة ، ونطق به المصريون ، ولقد شيد ملوك الدولة العلوية الذين اشتهروا بحماية الكتاب العزيز ، والذين كتب لهم شرف الدفاع عن استقلال الوطن العزيز عندما طرا عليه طارىء الاستعمار عملا بقوله تعالى : (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) ، شيدوا اركان صرح المعرفة بهذا البلد الامين ورفعوا منارها ومعالمها وشجعوا هيئتها ومطالبها فكان ادنى ما يعامل به قارىء القرءان او الضارب فى العلم بأدنى سهم ، ان يعظم ويحترم وان لا يعامل بما تعامل به الرعية من اداء المغارم المالية ، والكلف المخزنية والحركات السلطانية ، وكانوا اعزهم الله يرون من فخر الدولة ومجدها تشييد المدارس القرءانية والعلمية على نفقاتهم الشخصية حتى كان الناس يقلدونهم فى هذا الباب والناس دائما على دين ملوكهم ، فيقيمون المدارس والمكاتب القرءانية والزوايا والرباطات والمساجد على نفقاتهم الخاصة مساهمة فى الخير واحتسابا بالله تعالى ، والدولة تعاملهم ازاء ذلك بالاجلال والتوقير، وتسندهم بالظهائر والتنويه والتقدير ، ولم يكن من المعروف فى المغرب ان يتعاطى المرء العلم وهو غير عارف بالقرءان ولا جامع له .

ففي عهد جد العلويين المولى اسماعيل بن الشريف توافرت المكاتب وتكاثرت المدارس فى المدن والقرى والمداشر ، يتعلم الناس فيها القراءة ، والكتابة ، والحساب ، ويحفظون القرءان الكريم ، وكانت العادة جارية فى هذا العهد وفيما بعد بالاحتفال بحفظة

القرءان على وجه خاص حيث كان الاباء برعاية الدولة يشترون افراسا كهدية لاولادهم عندما يجمعون القرءان العظيم ، ويتناول حافظ القرءان المصحف بيده ، ويركب الفرس يتفسح عليه ، وسائر صبيان المكتب تذهب للتفسح مع المحتفل به ، وتاتي اليهم اجواق الطرب فترافقهم وتشنف اسماعهم ، وبعد ذلك من اراد قراءة العلم توجه اليه ، وعندما يتمم دروسه يقع امتحانه واختياره ، ومن فاز باغلبية الاصوات على اقرانه عين قاضيا او مفتيا ، فانظر كيف كانت عنايتهم بالقرءان الكريم ، وكيف كان الاحتفال به خاصا ، وكيف كان التشجيع للعلم في هذا العهد الشريف .

وفي عهد المولى سليمان بن محمد كانت المناداة بحفظ القرءان وتعلم العلم ، والتشجيع على تعاطيه ونشره بالدراسة والتاليف وخاصة علوم القرءان والحديث بالغا اقصاه وقائما على المراعاة والملاحظة ، وتقديم المنح والجوائز ، وترتيب الارزاق والفوائد للمستحقين وللفائقين ، فمن ذلك انه رحمه الله امر ابا العلاء ادريس بن عبد الله البدراوي وكان من الشخصيات اللامعة في القراءات ، والتجويد ، والرسم، ان يؤلف تاليفا في مقرا نافع ابن عبد الرحمان المدني فالف كتابه التوضيح والبيان في مقرا نافع بن عبد الرحمان ، قال في اوله جعلته سلما لتعليم الصبيان ، وتذكرة للماهرين بالقرءان ، وامره كذلك بتاليف في همزة الوصل وفي الالف التي تزاد في الخط الى غير ذلك من الخدمات القرءانية التي ارشد اليها رحمه الله ، وفي عهده نبغ المفسر الكبير الشيخ الطيب بنكيران الذي وضع تفسيرا جليلا من سورة النساء الى حم غافر .

واما في عهد المولى محمد بن عبد الله فقد استوت النهضة وازدهرت الحركة باعتماد القرءان والحديث ، وبتوجيه التعليم وتنظيمه ، وتحديد برامجه ومناهجه ، ثم بوضع منشور للتعليم اذاعه على العموم والخصوص ، وتوعد كل من خرج عن احكامه، وراقب التعليم مراقبة تمنع من التصرف المطلق في ابوابه ، وهذا المنشور الذي له ذكرى في التاريخ يعد من معالمه الحسنى ومكارمه المثلى رحمه الله تعالى ؛ ومن اجله انتشرت كتب السلف ، وكثر الاطلاع على آثار الاقدمين ، واستقام النظر في الكتاب والسنة ، وكانت الصلات تاتي في كل عيد الى القراء والعلماء والطلبة والمؤذنين وائمة المساجد ، تشجيعا لهم على ممارسة اعمالهم بنشاط واخلاص ، والاعمال بالنيات ولكل امرء ما نوى .

وفي عهد المولى الحسن الاول كان اعتبار حملة القرءان الكريم متناهيا ، وكان تشجيعهم بالمكافآت السخية ، والاعطيات الوافرة التي كانت ترصد لكل من جمع القرءان الكريم ، واما الذين يحفظونه برواية الشيخ حمزة فكانوا علاوة على تمتعهم بالنوال والعطاء يتحررون من كل خدمة ونائبة ، وهذا الالتفات الخاص الذي توج عهد الحسن الاول رحمه الله ، ادى الى انتشار الكتاتيب القرءانية وازدياد عددها في اكثر الاقاليم المغربية ، فكنت تجد اكثر الدوار او المدشر في البادية من حفاظ القرءان الكريم حتى انهم اصبحوا يكونون مجتمعا خاصا في هذا الاطار ، ويوجد في بعض قبائل السراغنة دوار من اولاد صبيح ينيف سكانه على مائتي خيمة ما زال الى الان يطلق عليه دوار حمزة لانهم كانوا يحذقون رواية الشيخ حمزة .

واما حفيداه جلالة محمد الخامس رحمه الله وجلالة الحسن الثاني حفظه الله فقد كانا معلمين للخير ، ومقتصين هذا الاثر بحكمة ، ومجليين عن نفسهما في ذلك المضمار ، واهتما على الخصوص زيادة على ما تحليا به من العطف والحدب ، على اهل العلم والادب ، وعلى ما امتعا به شعبهما من نهوض عام وازدهار شامل — بتنظيم التعليم عموما وبتنظيم مدارس القرءان والحديث خصوصا ، والكتاب والسنة هما المصدران الاساسيان للدين الاسلامي . وهما يؤبؤ كل عز ومنهاة كل مجد .

وقد زادت عناية امير المومنين الحسن الثاني فعين قراء اجلة واساتذة اكفاء في دار الحديث المؤسسة برباط الفتح ، وفي مدارس القرءان التي توجد بنواحي الجنوب والشمال ، مما جعل الالسنة رطبة بالدعاء لجلالته والثناء على همته ، واكتظت هذه المدارس التي تتلى فيها آيات القرءان الكريم بالطلاب الذين ياتون اليها من كل صوب وحدب بغية جمع القرءان ، وتجويده ، والالمام باحكامه ، وبرواياته السبع والعشر، وجعل اعزه الله وزارة الشؤون الاسلامية تشرف على هذا العمل البار وتراقب سيره ونشاطه ، وتؤدي الرواتب والمنح للقائمين عليها من شيوخ القرءات ، وللمستفيدين من نوابغ الطلبة والطالبات .

ومن معالم عنايته اعزه الله بالكتاب والسنة ، امره الشريف بطبع المصحف الكريم طبعا فائقا من جهة الخط والرسم ، ومن جهة الزخرفة والفن ،

فجاء آية في الصنع ، وغاية في الابداع ، وتفضل جلالته بالحضور في الدروس التفسيرية والحديثية التي اصبحت تقام عادة في رمضان من كل سنة بأمره واشرافه ، جعل الله هذه الاعمال خالصة لوجهه الكريم ، ودائمة بدوامه الى يوم الدين والجزاء .

وهاك ما يشهد للموضوع من الانتاج الواقع في ظل الدولة العلوية مما بلغ اليه علمنا القاصر وهو قليل من كثير :

1) اللمعة في قراءة السبعة لابي زيد الفاسي المتوفى سنة 1096 .

2) حاشية على الجعبري شارح حرز الاماني للمنجرة المتوفى سنة 1179 .

3) حاشية ايضا على الجعبري لابن عبد السلام الفاسي المتوفى سنة 1214 .

4) التوضيح والبيان في مقرا نافع بن عبد الرحمان لابي العلاء البدراوي المتوفى سنة 1257 .

5) الاتحاف فيما يتعلق بالقاف للقاضي ابن خضراء المتوفى سنة 1322 .

6) تاليف في تجويد القرءان لمحمد بن يوسف الجناني المتوفى سنة 1302 .

7) منظومة في وقف القرءان في قراءة البدور السبعة للسيد ابراهيم انجار المتوفى سنة 1253 .

8) تاليف في قراءة نافع وبيان رواته للسيد محمد بن عمر التنملي المتوفى سنة 1299 .

9) تفسير البحر المديد في تفسير القرءان المجيد لابن عجيبة المتوفى سنة 1224 .

10) حاشية على تفسير ابي السعود والبيضاوي للسيد حمدون بن الحاج

11) تفسير القرءان لابي الحسن الدمناتي المتوفى سنة 1306 .

12) تفسير من سورة النساء إلى حم غافر للشيخ الطيب بنكيران المتوفى سنة 1227 .

ومما يلاحظ ان ظاهرة حفظ القرءان مجردا عن معرفة معانيه لم تكن في عهد السلف الصالح – ولذلك كان بعض الشيوخ لا يسمح بمحو الالواح حتى يقراها التلميذ بكل ما يتعلق بها من رسم ، وتجويد ، واعراب وتفسير .

ذلك ان القصد من قراءة القرءان هو معرفة معانيه الدينية ، والدنيوية ، والكونية ، ولا يتهيأ ذلك الا بدراسة اللغة العربية وادبها ، فانهما المفتاح لادراك ما في القرءان الكريم من المعاني المختلفة ، فينبغي ادخال العلوم اللسانية الى المدارس القرآنية ويكون ذلك بنظام يضمن النجاح ويحقق الفرض المنشود ، ولا يتأتى هذا الا بتعدد الاساتذة في المكتب القرءاني ليقوم كل واحد باختصاصه من تلك العلوم الادبية ، ونحن لا ننكر فضيلة تلاوة القرءان ولكن ليست التلاوة هي المقصود من القرءان والله الموفق .

مراكش – الرحالي الفاروق

أئمة الدولة العلوية، وتمسكهم بكتاب الله وبيان رسوله الكريم، صلى الله عليه وسلم

للدكتور تقي الدين الهلالي

قال الله تعالى في سورة الاحزاب (33 انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا)

اخرج ابن ابي شيبة واحمد ومسلم وابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم عن عائشة قالت : خرج النبي (ص) غداة ، وعليه مرط مرحل من شعر اسود ، فجاء الحسن والحسين فادخلهما معه ، ثم جاءت فاطمة فادخلها معه ، ثم جاء علي فادخله معه ، ثم قال (انما يريد الله) الاية .

ومن حديث واثلة بن الاسقع عند ابن ابي شيبة واحمد وغيرهما ان النبي (ص) قال بعد ما غطاهم بالكساء : اللهم هؤلاء اهل بيتي ، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

فاهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هم احق الناس بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ونشر الويتهما بين الناس ، وتبوأوا اعلى المراتب في الدين والدنيا ، فهم سرج هداية ، ومصابيح الظلام ، كلما عظمت الخطوب ، واظلمت الآفاق بدا منهم سراج ، ولاح منهم بدر كشف الظلام ، وجدد الدين ، وقاد السفينة الى شاطىء السلامة والكرامة .

ومن هؤلاء المصابيح الغر الميامين الامام الحجة المجاهد ، الورع ، التقي الزكي ابو الاشبال علي بن الحسن بن محمد بن الحسن بن قاسم رضوان الله عليهم ، وكان هذا الامام على قدر محبته للعلم ، والجهاد في سبيل الله ، وحج بيت الله الحرام ، والاجتهاد في عبادة الله يكره الامارة .

وقد طلب منه اعيان غرناطة من العلماء والصالحين ، واهل الحل والعقد ان يبايعوه بامارة المومنين لما راوا من بلائه الحسن في جهاد اعداء الاسلام ، وكشف الغمة عن المسلمين بالجيش الذي جاء به من المغرب من المجاهدين ، فأبى عليهم كل الاباء ، ورعا وزهدا ، وتباعدا عن زهرة الحياة الدنيا اقتداء بجده محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الله اخرج من ذريته رجال صدق ، وائمة هدى، ومصابيح ظلام انقذوا المغرب من نكبته واقالوه من عثرته ، واقاموا من كبوته ، فقطعوا رؤوس الفتن ، وجمعوا شمل الشعب ، وطهروا الثغور من رجس الاعداء المغتصبين ، ولم يتم لهم ذلك الا لتمسكهم بكتاب الله ، واهتدائهم بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سنة الله في الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، فان العز والنصر ، والسعادة والسيادة في بلادنا هذه ، وفي سائر البلدان التي فتحها الله على المسلمين ، كل ذلك منوط باعلاء كلمة الله ، واتباع كتاب الله ، وهذه مواقف شريفة وقفها هؤلاء الائمة امام كتاب الله وسنة رسوله تدل على مبلغ تمسكهم بهما .

الموقف الاول للامام المولى محمد بن الشريف لما بايع اهل سجلماسة واهل درعة ونواحيهما المولى محمد بن الشريف ، وكانت هاتان الناحيتان وغيرهما من الاراضي الجنوبية من بلاد السوس تحت حكم ابي حسون ، فتقلص ظله منهما ، واجمع اهاليهما على نصرة هذا الامير الجليل توجه الناحية الشرقية من

المغرب ، فبايعته الاحلاف ، وهم العمارنة ، وعرب بني معقل ، فسار بهم الى بني (يزناسن) ، فاستولى عليها، ثم انثنى الى وجدة ، وكان اهلها حزبين : حزب يدعو الى الاتراك ، وحزب ثابت على ولائه لدولته المغربية فاعتز المواطنون الصادقون بمقدم الامير العلوي محمد ابن الشريف ، فانقضوا على الحزب الداعي الى الاتراك، فخضدوا شوكتهم ، وفتكوا بهم وردوهم الى الصراط المستقيم ، وصفت وجدة ونواحيها للامير محمد بن الشريف ، ولم يبق فيها معارض ولا مشاغب ، وكان ذلك سنة 1060 هـ .

ثم استولى المولى محمد بن الشريف على ندرومة وتلمسان ، وما يحيط بهما من القبائل ، وتصدت له الحامية التركية التي كانت في تلمسان ، فهزمها شر هزيمة ، وقدم عليه محمود شيخ حميان مع أعيان قبيلته وبايعه ، ودخل في طاعته ، ووصل الى عين ماضي والاغواط في الناحية الشرقية من الجزائر ، واستبشرت قبائل العرب كلها في الجزائر بهذا الامير الميمون ، وكانوا كارهين لحكم الاتراك المغيرين المغتصبين ، ثم رجع الامير سالما غانما منصورا مظفرا، بعد ما شب نيران الحرب في الايالة التركية ، ونسفها نسفا ، وضرب اولها بآخرها ، كما يقول الناصري في الاستقصا ، وخاف الاتراك على انفسهم ، فاستعملوا العقل والحكمة وبعثوا وفدا مؤلفا من عالمين وقائدين تركيين ، فوصلوا الى سجلماسة ، ومعهم كتاب من رئيسهم عثمان باشا يناشد المولى محمد بن الشريف الله ، ويحاكموه الى شريعة جده محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول له : نحن مسلمون ، فبما ذا تستحلون قتالنا ؟

فتأثر الامير محمد بهذه الرسالة ، واخذته القشعريرة وقال : والله ما أوقعنا في هذه المحذورة الا شياطين العرب ، انتصروا بنا على اعدائهم ، واوقعونا في معصية الله ، وابلغناهم غرضهم ، فلا حول ولا قوة الا بالله .

واني اعاهد الله تعالى لا اعرض بعد هذا اليوم لبلادكم ولا لرعيتكم بسوء ، واني اعطيكم ذمة الله ، وذمة رسوله ، لا قطعت وادي تافنا الى ناحيتكم الا فيما يرضى الله ورسوله . وكتب لهم بذلك عهدا الى صاحب الجزائر ، وقنع بما فتح الله عليه من سجلماسة ودرعة وأعمالهما . انتهى .

وهذا الموقف الذي وقفه هذا الامير الجليل يدل على خوف من الله ، واتهام للنفس ، ووقوف عند حدود الشريعة ، وتعظيم لحرماتها ، مع انه لو اراد ان يتاول ، لكان له في التاويل مجال .

فقد اخرج الطبراني بسند صحيح من حديث عبد الله بن السائب قال : قال رسول الله (ص) : قدموا قريشا ولا تقدموها ، وتعلموا من قريش ولا تعلموها ، ولولا ان تبطر قريش لاخبرتها ما لخيارها عند الله تعالى . وله شاهد عند البزار من حديث علي ابن ابي طالب ، وآخر عند ابن عدي من حديث ابي هريرة .

وفي الصحيح عن النبي (ص) انه قال : الخلافة في قريش ما اقاموا الدين ، لا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه في النار .

فكان للامير محمد بن الشريف الحق في ان يتقبل بيعة من بايعه من تلك القبائل ، وان يتقدم ويحكم ، فهو أحق بالحكم من أولئك الاتراك ، ولكن كما تقدم من شيعة آل البيت النبوي الكريم التواضع لله ولاخوانهم المسلمين اقتداء برسول الله (ص) الذي امره الله تعالى بقوله في سورة الشعراء (142 ـ 215 وأنذر عشيرتك الاقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) .

امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يحذر اقرب الناس اليه ان يتكلموا على قرابتهم منه ولا يعملوا عملا صالحا ينجيهم من عذاب الله ، فحذرهم النبي (ص) امتثالا لامر ربه فقال عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين : يا فاطمة بنت محمد ، سليني من مالي ما شئت ، وانقذي نفسك من النار ، لا أغني عنك من الله شيئا ، ثم قال : يا صفية عمة رسول الله انقذي نفسك من النار ، لا أغني عنك من الله شيئا ، يا عباس عم رسول الله انقذ نفسك من النار لا اغني عنك من الله شيئا ، يا بني هاشم ، لا يأتيني الناس بالاعمال وتأتوني بالدنيا فتقولون : يا محمد ، فاقول : لا ، قد بلغت . أو كما قال عليه الصلاة والسلام . فمثل هذه النصوص هي التي جعلت الامير محمد بن الشريف يعتذر للاتراك ويعاهدهم كما تقدم .

فان قيل : ما علاقة هذا الخبر التاريخي بالموضوع الذي انت متصد للكتابة فيه ، وهو تمسك أئمة الدولة العلوية بكتاب الله وبيان رسوله صلى الله عليه وسلم، فالجواب :

ان معنى التمسك بكتاب الله ، هو اتباع الكتاب العزيز ، والوقوف عند حدود الله ، والتحاكم الى كتاب

الله عند النزاع ، والرضا بحكمه والتسليم له ، كما قال تعالى في سورة النور (51 ـ 52 انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ، ليحكم بينهم أن يقولوا : سمعنا واطعنا ، واولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله ، ويخش الله ويتقه ، فاولئك هم الفائزون) وهذا عين ما فعله الامير محمد بن الشريف رحمه الله .

واخرج البخاري عن ابن عباس قال : قدم عيينة ابن حصن بن حذيفة ، فنزل على ابن اخيه الحر بن قيس ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر ، وكان القراء اصحاب مجالس عمر ومشاورته ، كهولا كانوا او شبابا، فقال عيينة لابن اخيه : يا ابن اخي ، لك وجه عند هذا الامير ، فاستاذن لي عليه ، قال : ساستاذن لك عليه ، قال ابن عباس : فاستاذن الحر لعيينة فاذن له عمر ، فلما دخل عليه قال : هي يا ابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتى هم أن يوقع به ، فقال له الحر : يا امير المؤمنين ان الله تعالى قال لنبيه : (7 : 199 خذ العفو وامر بالعرف ، واعرض عن الجاهلين) وان هذا من الجاهلين ، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافا عند كتاب الله عز وجل . وهكذا كان ائمة الدولة العلوية الذين سادوا وقادوا هذه الامة خير قيادة .

الموقف الثاني موقف مؤسس الدولة العلوية الشريفة ، ومرسي قواعدها الامام رشيد ابن الشريف رحمه الله . كان هذا الامام متمسكا بكتاب الله وسنة رسوله ، محبا لاهل العلم بهما ، ومقربا لهم ، يكرمهم غاية الاكرام ، ويستشيرهم في جميع الامور ، ويصدر عن ارشادهم ونصيحتهم ، ولذلك مكن الله له في الارض وقطع بسيفه رؤوس الفتنة ، وجمع به الشمل بعد الشتات ، واصلح به الامور بعد الفساد .

وقال صاحب الاستقصا نقلا عن صاحب النزهة ج 7 ص 35 ما نصه : وكان دخوله حضرة فاس القديمة صبيحة يوم الاثنين اوائل ذي الحجة سنة 1076 وبويع بها يومه ذلك ، ولما تمت له البيعة افاض المال على علمائها ، وغمرهم بجزيل العطاء ، وبسط على اهلها جناح الشفقة والرحمة ، واظهر احياء السنة ونصر الشريعة ، فحل من قلوبهم بالمكان الارفع ، وتمكنت محبته من قلوب الخاصة والعامة . اه

ثم قال في ص 44 نقلا عن صاحب (نشر المثاني) من اخبار الامام رشيد بن الشريف : وكان يحضر مجلس الشيخ اليوسي بالقرويين . اه وهذه لعمري منقبة فخيمة ، ومأثرة جسيمة ، فرحم الله تلك الهمم التي كانت تعرف للعلم حقه وتقدره قدره . ثم قال : وفي ايامه كثر العلم ، واعتز اهله ، وظهرت عليهم ابهته ، وكانت ايامه ايام سكون ودعة ، ورخاء عظيم . اه

الثالث مواقف الامام المؤيد بالله ركن الدولة وصاحب القوة والعزم والصولة مولاي اسماعيل بن الشريف رحمه الله

منها ما حكاه صاحب الاستقصا ص 58 قال : واما سبب تسمية هذا الجيش (بعبيد البخاري) فان المولى اسماعيل رحمه الله لما جمعهم ، وظفر بمراده بعصبيتهم ، واستغنى بهم عن الانتصار بالقبائل بعضهم على بعض ، حمد الله تعالى واثنى عليه ، وجمع اعيانهم، واحضر نسخة من صحيح البخاري وقال لهم : (انا وانتم عبيد لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعه المجموع في هذا الكتاب ، فكل ما امر به نفعله ، وكل ما نهى عنه نتركه ، وعليه نقاتل) .

فعاهدوه على ذلك، وامر بالاحتفاظ بتلك النسخة وامرهم أن يحملوها حال ركوبهم ويقدموها أمام حروبهم ، وما زال الامر على ذلك الى هذا العهد ، فلهذا قيل لهم (عبيد البخاري) اه .

لما قرات هذا الموقف اصابتني قشعريرة ، ولم ادر كيف اقدر هذا الامام ، وكيف اثني عليه ، فان كلمته هذه لها مغزى عظيم يهز القلوب ، ويسمو بأرواح المؤمنة الى اعلى مستوى من الايمان واليقين ، هذا الملك العظيم الذي كانت تحسب له ملوك اوربا الف حساب ، وكان يخاطبهم في مراسلاته معهم بأخشن خطاب ، وكان الامير شكيب رحمه الله معجبا اشد الاعجاب بمواقفه مع ملوك اوربا ، لا يمل من عرضها وتكرارها على كل زائر وكل مجالس ، وكانت تأخذه اريحية عظيمة حين يقرا علينا سيرة هذا الامام العلوي العظيم .

استمع اليه يقول لعبيده وجنده : (انا وانتم عبيد لسنة رسول الله (ص) وشرعه المجموع في هذا الكتاب ، فكل ما امر به نفعله ، وكل ما نهى عنه نتركه ، وعليه نقاتل ،) هذا الكلام الحكيم البليغ يشبه كلام اصحاب رسول الله (ص) ، وكلام التابعين والائمة المجتهدين في دقته واحكامه .

فقد دل هذا الكلام على ستة اركان ، كل دولة حافظت عليها لابد ان تبلغ اوج السعادة والعزة والنصر

المبين ، ولا يستغرب بعد الاطلاع على هذا ما اعطى الله اسماعيل من العزة والنصر ، والقاء الرعب فى قلوب اعدائه داخل المملكة وخارجها ، وكون راياته فى حروبه الكثيرة مقرونة بالنصر والظفر .

الركن الاول (انا وانتم عبيد لسنة رسول الله (ص) وشرعه) استوى المالك والمملوك ، ومن خدم سنة رسول الله (ص) وسوى فيها نفسه بعبيده وجنده فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، وما احسن قول البوصيري اذا فسر بهذا المعنى :

ومن تكن برسول الله نصرته
تلقه الاسد في آجامها تجم

يعني من يكن خادما لسنة رسول الله بصدق واخلاص تنفتح له جميع الابواب ، وتنهزم امامه جميع الاعداء ، وترتجف قلوب الاسد ، وهي فى عرائنها هيبة له واجلالا .

الركن الثاني ان شرع رسول الله (ص) مجموع فى صحيح البخاري ، اذن فلا بد من العمل به ، كما سيصرح به هذا الامام تصريحا ينقشع معه كل ظلام ، اما سرد الفاظه سردا مجردا عن الدراسة والعلم والعمل ، فان ذلك لا يغني فتيلا .

الركن الثالث (كل ما امر به نفعله) يعني بلا قيد ولا شرط ، لانه معصوم (من يطع الرسول فقد اطاع الله) (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) .

الركن الرابع (وكل ما نهى عنه نتركه) وهو كذلك بلا قيد ولا شرط .

الركن الخامس (وعليه نقاتل) اي وعليه نوالي وعليه نعادي ، وعليه نحب وعليه نبغض ، وهذا معنى الخبر (اوثق عرى الايمان ، الحب فى الله والبغض في الله ، والموالاة لله والمعاداة لله .

الركن السادس (فعاهدوه على ذلك) اي عاهد الجند ملكهم وقائدهم معاهدة الرعية راعيها ، **ونحن نشهد بالله اننا ايضا عبيد لسنة رسول الله (ص) ، واننا نعاهد على ما عاهد عليه اولئك الجنود ذلك الامام العظيم .**

ومنها ما ذكره صاحب الاستقصا ص 69 من حوادث سنة 1099 قال : وفى خامس جمادى الاولى استدعى السلطان فقهاء فاس لحضور ختم التفسير عند قاضيه ابي عبد الله المجاصي فحضروا واكرمهم ووصلهم . اه

قد سمعت ما شفى وكفى فى تمسك الامام اسماعيل بسنة النبي (ص) ، وهذا الخبر يدلك على مقدار عنايته بتفسير كتاب الله عز وجل ، وهذه شروط السعادة والعزة والقوة ، فكل من فسر تلك القوة العظيمة ، والنصر المبين المتكرر المتوالي عشرات السنين الذي منحه الله هذا الملك السعيد بغير التمسك بالكتاب والسنة ، فقد خبط خبط عشواء في ليلة ظلماء .

ومنها ما ذكره صاحب الاستقصا ص 78 قال : ولما ولى المامون على مراكش امر برئيس الحضرة ، وامام الكتاب الفقيه ابي العباس احمد اليحمدي ان يعطيه التقليد ويوصيه بما تنبغي الوصاية به ، وكان المولى المامون منحرفا عن الوزير المذكور ، فمشى اليه على كره منه ، وحاز منه التقليد ، واستمع لوصيته امتثالا لامر والده ، ثم عاد اليه وقال : يا مولانا ان اليحمدي ينقصك ، ويزعم انه الذي علمك دينك ، في كلام آخر .

فقال له السلطان رحمه الله : والله ان كان قد قال ذلك ، انه لصادق ، فانه الذي علمني ديني وعرفني بربي . نقل هذه الحكاية صاحب البستان وصاحب الجيش ، وكلاهما قال : انه سمعها من السلطان المرحوم المولى سليمان بن محمد رحمه الله ، وهي منقبة فخيمة للمولى اسماعيل فى الخضوع للحق والاعتراف به ، رحم الله الجميع . اه

ومنها ان الشيخ ابا علي الحسن اليوسي وجه رسالة الى الامام اسماعيل رحمة الله عليه بقصد النصح ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وانتقد حكمه فيها من ثلاثة اوجه : الاول فى جباية المال من وجه شرعي ، وصرفه بوجه شرعي . الثاني فى اقامة الجهاد والمرابطة فى الثغور . الثالث فى الانتصاف للظالم من المظلوم ، وكف اليد العادية عن الرعية .

وكان نقده صريحا مكشوفا شديدا ، فقبله هذا الامام الجليل مع ما كان له من الهيبة عند الخاصة والعامة فى داخل المملكة وخارجها ، ولم يكن احد يتجرأ على معارضته ، وان جل قدره .

ومن المعلوم ان الشيخ اليوسي كان استاذ اهل زاوية الدلاء وربيب نعمتهم قد ابدا واعاد فى مدحهم وموالاتهم ، والحنين اليهم ، وهم من اشد اعداء الدولة العلوية ، ولولا ان الامام اسماعيل كان عنده من تعظيم العلماء ، وخفض الجناح لهم ، وقبول نصحهم ، وان كان مرا ، لاتهم اليوسي لتشيعه لارباب نعمته ، والنظر

الى الحكم العلوي بعين السخط التي تبدي المساوىء وبطش به ، ولكنه رحمه الله كان فوق ذلك . ومن أراد الوقوف على هذه الرسالة ليرى ما فيها من النقد الشديد ، ويعلم فضل الامام اسماعيل ، واذعانه للحق فليقراها في كتاب الاستقصا ص 82 ، ولولا طولها لنقلتها ، ولكني اكتفي بالاحالة عليها . واقتصر على هذا القدر ، لان المقام لا يتسع لاكثر منه في ذكر تمسك هذا الامام بالكتاب والسنة .

اما السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل الذي يسمى بحق : عالم الملوك وملك العلماء فحدث عن البحر ولا حرج في تمسكه بالكتاب والسنة، ونشره علم الحديث ، وعكوفه على دروسه ، وبذله كل جهد في ذلك ، ولم يكتف بذلك حتى الف كتبا نفيسة خلدت له ذكرا وفخرا لا تمحوه الايام منها مسانيد الائمة الاربعة ، ومنها محاذي الرسالة ، وكان نقادا مجتهدا يكره مختصرات الراي وينفر الناس عنها ، ويرغب في كتب الحديث ، والفقه المبسوطة التي تجعل كل مسالة مقرونة بدليلها من الكتاب والسنة ، وقد ذكرت بشيء من التفصيل مواقف هذا الامام من علوم الكتاب والسنة ، وتنفيره عن الراي والبدعة ، وتمسكه بالعقائد السلفية الخالصة من كل شبهة في الجزء الخاص بأمجاد الدولة العلوية من مجلة دعوة الحق الصادر في ذي القعدة 86 هـ ـ مارس 67 م فاغنى عن اعادته هنا ، وقد جبلت الطباع على معاداة المعادات .

وكذلك السلطان مولاي سليمان بن محمد ذكرت في ذلك المقال نبذة من تمسكه بالكتاب والسنة، ووقوفه عند ورود كتاب الامير عبد الله بن سعود أمير مكة يشرح فيها دعوة آل سعود ، ودعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمهما الله ، فقد وقف السلطان الجليل المولى سليمان رحمة الله عليه موقف الناقد البصير ، المتحري للحق ، القائل به غير خائف في الله لومة لائم .

ومن المعلوم ان السلطان العثماني كان قد اغتاظ غيظا شديدا على استقلال العرب عن حكمه ، ورجوع امارة بلادهم ، وخصوصا الحرمين الشريفين اللذين كان السلطان العثماني يتخذ الحكم فيهما دليلا على صحة خلافته وشمولها لجميع المسلمين ، حتى يعد من خرج عن حكمه خارجا على امام المسلمين .

ومن المعلوم ان بلاد العرب كلها ، وبلاد الاسلام في افريقيا وآسيا كانت خاضعة لسلاطين آل عثمان الا المملكة المغربية ، فانها لم تخضع قط لهم ، بل كانت تسالمهم اذا سالموها ، وتحاربهم اذا حاربوها ، وكانوا معترفين باستقلال ملوكها . فالملك العلوي سليمان بن محمد لم يبال بعداوة السلطان العثماني لآل سعود ، لانه عزيز مستقل لا يخضع الا لله ، ولم يكن رحمه الله من قلة العلم بالمكان الذي يستطيع جيش العلماء المرتزقة الذين عباتهم السلطنة العثمانية لتكفير آل سعود وتضليلهم ، حسبما سول لها حبها للاستيلاء على بلاد العرب ، اقول : لم يكن هذا الملك الجليل من قلة العلم بالمكان الذي يستطيع فيه اولئك العلماء المرتشون ان يصموه الى صفوفهم ، وان يلبسوا عليه الحق بالباطل ، ويوهموه ان عقيدة آل سعود ضالة ومخالفة للكتاب والسنة ، كما لبسوا على غيره من الامراء والقادة فاعلن مولاي سليمان موافقته لما يدعو اليه عبد الله بن مسعود ، لانه وجده مطابقا للكتاب والسنة ، ولم يكتف بان يجيب رسالة برسالة ، بل اوفد ابنه أبا اسحاق المولى ابراهيم ، ومعه وفد من علماء المغرب الى الامير عبد الله بن سعود ، وبعث معه هدايا وتحفا فاكرم الامير السعودي وفادتهم ، وتباحث العلماء المغاربة برئاسة اميرهم مع العلماء السعوديين برئاسة اميرهم ، فكللت المباحثات بالوفاق التام على اتباع كتاب الله وسنة رسوله ، وترك الغلو في قبور الصالحين وغيرهم ، وتجريد توحيد العبادة لله رب العالمين .

وعلى اثر ذلك الف السلطان مولاي سليمان رسالته المشهورة المتضمنة لاتباع الكتاب والسنة ، ومحاربة البدع والمحدثات ، ومنها الغلو في قبور الصالحين الذي يصيرها أوثانا تعبد من دون الله ، وامر ان تقرا على المنابر في جميع أنحاء المملكة المغربية ، فتركها منقبة خالدة على مرور الايام ، فرحمه الله وأثابه رضاه .

اما الملوك الثلاثة الائمة الابرار الحسن الاول ، وعبد العزيز الاول ، ومحمد الخامس ، فتمسكهم بالكتاب والسنة امر مشهور . أما الحسن الاول ، وعبد العزيز الاول ، فقد حدثني غير واحد من الثقات انهما كانا يعتمدان كل الاعتماد على الامام المحدث المجتهد ، ناصر السنة ، وقامع البدعة ، عبد الله السنوسي نزيل طنجة في آخر حياته ، وبها توفي رحمه الله ، واجل من حدثني عنه العالم السلفي ، والمصلح البر الوفي مولاي عبد العزيز بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن رحمهم الله رحمة واسعة ، وهذا الرجل الكريم ، وان لم ينجح في ايام ملكه لصغر سنه ، وكثرة الفتن ، وفساد الرؤساء ، فقد نجح بعد اعتزاله الملك

ايما نجاح ، فقضى عمره في دراسة العلوم السلفية مع استاذه المذكور ، ومن سعد بمجالستهما من الناس ، مكثرا من الاعمال الصالحة وافاضة البر والاحسان ، واحيل القاريء الكريم على ما كتبته في ترجمته في جزء دعوة الحق من جزء ذي القعدة 86 هـ ما رس 67 م .

ومن اخبار عبد الله السنوسي الطريفة ما حدثني به اخي في الله العالم السلفي الورع الرباني الاستاذ محمد ابو طالب الادريسي الحسني ، رحمة الله عليه قال : كان عند الفقهاء بفاس احتفال بدعي في بعض الاضرحة، فانكر عليهم عبد الله السنوسي واعتزلهم فجاءه احد الفقهاء واراد ان يداعبه بكلام يغضبه ليستخرج ما عنده من الدرر التي تجيء عفوا في حال غضبه فقال له القولة الجاهلية المشهورة عند المقلدين (نحن خليليون ، ان دخل خليل الجنة دخلناها معه ، وان دخل النار دخلناها معه) فاجابه الامام السنوسي على البديهة بقوله تعالى في سورة الانبياء (67 اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون) .

اما الامام المنقذ الذي اجرى الله على يديه الكرامة الكبرى ، والمزية العظمى ، وهي تحرير المغارب الثلاثة من براثن عدو قوي ، فصارت له منقبة خالدة لم يسبقه فيها سابق ، ولا لحقه فيها لاحق :

وما احاشي من الاقوام من احد الا شبله وخليفته ووارث سره امام الوقت جلالة الحسن الثاني ايده الله ووفقه وزاده من فضله ، فانه شريكه في تلك الحركات المباركة التي عم نفعها للاولياء ، وكانت قاصمة الظهر على الاعداء ، اقول : ان الامام محمدا الخامس كان سلفيا ، ليس عنده حجة الا في كتاب الله وسنة رسوله ، وكان لا يرد ولا يصدر الا عن استشارة العلماء السلفيين كالامام الحجة ، خاتمة المحققين ، بقية السلف ، وعمدة الخلف شعيب الدكالي ، والامام الحجة ، بحر العلوم ، منطوقها والمفهوم ، سيف الله المسلول ، على اهل البدع والفلول ابي مصطفى محمد ابن العربي العلوي الحسني رحمهم الله رحمة واسعة

اما امام الزمان ، ونابغة العصر والاوان ابو محمد الحسن الثاني ، حفظه الله بالسبع المثاني ، فانه سار على سنن سلفه ، وزاده الله من فضله ، فلم يزل يبديء ويعيد ، وتصدر منه المكرمة تلو المكرمة ، والاية بعد الاية ، ومفاخره التي اكرمه الله بها لا يمكن احصاؤها ، فلنقتصر على ما نحن بصدده، وهو التمسك بالكتاب والسنة ، وبذل الجهد في ذلك.

فانه ايده الله بنصره كان وزيرا لوالده ، ومشاركا له في سلوكه ومناقبه ، ولما انتقل والده المبرور الى رحمة الله ، وتقلد اعباء الدولة ، سار على ذلك النهج القويم ، واشهد بالله اني سمعت المعلقين السياسيين من البريطانيين يبدون تحفظا شديدا في استطاعة الحسن الثاني ان يتم حل المشاكل التي بدأ يسعى في حلها والده ، وان يحافظ على الاستقرار ، وهيبة الدولة والصولة التي كانت لوالده رحمه الله في داخل المملكة وخارجها لعلمهم بصعوبة تلك المشاكل وشدة تعقدها ، ووجود العقاب في طريق حلها ، واخذ اولئك السياسيون يراقبون سير الحسن الثاني ، ويحصون خطواته ، فأخذ ريبهم يتبخر ويذوب شيئا فشيئا ، فما دار الحول على حكمه حتى زال عنهم كل ريب ، وانطلقت السنتهم بالاعجاب والاجلال .

ومن حدث عما يذاع في اذاعة لندن العالمية ، فانه لا يفشي سرا ، وقد وفقه الله لحل تلك المشاكل السياسية والاقتصادية على وجه فوق ما كانوا يتصورون ، ثم حدثت له مشاكل اعظم منها ، فسلك فيها مسلك الحكيم البارع المتوكل على الله ، المتبريء من حوله وقوته ، فخرج منها مظفرا مؤيدا منصورا اقوى مما كان حين دخلها ، وانعقد الاجتماع اليوم على كفاءته ونبوغه ، وكمال سياسته .

اما عنايته بكتاب الله وسنة رسوله ، فقد بذل في ذلك جهودا محمودة ، وسعى مساعي مشكورة ، فمنها تأسيسه لدار الحديث ، وهي امنية طالما اخذت بالباب الملوك السابقين ، ولكن الله ادخرها لهذا الامام الجليل ، وكم ترك الاول للاخر ، ولا حاجة الى شرح ما لهذه المنقبة من الاهمية ، فانها قائمة بعينها تحدث عن نفسها ، وقد قال النبي (ص) : من أحي سنة من سنتي قد اميتت بعدي فله اجر مائة شهيد . وفي دار الحديث احياء سنن كثيرة .

ومنها مدارس القرءان التي امر نصره الله بانشائها في جميع انحاء المملكة ، ولا تزال في اول نشأتها لا تخلو من ضعف ، وكذلك الامور في بدايتها ، واول الغيث قطر ثم ينسكب .

ومنها المحافل القرءانية السنية التي يقيمها في كل سنة ، ويدعو لها كبار العلماء من انحاء الدنيا وارجائها .

ومنها خطبه البليغة التي صرح فيها ايده الله بنصره بوجوب اتباع الحجة ، وترك الراي والتقليد . ومنها كثرة الدعاء في عهده الميمون الى الاصلاح باتباع

كتاب الله وسنة رسوله ، وترك كل ما خالفهما ، فان ذلك يقع بحضرته الشريفة ، كما هو ظاهر من خطب العلامة الفاروقي ، ويقع في انحاء مختلفة من مملكته المحروسة بالله على ايدي دعاة يصرحون بالحق كله ، ولا يستطيع مخالفوهم على كثرتهم ان يمنعوهم ، وارجو ان اكون منهم ، فاني كنت في العراق قبل ثورة عبد الكريم قاسم ادعو الى اتباع الكتاب والسنة عشرات السنين ، وكان المفسدون والمعارضون كثيرا ما يوسوسون الى ملوك العراق ، ويلقبونني بالقاب تدعو الى الريبة ، فلم ينجحوا قط في ذلك .

فلما جاء عبد الكريم قاسم اشتدت الازمة ، وضاق الحبل على الودج ، لانه اطلق العنان للفوضويين والشيوعيين يقتلون ويخنقون ويسلحون في الشوارع في رابعة النهار ، واخيف العلماء ودعاة الاصلاح ، وزلزلوا زلزالا شديدا ، وصار الشيوعيون ، وان كانوا كاذبين في شيوعيتهم يتجمهرون امام مسجدنا ، فخاف التلاميذ على انفسهم وتفرقوا ، وكذلك المصلون الجمعة، وما استطعت الخروج من العراق الا بعد اللتيا والتي ، فرجعت الى وطني ومسقط راسي ووطن اجدادي ، فوجدت ابوابه مفتحة ، وما رايت من ملكه وزعيمه الامام محمد الخامس الا كل ترحيب واقبال ، وكذلك خلفه الابر الملك العبقري الهمام ابو محمد الحسن الثاني ، زاده الله نصرا على نصر ، وتوفيقا على توفيق ، وخلد ملكه ، واطال عمره ، وبارك في ولي عهده ، واقر به عينه وعين شعبه ، وبارك في جميع آل هذا البيت الكريم .

بقيت لي كلمة اقولها راجيا من ملكنا الهمام ان يتسع صدره لها ، كما اتسع صدر سلفه الامام اسماعيل لنصيحة الشيخ اليوسي ، وهي ان القدر الذي يريده جلالته من اصلاح امور الدين ، وتحقيق اتباع الكتاب والسنة ؛ قولا وعملا وحكما ، اذ بذلك تنال السعادة العاجلة والآجلة ، ويتشتت شمل الاعداء ، ويقضي عليهم القضاء المبرم ، ويقوم الملك على اساس متين ، وتصلح السياسة ، ويسعد الراعي والرعية لما نصل اليه حتى الان ، فأرجو من جلالته ، ويشاركني في هذا الرجاء جميع دعاة الاصلاح ان يجرد عزمة حسنية علوية هاشمية لتحقيق تلك الامنية وقطع دابر اهل الفساد ، ولا يعنيه على ذلك ، ويبلغه اليه الا الله وحده ، ثم صالحو المؤمنين .

وانا اعلم بالعقبات الكؤود التي تقف في طريق هذا الاصلاح ، وان الذنب في ذلك ذنبنا جميعا كل على حسب قدرته ، ولكن :

اذا كان عون الله للمرء ناصرا
تهيا له من كل صعب مراده

* * *

واذا العناية لاحظتك عيونها
نم فالمخاوف كلهن امان

واصطد بها العنقاء فهي حبائل
واقتد بها الجوزاء فهي عنان

وهذه العناية الربانية هي التي نسال الله تعالى ان تكون مصاحبة لعبده الخاضع لامره ، الحسن الثاني وولي عهده سيدي محمد .

منقبة عظيمة للحسن الثاني

كنت اريد ان اخص هذه المنقبة بمقال حتى جاءت هذه المناسبة المباركة ، فليكن جزء مقال ، وهذه المنقبة العظيمة هي طبع كتاب (التمهيد لما في الموطا من الاسانيد) تاليف الامام الحافظ ، امام المغرب الكبير باتفاق ائمة الشرق والغرب العالم البحر ، والمسند الاكبر ، ابي عمر يوسف بن عبد البر النمري رحمه الله، ولا اريد ان اذكر فضائل هذا الامام ، لانها مشهورة ، لها غرر معلومة وحجول ، فهي في كتب اسماء الرجال مبسوطة ، وفي مقدمة كتاب (التمهيد) مسطورة ، ولكني اريد ان اسجل هنا كلمتين اولاهما في المؤلف ـ بكسر اللام ـ وثانيهما في المؤلف ـ بفتحها ـ اما الاولى فقد قال الامام الحافظ ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير في تفسير قوله تعالى في سورة البقر (238 حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) ما نصه :

وقيل : بل الصلاة الوسطى مجموع الصلوات الخمس ، رواه ابن حاتم عن ابن عمر ، وفي صحته ايضا نظر ، والعجب ان هذا القول اختاره الشيخ ابو عمر بن عبد البر النمري امام ما وراء البحر ، وانها لاحدى الكبر ، اذ اختاره مع اطلاعه وحفظه ما لم يقم عليه دليل من كتاب ولا سنة ولا اثر . اهـ

اقول : قد صح عن النبي (ص) بما لا يدع مجالا للشك ان الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ، وليس مقصودي تحقيق القول في هذه المسالة ، وانما الذي يهمني هنا هو شهادة ذلك الامام الحافظ لابي عمر بن عبد البر ، بانه امام ما وراء البحر ، ومعنى ذلك انه امام المغرب كله من مصر الى سنكال . وهذه شهادة لها قيمة رفيعة .

اما الثانية فهي مذكورة في مقدمة كتاب التمهيد، وهي للامام الحافظ ابي محمد علي بن حزم رحمه الله قال : التمهيد لصاحبنا ابي عمر بن عبد البر ، لا اعلم في الكلام على فقه الحديث مثله اصلا ، فكيف احسن منه . وقال : وممن ادركنا من اهل العلم على الصفة التي بلغها ، واستحق الاعتداد به في الاختلاف ، مسعود بن سليمان ، ويوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر . انتهى .

ومن اراد ان يعرف قيمة هذه الشهادة فليطالع كتاب المحلى لابن حزم ليرى شدته وصرامته ، وغلظته على مخالفيه كائنين من كانوا ، لا يهاب احدا . ومن المعلوم ان ابن حزم يخالف ابن عبد البر في المذهب اصولا وفروعا ، ولكن عبقريته الالت قناة ابن حزم التي لم تلن قط لغامز ، فهي كقناة عمرو بن كلثوم وقبيلته التي يقول فيها مخاطبا الملك عمرو بن هند :

فان قناتنا يا عمرو اعيت
على الاعداء قبلك ان تلينا

اذا عض الثقاف بها اشمازت
وولته عشوزنة زبونا

عشوزنة اذا انقلبت ارنت
تشج قفا المثقف والجبينا

وقد الف هذا الكتاب العظيم منذ ما يربو عن تسعمائة سنة . ولا شك ان نشره ودراسته التي لا تتأتى الا به لم يزل امنية كل عالم ، وكل ملك وامير ، وكل غني ورئيس . ومن جملة الملوك الذين كانوا يتمنون نشره السلطان العالم الجليل مولاي عبد العزيز ابن الحسن ، كما اخبرني بذلك مرارا ، واخبرني ان والده السلطان المكرم مولاي الحسن بن محمد اعطاه نسخة مخطوطة من التمهيد قال : وهي باقية ضمن كتبي بفاس ، وسبب اخباره لي بذلك لاول مرة انني قلت له : اني سمعت ان الامام عبد الله السنوسي كانت عنده نسخة كاملة من التمهيد ، فقال لي : لا ادري ، ثم ذكر لي الخبر المتقدم ، ومنه تعلم عناية السلطان مولاي الحسن بن محمد بهذا الكتاب ايضا ، فلم يتح لواحد منهم ان ينشره ، لا بتكثير المخطوطات ، ولا بالطبع حتى كاد ينقرض ، ولكنها مكرمة ومفخرة ادخرها الله تعالى لجلالة الملك الحسن الثاني ، وهي يد بيضاء على كل طالب علم وعالم ، لا من المسلمين فقط ، بل من جميع البشر ، فلا توجد خزانة في الدنيا ، لا في امريكا ولا في اوربا ، ولا في آسيا تستغني عن نسخة فاكثر ، ولا اقصد خزائن الافراد ، بل جميع الخزائن العامة التابعة للجامعات وغيرها .

وسيحدث نشر هذا الكتاب انقلابا عظيما في دراسات الفقه على جميع المذاهب الاسلامية ، ولذلك التمس بالنيابة عن كل طالب علم في الدنيا من جلالة الملك المظفر ، ثم من معالي وزير الاوقاف الاستاذ الحازم السيد الحاج احمد بركاش التعجيل بانجاز طبع هذا الكتاب ، وبذل كل جهد في ذلك ، فان للتأخير آفات .

ولي التماس آخر ، وهو ان يباع الكتاب بالدراهم وان لا يوهب الا لضرورة ، او للخزائن العامة ، اما العلماء وطلبة العلم ، ومن يريدون ان يزينوا خزائنهم ، فالواجب الحتم ان يؤدوا ثمنه ، وحسب الوزارة كرما ان يكون الثمن معتدلا ، فان هذا الكتاب لا ينشر النشر اللائق به الا اذا بيع ، وحجتي على ما ذكرت القصة التالية :

من المعلوم ان الكاتب القصصي (برناردشو) الانكليزي الشهير ، كانت القصة الواحدة من تاليفه يبلغ حق طبعها عشرين الف جنيه فاكثر ، وتتنافس فيها الدول لا الناشرون فقط ، ومن المأثور عنه انه الف كتابا ، فلما طبع ، كتبت اليه رئيسة ناد نسائي تلتمس منه ان يقدم لخزانة النادي نسخة من ذلك الكتاب على سبيل الهدية ، فكتب لها في الجواب : ان الكتاب الذي لا يدفع ثمنه لا يقرأ ، فصدمت بخيبة الامل ، وقصدت بائع كتب لتشتري نسخة من ذلك الكتاب ، واشتكت لذلك البائع غلبة المادية على المؤلفين وبخلهم وزهدهم في التبرع للنوادي الخيرية ، وحكت له قصتها مع برناردشو ، فقال لها : واين جواب برناردشو الذي كتب اليك ؟ فارته اياه ، فقال لها : انا اقبل هذا الجواب ثمنا لنسخة من الكتاب ، ففرحت بذلك ومنحته اياه ، فباعه هو من شخص آخر يجمع الآثار والتواقيع بخمسة دنانير .

اقول هذا : وانا مستعد ان ادفع ثمن النسخة من كتاب التمهيد التي تكرمت وزارة الاوقاف الموقرة باهدائها الي المجلد الاول منها . والذي يحملني على ذلك حرصي على نشر هذا الكتاب ، فجزى الله الملك الحسن الثاني على هذه اليد البيضاء احسن الجزاء ، ووفقه الى امثالها وامثال امثالها انه سميع مجيب .

مكناس : الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

القرآن وعلومه في عهد الدولة العلوية الشريفة

للأستاذ العابد الفاسي

سوف نحاول أن نتحدث بمعونة الله تعالى فى هذا الموضوع الشريف بمناسبة عيد العرش الكريم والاحتفال بالايام الوطنية السعيدة . ومن دون ريب ان البحث فى هذا الموضوع له علاقة قوية بالاحتفال بعيد العرش المجيد مع مناسبة الاحتفال بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن . ذلك ان العرش العلوي منذ هيا الله اسباب ولايته العامة وهو مرتبط رباطا قويا بالعلم وحملته بصفة عامة ومع الدارسين لعلوم القرآن بصفة خاصة راينا ذلك أيام المولى الرشيد ومولاي اسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله ومولانا سليمان الى عصر الملك المقدس محمد الخامس قدس الله روحه ثم عصر هذا الشهم الابي جلالة مولانا الحسن الثاني ايده الله .

ففي كل حقبة من هذه الحقب التاريخية كان حملة القرآن والمشتغلون بدراسته على الطريقة الفنية من تجويد وقراءات وتقرير القواعد العلمية فى مخارج الحروف وصفاتها وربط ذلك بلهجات العرب واساليبها فى النطق والصوت مما يمت اليوم الى فقه اللغة الحديث وعلم الاصوات باعتبار مخارج الحروف من اقصى الحلق الى الشفتين وما الى ذلك .

والواقع ان هذا الفن ليس خاصا بعلماء القراءات وايمة الاداء وانما اشتهروا به وعلق لقبهم به لتساهل النحاة فى مدارك علم التصريف لانه علم وعمل (تطبيق) فكان منتهى الحاذق فى النحو ان يعرف ابواب الامالة ويقررها احسن تقرير ، ويعجز عن اداء اللفظ على مقتضى علمه ، ومثل هذا ايضا يقال فى ابواب الوقف وابواب تخفيف الهمز ، ثم ان القليل من علماء الصرف من يعتني بمخارج الحروف وصفاتها لان اكثرهم او المحدثين أصحاب العصور المتوسطة فى النحو والصرف لا يبالون بهذه المخارج الا قليلا ، وتتابع الامر على ذلك وخلت اكثر الكتب التصريفية من هذه البحوث فظنوا ان هذه القواعد التي تذكر بصفة خاصة فى علوم القراءات . ظنوا انها ليست من التصريف فى شيء وان الرجوع فى مثل ذلك الى علم القراءات . وهذا قطعا خطأ نشأ عن تقصير البعض منهم وتقاعس الهمم . ولو اتقنوا العلم بكل شعبه لما كان هناك فرق بين طبقة القراء واهل الصرف ومن المعلوم ان اللحن فى الكلام حال يطرأ على الالفاظ فيخل بها . وقد قسموه الى جلي وخفي وقالوا ان الجلي يشترك فيه العموم والخفي يختص بمعرفته علماء القراءات ولم يختص بهذا القدر علماء القراءات الا فى الوقت الذي قصر فيه اولائك واذا ذهبنا نستخبر علماء اللغة عن حقيقة اللحن نجدهم متفقين على انه صرف الكلام عن سننه الجاري عليه اما بازالة الاعراب او التصحيف أو الخطأ فى القراءة كما قال الفيروزابادي ولا يريد صاحب القاموس بالقراءة تلاوة القرآن بل ما يعمها من قراءة شعر وخطب ورسائل الخ ، واذا كان اللحن لغة ما ذكر وان كانت له معان أخرى لا حاجة لنا بها هنا . فينبني عليه ان اللحن هو ان ينطق المتكلم فى الكلام العربي على غير مقتضى قواعد أهله ، ثم اذا حققنا النظر فى هذه المخالفة وجدناها تنحصر فى موضوعنا فى قسمين

احدهما يرجع الى جواهر الحروف اما بالنسبة الى مخارجها بان لا تعطى حقها الواجب ، واما بالنسبة الى صفاتها التي تحقق ذاتها او تفصلها عما يشاركها او يقاربها ، واما بالنسبة الى تعويضها بغيرها كجعل الظاء المشالة بدل الضاد الغير المشالة او السين المهملة بدل الشين المعجمة او الزاي بدل الجيم الى غير هذا مما يطول تتبعه وهو نتيجة معرفة المخارج والصفات.

وهذا المعنى تماما الذي اشتغل به القراء هو نفس ما يقال بالنسبة الى مخالفة العرب فى استعمالاتها المختلفة فى نطقها كتصحيح ما اعلوه او اعلال ما صححوه وتحقيق ما سهلوه وتسهيل ما حققوه واظهار ما ادغموه وادغام ما اظهروه الى آخر ما هنالك . والقصد ان اشرح لك قوة الرابطة التي توجد فى علم القراءات وعلم النحو والصرف فليس فى امكان الباحث فى هذا الفن المحقق لقواعده ان ينفصل فى حقبة من حقب بحثه عن ما قرر فى قواعد الصرف التي يلزم ان تكون ضرورية عنده على ان اكثر من كتب فى الصرف بصفة خاصة لا يخلو كتابه عن مباحث مخارج الحروف وصفاتها ، وقد اطنب علماء القراءات وكذلك علماء النحو فى العصور القديمة من ذكر هذه المخارج فعدها الخليل بن احمد سبعة عشر واعتبرها سيبويه ستة عشر واياه تبع الشاطبي وصاحب الدرر اللوامع وابلغها الفراء وقطرب والجرمي الى اربعة عشر . اما الصفات من همس وجهر وشدة ورخوة وانسفال واستعلاء واطباق وانفتاح الى آخر ما هناك فلم يقصروا ايضا عن الخوض فى جميع مباحثها . وليس فى الامكان استقصاء البحث فى هذه القواعد الضرورية فى فن القراءات لضيق المجال عن ذلك وقد بعدت المسافة بين المسلمين وبين هذه الدراسات حتى صار البعض من هؤلاء الباحثين الجدد يتوهمون ان هذه المباحث فى علوم القرآن يمكن الاستغناء عنها او لا حاجة للعلم والبحث فيها مع ان الواقع كما بينت لك سابقا لها ارتباط قوي بفقه اللغة وعلم الاصوات كما انها فى الواقع ايضا شعبة من شعب النحو والصرف واللغة ، فلما كانت هذه الجماعات المتخصصة فى علم القرآن ودراسته خاصة فيما يعرف بفن القراءات كانت هذه الجماعات محل تقدير واحترام من قبل رؤساء هذه الدولة العلوية الشريفة واقيالها الميامين فكانت التنشيطات والمكافئات وكان التاليف والانتاج العلمي فى هذه المواد القرآنية بالغا قمته ، ولا تخلو قبيلة او قرية او مدينة فى جميع انحاء المغرب من جماعات مختصة بهذه الدراسة واشتهرت بعض قبائل المغرب ببلوغ الهدف الاعلى فى هذا البحث العلمي الخالص وكانت هذه الدراسات القرآنية عاملا قويا فى نشر اللغة العربية وادابها والغوص فى معانيها الدقيقة مما يمت الى اساليب القرآن ولغاته المختلفة فكتب المغاربة فى هذا الميدان الشيء الكثير وشرحوا قول النبي عليه السلام انزل القرآن على سبعة احرف وبينوا وجوب متابعة المصحف العثماني فى الرسم وادلوا بدلائهم فى كل الموضوعات التي ترجع الى تجويد النطق بالكلمة كما نطق بها العرب وعلى حسب المسموع منهم فى ذلك من تحقيق وتسهيل ومد وتوسط واشمام وامالة وبرعوا فى ذلك البراعة الفائقة وندر من اهل العلم من لم يكن له المام بهذه القواعد ان لم تساعده ظروفه على التخصص وقد ادركنا فى نشأتنا الاولى جماعات من هؤلاء وهم يدرسون القرآن بالروايات السبع بل وحتى العشر فى كثير من الاحيان وربما تجاوز العشر الى الاربعة عشر وكانت هذه الجماعات تلاقي كل اهتبال من الرؤساء والحكام علاوة على ما يمنحون بين الفينة والفينة من مكافئات مالية وعقارية . وهذه الظاهرة وان كانت عامة ومتسلسلة فى سائر احقاب التاريخ الاسلامي بهذه البلاد المغربية فان ظهورها فى عصر الدولة العلوية الشريفة كان واضحا وملموسا وسوف احاول ان اتحدث لك باقتضاب عن بعض مشاهير القراء فى كل عصر من عصور هذه الدولة الميمونة التي نشات حاملة راية الدين وسائرة على خطته لم تتنكر فى لحظة من اللحظات الى مبادىء القرآن ولا الى تعاليمه السامية والواقع انني اقولها واضحة صريحة **فعلى كثرة ما قرات من حياة الدول الاسلامية بصفة عامة او بالمغرب بصفة خاصة فاني لم اجد دولة قامت على هذه الاسس الدينية وحافظت عليها الى وقتنا الحاضر والى ما شاء الله من الازمان مثل هذه الدولة العلوية الكريمة** فالتاريخ دائما يحدثنا بتبادل هؤلاء الملوك الصالحين مع العلماء والفقهاء الافكار والاراء كل ما نزلت نازلة او حدثت حادثة ولم يكن هذا الوصف ميزة من مميزات ملك معين او فى عصر معين بل كانت هذه الظاهرة مبدءا من المبادىء العليا الاساسية لهذه الدولة الكريمة ، وتاريخ مولاي الرشيد ومولاي اسماعيل ومن اتى بعدهم مملوء بمثل هذه الاستشارات التي تعبر على مبلغ ما للمبادىء الاسلامية من اثر قوي فى هذه الدولة العلوية الشريفة وسوف لا نذهب بك بعيدا فى التدليل على هذه الفكرة فامامنا وثائق هامة متبادلة بين مولاي اسماعيل الملك الهمام وموحد المغرب ومنقذه من مخالب الاستعمار آنئذ . وبين عالم جليل من علماء المغربيين بآراء ربما كانت تخالف ظاهرا

في بعض الاحيان سياسة مولاي اسماعيل العامة وان كانت متفقة في الاهداف ومع اعتبار الفوارق المتعددة بين ملك متربع على العرش وله من مختلف الوسائل مما لا يتوفر عليه عالم لا يملك من وسائل العيش الا قليلا نرى المناظرة والحجاج بينهما يبلغ ذروته العليا في مسائل عامة يبدي العالم نصائحه وارشاداته حسب فكرته وتربيته وما بلغه اليه اجتهاده ويتقبل الملك الصالح تلك النصائح والارشادات بصدر سمح ولين عريكة وتسامح واغضاء عما يبدو في بعض الاحيان من جفاء في العبارة او خشونة في التعبير تصدر من عالم جليل عاش اكثر عمره باديا وفي بيئات خاصة لم يتذوق فيها طعم الحضارة الا لماما . هذا العالم الجليل هو ابو علي اليوسي . واحاديثه مع الملك الجليل ونصائحه وآراؤه مدونة في مختلف رسائله التي كان يوجهها الى الحضرة الاسماعيلية الشريفة وهي تطرق الموضوعات المختلفة مما يرجع الى تسيير الدولة وشؤونها العامة وفي الوقت نفسه نرى الملك الصالح يقارع الحجة بالحجة ويناضل بالتي هي احسن سبيلا وليس من هدف للجميع الا نصرة هذا الدين والعمل على النضال من اجله والدفاع عن حوزته وقد كانت لمولاي اسماعيل مواقف متعددة في هذه السبيل ومناظرات علمية شائقة بين كثير من علماء عصره في مسائل عامة ترجع الى المصالح العليا للبلاد ومسألة العبيد كافية في الموضوع ولم يحدث التاريخ في يوم من الايام ان هذا الملك القوي الشكيمة قام بعمل شخصي ضد عالم ثبت له اخلاصه وصدق قوله وهكذا نرى هذا المبدا السامي مبدءا راسخا من مبادىء هذه الدولة تنتهج نهجه وتسير في سبيله قدما الى النهاية . وكم يحدثنا التاريخ عن مجالس يعقدها السلطان سيدي محمد بن عبد الله ومولانا سليمان والحسن الاول الذيتذكرنا استشاراته العلمية بعصور السلف الصالح وعهد الخلفاء السابقين فمن استشارة في وسق القمح والحيوان الى اوربا ومن استفتاء في استنجاد السودان بملك المغرب ايام الهجوم الفرنسي على تلك الديار ومن استشارة في بعض الاوضاع المالية المراد احداثها في المغرب اذ ذاك ومن استفتاء ايضا في مسألة استنكاف الدخان واغلاق مراكزه . وهكذا كان في عصر السلطان مولاي عبد العزيز ومن اتى بعده وها نحن نرى ان هذا المبدا السامي للدولة لا يزال راسخ الاقدام قوي المكانة . فجلالة الحسن الثاني قد عودنا دائما هذا المبدا فلا تقع نازلة او يقع الاهتمام بتشريع جديد الا ويبادر حفظه الله الى الاستشارة مع مختلف افراد شعبه وطبقاته المتنوعة من علماء ومفكرين واصحاب اقتصاد وصناعات وهو بهذا العمل نفسه ينفذ فكرة يطمئن اليها ويحيي عهودا سابقة من عهود آبائه الصالحين . استسمح القارىء في الخروج قليلا عن الموضوع الاساسي للبحث **وهو النشاط القرآني ومواده العلمية في عهد ملوك الدولة العلوية الشريفة** ، وان كنت ارى ان هذا التمهيد ضروري ومؤكد حتى يعلم من لا يعلم ان ملوك هذه الدولة الكريمة ليسوا كسائر الملوك في الارض فهم بأرومتهم الاصيلة وعراقتهم نسبا وحسبا ونشأتهم في بيئة دينية ورضاعهم حب العلم واهله في اثداء امهاتهم كانت لهم ناحيتان . ناحية تسيير يسيرون بها هذه الدولة الاسلامية بالنظر في مصالحها والذب عن كيانها وحياضها . وناحية تهذيبية اخلاقية ينشرون فيها تعاليم الاسلام ويحافظون على التراث ولا يقبلون هوادة ولا تسامحا اذا حاول محاول ان يمس قاعدة من هذه القواعد الثابتة الاركان بهذا عرفهم التاريخ الاسلامي في المغرب وبسبب هذا تعلق الشعب بهم وتفانى في خدمتهم واللياذ بهم . ومن اهم هذه القواعد العمل على نشر القرآن وتعاليمه الصحيحة وتهييء جماعات من حفاظ كتاب الله وتنشيط القائمين على خدمة علومه والتضلع في دراسة حروفه ولغاته حتى انتشر هذا العلم في الاوساط وكثر اساتذته وظهر في ميدانه شخصيات لامعة ولم يكن الامر قاصرا على عصر من عصور هذه الدولة بل بقي التسلسل محتفظا به من عصر مولانا الرشيد ومولاي اسماعيل الى الوقت الذي ادركناه وقد رأينا الان في عصر جلالة الحسن الثاني ايده الله بوادر نهضة مباركة في خدمة القرآن وفتح مؤسساته في مختلف مدن هذا المغرب العزيز وجلالته بهذا العمل يخدم في الواقع شريعة الاسلام التي تظهر واضحة في تعاليم القرآن ويقدم للامة مشروعا ثقافيا له اثره في حياة اللغة العربية اذ القرآن الكريم هو المعجم الكبير الذي ليس بعده معجم وهو دائرة المعارف الكبرى التي تشرح لنا كثيرا من حياة الامة العربية في جاهليتها واسلامها وهو الوثيقة المقطوع بها وحيا من الله الذي لا يشوبه ادنى ارتياب ولا يتطرق اليه ادنى وهم وهو الرابطة القوية التي تجمع بين المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وهو الدستور الذي لا يعتريه تغيير ولا تجديد . واذكر بهذه المناسبة مفخرة سجلت ايام مولاي الرشيد حيث كانت خزانته العلمية تشتمل على مصحف عظيم القدر جليل المكانة تحدث عنه الشيخ ابو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في بعض دفاتره العلمية واشار له في كتابه محاذي الشفا . قال فيه مما يتعلق الغرض به « وقد وقفنا في هذه الازمنة على المصحف المنسوب لسيدنا عقبة بن نافع رضي الله

عنه فوجدنا فيه أشياء مخالفة لمصحف الامام المروى عنه المؤلف فى كتب هذا الشأن وقد تتبعناه فلم نجد فيه نقطا بسواد ولا بغيره ولكن فيه ضبط قديم ليس من صنع الكاتب بلون احمر على نهج ما كان عليه الشكل قبل الخليل بن احمد وربما غير فيه الكاتب احرفا وبتر احرفا لتوافق قراءة البصري التي ضبط عليها وبعد ما ذكر امثلة من ذلك قال : الى غير ذلك مما قيدته من اوله الى آخره تتبعا بعد قراءة ختمة فيه فى ثلاثة ايام . الى آخر ما اتى به ابو زيد من بحوث فى صحة نسبة هذا المصحف الى عقبة . ثم قال آخر بحثه وكان فى خزانة السلطان زيدان بمراكش فنقله ملوكنا ايد الله ملكهم فكان بفاس فى خزانتهم والمتحقق انه خط قديم جدا لا يبعد ان يكون فى القرن الاول وذكر ابو زيد المذكور فى كناشته ان هذا المصحف كان بخزانة مولاي الرشيد ، ولا نعلم شيئا عن مآل هذه الذخيرة العظمى بعد حديث هذا العالم الجليل عنها ونتمنى ان يوفق الباحثون فى العثور عليه بالخزانة الملكية الشريفة فيطبع على هيئته ويكون بذلك فتح عظيم فى تاريخ القرآن وطريقة رسمه فى العصور المتخلفة . وبعد كتابة هذا وقفت فى كناشتي العامة على نص نقلته عن كناشي بخط الامير مولاي عبد السلام بن السلطان مولاي سليمان .. ان السلطان مولاي عبد الله وجه على يد الحاج عبد الخالق عديل اربعا وعشرين مصحفا كلها منبتة بالذهب الابريز محلاة باليواقيت الثمينة المتنوعة الالوان العزيزة الوجود فى هذا الزمان سوى واحد من غير ذهب ومن جملتها مصحف كريم مكتوب فى آخر ورقة منه : كمل المصحف بحمد الله وحسن عونه وذلك بمدينة القيروان على يد عبده المعتصم بحبله حديج بن معاوية للامير المستجاب له عقبة بن نافع الفهري وبامره فى سنة 47 من الهجرة . فتبين ان المصحف الرشيدي الذي تحدث عنه ابو زيد قد قدمه هدية الى الحرمين الشريفين السلطان مولاي عبد الله وعسى ان يكون هذا الاثر الثمين لا يزال محتفظا به هناك وللبحث فى هذا المصحف بقية .

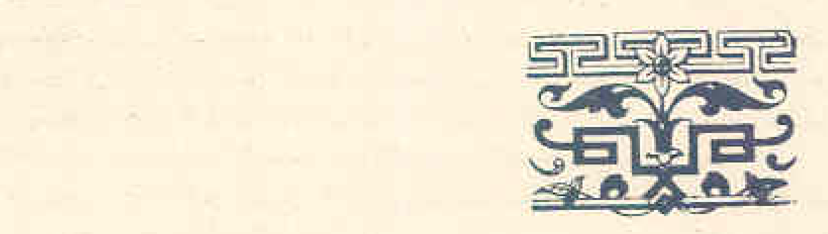
وبعد فقد ظهر فى عصر المولى الرشيد ومولاي اسماعيل ومن بعدهم جماعات من هؤلاء الجهابذة الاعلام ممن برزوا فى حقل علوم القرآن ودراساته المختلفة . فمنهم الشيخ الامام استاذ المغرب فى القراءات ابو زيد عبد الرحمن بن ابي القاسم ابن القاضي اشتغل بحفظ القرآن الكريم واتقان طرق قراءته الى ان صار كما يقول فى الصفوة . المرجوع اليه ، والمعول عليه فى احكام القراءات ومعرفة توجيهاتها وحفظ مذاهب ائمتها. قال الافراني : فلا تجد استاذا بالمغرب الا وقد روى عنه وعن تلامذته . وفى الاعلام بمن غبر . فى حق المترجم ما نصه : كان رحمه الله من الاساتيذ المبرزين فى علوم القراءات وممن يعول عليه فى احكامها ومعرفة توجيهاتها وحفظ مذاهب ايمتها وترجيحاتها واليه يرجع طلبة العلم فى ذلك وبه يقتدون فى تلك المسالك فلا تجد استاذا فى المغرب الا وقد روى عنه او عن تلاميذه . له مصنفات فى القراءات مشهورة وله اجوبة نظما ونثرا فى علم الرسم والضبط اخذ علم القراءات عن السيد الشريف مولانا عبد الهادي ابن عبد الله بن علي بن طاهر الحسني واعتمد ايضا شيخه محمد بن يوسف التملي وعن ابي زيد عبد الرحمن بن عبد الواحد السجلماسي وكانت وفاته فى عصر مولاي اسماعيل سنة 1082 وترجمته طويلة الذيل وقائمة كتبه متسعة الاكناف وقفنا له على شرح الدرر اللوامع فى جزء متوسط ورسالة فى وجوب اتباع رسم المصحف العثماني وكتاب الايضاح لما ينبهم عن الورى فى قراءة ام القرآن وله كذلك مفردات القرآن وعلم النصرة فى تحقيق قراءة امام البصرة فى سفر يميل الى الضخامة وكتاب بيان الخلاف والتشهير وما وقع فى الحرز من الزيادات على التيسير الى غير ذلك من كتبه ومقيداته .

وممن توفى فى هذا العصر وكانت له مشاركة فعالة فى هذا الفن الاستاذ المقري المشارك ابو عبد الله محمد ابن مبارك المغراوي له عدة رسائل فى علم القراءات وهو صاحب الدالية فى الفن المذكور وعليها شروح متعددة وكانت وفاته سنة 1092 . وله ترجمة واسعة وموضوعات قيمة . ومنهم فى نفس العصر ايضا الاستاذ المحقق ابو عبد الله محمد العربي ابن احمد الفشتالي له مقيدات فى الفن ومعرفة عامة بالتجويد والاداء واحكام الرسم وله ذكر واسع فى كثير من المؤلفات المغربية توفى سنة 1092 ومنهم ابو زيد الامام العلامة الجليل عبد الرحمن بن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي هذا السيد الجليل كان له تضلع واسع فى كثير من العلوم المتداولة فى عصره والنادرة كذلك وشارك فيها مشاركة فعالة قراءة وتدريسا وتلمذ له اعيان القوم واكابر اهل العلم وكانت له علاقة متينة بمولاي الرشيد احد ملوك هذه الدولة السعيدة ومدحه بقصائد متعددة فى كل المناسبات وجمعت فى مجلد خاص هو جزء ضخم من كتاب حفيده عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن تحت عنوان اللؤلؤ والمرجان . وبلغت مؤلفاته على اختلاف مشاربها وموضوعاتها ما يقرب من المائتين . واشتهر بموسوعته العظيمة التي سماها الاقنوم فى مبادىء العلوم والتي هي فى الواقع جديرة ببحث خاص ورسالة خاصة .

والذي يهمنا الان من كتبه هو ما يتعلق بفن القراءات وعلوم القرآن نمنها اللمعة فى قراءة السبعة والتقييد لما قد شرد من نصوص الدرة والقصيد جعله تذكرة لقارىء الثلاثة الزائدة عن السبعة لتمام العشرة بطريق التحبير والدرة : فى جزء متوسط والتحبير فى اصله كتاب للداني فى موضوع القراءات السبع والدرة قصيدة لامية فى موضوع القراءات السبع كذلك واضاف اليها القراءات الثلاث وهي لابي الخير محمد بن الجزري الشافعي وله عليها شرح وقفت عليه ولابي زيد هذا قراءة على الاشياخ المبرزين فى الفن منهم الاستاذ المشارك ابو عبد الله محمد عبد الرحمن الزامر القصري الفاسي وكانت وفاته سنة 1076 كما لازم المترجم شيخه الاستاذ الحافظ محمد بن محمد بن سليمان البوعناني فى القراءات السبع تلاوة ورواية ودراية كما لازم دروس الاستاذ الحافظ الراوية أبي زيد عبد الرحمن ابن القاسم ابن القاضي فأخذ عنه الروايات السبع ثم العشر وسمع عليه الشاطبية والتفصيل لابن غازي وقرا ايضا على الاستاذ الكبير فى الفن أبا عبد الله محمد ابن عبد الله بن طاهر الحسني العلوي السجلماسي القراءات الثلاث ابي جعفر المدني ويعقوب وخلف ابن هشام الى غير ذلك من الاشياخ الكبار المتخصصين فى فن القراءات وكانت وفاة ابي زيد الفاسي المذكور سنة 1096 ومن هذه الطبقة الاستاذ الكبير شيخ القراءات بفاس العلامة المتضلع ابو العلاء ادريس بن محمد بن احمد الشريف الحسني المعروف بالمنجرة بلغ الغاية فى فن القراءات واليه بعد ابن القاضي المرجع وجميع القراء فى ذلك العصر اليه ينتسبون وعلى مجالسه العلمية يعتمدون اخذ عن جماعة من شيوخ عصره البارعين فى الفن كالحافظ ابي عبد الله محمد بن عبد الله السرغيني الهواري وغيره من علماء وقته ممن هو مسطر فى فهرسته .

(يتبع)

فاس : العابد الفاسي





اجاد مولاي احمد العلوي في التعبير عن الخراب الذي خلفه الاستعمار بالمغرب العزيز ، يوم زار المؤتمر الثاني لرابطة علماء المغرب بالدار البيضاء ، فقد قال بتأثر وامتعاض : ان الاستعمار بالغ في تخريب القطاعات الروحية والمعنوية بالقطر المغربي ، وكما احتاجت القطاعات الاخرى الى الاصلاح والترميم احتاج لذلك الجانب الروحي للبلاد . ولهذا فان مؤتمر العلماء هذا خطوة كان لابد لها في جملة خطوات لاعادة بناء القيم المعنوية في بلاد المغرب .

ولعل مولاي احمد العلوي يكون نسى انه تحدث بهذا المعنى ، ولعل الكثيرين ممن حضروا المؤتمر لم يعوا هذا القيل ، ورغم كل ذلك فانه هو الواقع ، وانها لكلمة حق صدرت في اشد الظروف مناسبة . وما هي الا ارتسامات نفسية تشغل بال الحكومة المغربية التي تسجل وتحصي مواقع الخلل في الصرح المغربي العتيد ، بعد ان اقيل من عثرته ، وافاق من غفلته ، واناب من هفوته . وما احداث « وزارة الشؤون الاسلامية » بين مختلف وزارات الامة المغربية الا تجسيما لفكرة النهوض بالجانب المعنوي من الكيان الكلي للقطر المغربي العزيز . وقد جاءت هذه الوزارة في الوقت المناسب ، وتأتى لها بحكم مأموريتها وطبيعة تكوينها ان تجمع من المعلومات التي تساعدها على معالجة شئون تدهش المطلعين عليها ، لما بلغه الامر من تداعي وانهيار . وان من الضمانات التي تبشر بعودة الحياة الروحية للمسلمين المغاربة ، وجود القصر الملكي وما بين جدرانه من خيار الاسرة المالكة ، التي اعتزت بالاسلام وعز بها ، وفي جوها الكريم تربى الملك البطل مولانا محمد الخامس امطر الله ثراه شآبيب رحمته . وكان اول ما سمعه منه ابناء وطنه بعد عودته من المنفى قول الله تبارك وتعالى : « الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور » ، كانت آية كانما نزل بها الروح الامين على قلب رسول الرحمة والهداية صلى الله عليه وسلم لاول مرة ، في حين ان نزولها الى سماء الدنيا قضى اربعة عشر قرنا من ايام الله . وسار الخامس برد الله مضجعه يعالج ما شاء من امور الملك ، ويصدر البلاغات والبيانات ، مشفوعة بآيات من القرءان الحكيم ، وكانه يقول للناس : ان القرءان هو الهادي الذي يوجهنا ، وبه نستهدي لتوجيه المغرب المسلم ، حتى يتخلص من الانحرافات والاهواء ، نفعل ذلك في صبر واناة ، طبقا لما يجب ان يكون عليه علاج امة انهكتها الهجمات المخربة من الداخل والخارج ، وليس العلاج بالسهل ولا الميسور ، ولا يتم بمجرد اصدار الاوامر ولا ايجاد القرارات ، فان الحالة النفسية والاجتماعية تتطلب الشيء لكثير من التبصر والحكمة . واذا كان انتشار الخمور وصل الى حالة مزرية في شعب مسلم ، دستوره القرءان الذي يحرمها في غير هوادة ، فان التحريم العملي يتناول غروس الكروم ، وهي كروم منظمة يعيش من جراء تعهدها خلق كثير ، ثم هنالك معاصر الخمور ، وتكاليفها المادية والمالية ، تقدر بمبالغ طائلة من المال ، ثم من وراء ذلك عدة صناعات ، كصنع القوارير والصناديق

والدنان ، ثم هنالك التجار والباعة ، واكثر من ذلك محاربة عادة الادمان وما يترتب على ذلك من حالات نفسية محزنة . فلكي تطهر البلاد من رجس الخمرة يجب اقبار هذه الانتاجات كلها وتعويضها بما يسدها في سائر القطاعات . وليس للحكومة المسلمة يد في خلق هذه الوضعية ، ولكن عليها ان تمهد طويلا لاستبدال بلاء عادة كافرة بعادات مسلمة ، وانما صاحب البلاء هذه الحضارة ، لان الابطال الذين انشئوها غير مسلمين ، فلم ينظروا اعمالهم على اساس تعاليم القرءان ، وما قيل في الخمر يقال مثلا في الربا ، والتبرج وسائر الارجاس التي نشرتها حضارة كافرة ، لم تراع في خلقها ، تطابقها مع تعاليم القرءان . وعلى الامم الاسلامية ان تمهد لخلق حضارة قرءانية ، تستوعب كل ما يتطلبه تقدم العصر من مرافق ومظاهر ووضعيات .

هذا كان اتجاه محمد الخامس رحمه الله ورضي عنه ، حسبما تنطق به تصرفاته ومختلف انواع سلوكه، وهذا ما ورثه عنه — في جملة ما ورثه من فضائل ءال البيت—مولانا الحسن الثاني، اعانه الله على تحقيق خلق حضارة قرءانية ، قائمة من الاعماق باسقة في السماء ، والعهد الذي ارتبط به مع والده هو ما يرمز له باحياء سنن اسلافه في اقامة هذه المهرجانات التي تطبق طول البلاد وعرضها اشادة بالقرءان وفضائل القرءان ومزايا القرءان . وغني عن البيان ربط المساجد بالقرءان ، فانها بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه . والقرءان الكريم هو الذي يذكر اسم الله تبارك وتعالى ، الى جنب اوامره ونواهيه ، فاذا كان الامر يتصل باستعراض ما بذله الملوك العلويون من مجهود في الاشادة بالقرءان الكريم ، فان بناء المساجد بشكل الهيكل المادي لابلاغ رسالة القرءان ، والاحتفاظ بحفظ القرءان . وما اظن ان احدا من ملوك الاسلام حسب انه سيمجد لانه بذل المجهود في سبيل القرءان، ذلك لان المسلمين كافة يرون واجبهم الاساسي انما هو في العمل على زيادة نشر القرءان وتعاليم القرءان ، واذا تم بناء المسجد ، فان تجهيزه الاساسي بتزويده بمجموعات من المصاحف المجموعة في قمطر واحد ، ان المجزأة في اجزاء . وكنا ونحن صغار نجد من المصاحف الخطية وبالخصوص المكتوبة بخطوط مكتابية ما يتجاوز العد والحصر ، لكن الفترة الاستعمارية ازدردت منها المصاحف الثمينة وما بقي منها الا ما بقي من الوشم في ظاهر اليد . ورغم انها عوضت بمصاحف مطبوعة ، فان العناية التي كانت بالمخطوطات وما بها من زخرفة على رؤوس الاجزاء والسور ليس لها نظير في الدلالة على تغلغل حب القرءان في نفوس المغنين الذين يعصرون كل ما بقلوبهم من نبل وحب وايمان ، فيسيل حروفا على صفحات المصحف ، فكان القارىء يقرا القرءان ويلمس ايمان الكاتب وثقته بخطه وعمله الذي يرجع معه ثواب الدار الاخرة . وكم قرانا في تراجم الرجال انهم كانوا يتخذون من تجويد كتابة المصاحف ووقفها عملا من اجل الاعمال المبرورة .

وقد انشا ملكنا الحسن الثاني « دار الحديث » وها هو ينشىء دار القرءان ، بباعث قد يكون شعوريا وقد يكون لا شعوريا ، وقد تسمى هذه الدار بدار القرءان وقد لا تسمى ، الا انها على كل حال ستكون دار القرءان ، تلك هي البناية التي صممها مولانا الحسن الثاني ، واحسن اختيار موقعها في « جامع حسان » ، انها ضريح مولاي محمد الخامس الذي سينقل اليها رفاته الطاهرة الزكية . لن تكون «بيطبون» لتجميد المخلوق ، ولكنها دار القرءان يتلى فيها آناء الليل واطراف النهار ، وفيها يسمع كل زائر من اى نحلة واى دين ، كلام الله مجودا عاليا في افخم مكان استطاع ملك عتيد ان يقيمه لتجسيم بروره بوالده ، وباشهاد الآماد والاجيال على حبه للقرءان الذي يقول سبحانه : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا » ، فهو يحب اباه لان القرءان امر بذلك ، ويزداد اجلالا للقرءان لانه يلمس ضميره في الحض على بر الوالدين .

وسوف تتمخض هذه الحركة التي مصدرها الهيام بالقرءان وتعاليم القرءان ، سوف تتمخض — ان شاء الله — عن مجهود واسع النطاق لخلق عالم مسلم يصدر في سائر تصرفاته عن اوامر ونواهي القرءان ، مسبوكة في قالب العصر الذي نعيشه ، بما فيه من مستوى سلوكي لم يسبق له نظير فيما يرجع لتراحم الناس وتفاهمهم وقبول بعضهم لاعذار البعض . وقبل حدوث الظاهرة تظهر ارهاصاتها ، وما هذا الاريج العاطر الذي تضوع في مؤتمر حزب الاستقلال ، وتبلور القصر الملكي العامر الا سبب قدرة الله تعالى لاحياء الاهتداء بهدي القرءان ، والتفكير في وضع الاسس لحضارة مسلمة روحا وعقلا لا صورة ومظهرا ، تحتل في الاقطار الاسلامية مكانة القيادة ، لتوجه الناس الى السعادة في العاجلة والعقبى الحسنى في الآجلة .

لا يمكن ان يكون انسان واحد فكر فيما قدمه ملوك المغرب حفدة النفس الزكية وورثة عبد الملك والمنصور الذهبي ، من اعمال خالدة جليلة خدمة للقرءان وشريعة القرءان ، وقد توزع عاهلونا جوانب هذا المجهود الضخم فقام كل ذي سلطان ببناء قواعد فى صرح القرءان المرد ، واحتفظت لبنة الختام بسرها لمولانا الحسن الثاني ، فكان عمله تتويجا لتلك الاعمال، وخروجا من مصاعب التصميم الى فضاء السعي الجدي المشكور . وها هي وزارته فى الشؤون الاسلامية تشيد المساجد ، وتعيد تأسيس دراسات القراءات ووجوه الروايات فى حفظ القرءان الكريم . وان يقرا القراء فى هذه الكلمة العجلى المتواضعة فكرة انشاء دار القرءان بمسجد حسان ، فان الفكرة لا ترمي لمجرد المشاكلة والازدواج ، حتى تكون دار القرءان ، عجوز الصدر ذات الحديث ، من باب جمع المتشابهات المتقاربات ، لكنها فكرة هادفة تقصد الى احداث مؤسسة القراءات القرءانية رواية ، والى جانبها معهد تحليلي للدراية ، ليكون هذا المعهد قمة لبقية الفروع ، يسيرها جماعة من المختصين مدعوين من سائر اطراف العالم الاسلامي ، لجعل ضريح محمد الخامس سقاه الغيث المهتون ، وتجددت عليه الرحمات مثابة لتركيز الدراسات القرءانية بالنسبة للعالم الاسلامي كله ، دون ان يتقيد المعهد بفروض الاطر الادارية ، وتكون مهمته علمية محضة للمحققين والمنقبين وحتى للمستشرقين . وبجعل مكتب التعريب تبعا لهذا المجمع القرءاني بصفته الامين على حرفية مفردات اللغة العربية ومكانة القاموس القرءاني منهـا .

لقد عهدنا فى ملكنا البطل ان يسير بمؤسساته الى امجد اطوارها ، مصمما العزم على تحقيق ما ننسخ من آية او ننسهاتات بخير منها او مثلها : فحتى اذا كان زمنه متاخرا عن زمن مولاي اسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله ومولاي سليمان ومولاي الحسن الاول ، فانه الملك الاول الذي اقام مؤتمرا قرءانيا حضره علماء كبار من شتى بقاع العالم الاسلامي .

عندما عرف الناس فكرة وزارة الشؤون الاسلامية فى ادراج عيد العرش سنة 1968 ، فى اطار سنة الدعوة الى الرجوع الى القرءان الكريم ، تأكد الجميع ان العاهل الكريم لن يكتفي بسنة واحدة ، وانما هي براعة استهلال لعمل عميق جذري لجعل القطر المغربي امة قرءانية شكلا وموضوعا ، وظاهرا وباطنا ، تحت شعار بريء من المسرحيات ، سائر نحو تحقيق حلم ابراز المسلمين فى اقامة دولة اسلامية تعرف كيف تجمع بين اغلى واعلى الحضارات ، وادق المفهوم فى تفسير آيات الذكر الحكيم .

ان احداث كرسي للدراسات القرءانية فى « جامعة القرويين » لن يكون اقصى مرامي النفس الطامحة ، ولن يكفي ذلك فى تقويم الانحرافات التي ازاغت الناس عن الصراط المستقيم الذي رسمه الذكر الحكيم ، فان على ولي امر المسلمين ان يعيد الجدة الى ما هدمه الاستعمار من مآثر اسلافه الكرام، فى الحواضر والبوادي من المساجد والمعامر ، حتى كان المغرب من اكثر ان لم يكن اكثر الاقطار الاسلامية استظهارا للقرءان .

فهذه الكتاتيب التي كانت تحتضن الآلاف المؤلفة من حفظة القرءان ، اصبحت خرابا بلقعا ينعب فيها الغربان ، بعد ان كانت تتلى فيها آيات الرحمن ليلا ونهارا ؟ فكيف يرتفع عدد التالين للقرءان ان لم تعد « المعمرة » الى سابق عزها وغابر مجدها . فقد كانت مثوى التربية الاسلامية ، لقربها من المسجد ، ولاتصال اطفالها بالعبادة ؟ فلم لا يشجع الناس على احياء « المعامر » ؟ ولم لا تكون هي التي تقوم بدور الاقسام التحضيرية وجانب من الابتدائية ؟ ولم لا يعطى الطفل المغربي فرصة لامكان حفظه للقرءان ؟ . ان مما كان معهودا ان الطالب القروي لا يتعاطى تعلم العلم الا بعد حفظه للقرءان ، حتى ولو ادى ذلك الى تقضية سنوات معدودات زيادة على الحد القانوني . فان من وسائل المحافظة على التوازن بالنسبة لنمو السكان ان يتدربوا على تاخير الزواج الى نحو الخامسة والعشرين ، وانما يتم لهم ذلك اذا كان لهم عمل اساسي يحتاج الى مدة اطول .

لن يفترض للقيام بهذه التعديلات احداث ميزانيات مالية جديدة ، وانما يحتاج الى تشجيع ادبي وتحبيذ من جانب الولاة ، والى ارجاع التصرف فى مساجد البادية للجماعة تحت اشراف الدولة .

هذه جوانب من العناية بالقرءان ، جوانب يقصد بها وجه الله فى غير جلبة ولا ضوضاء ، ومن حق وزارة الشؤون الاسلامية ان تجدد طرائق العمل فى تشريعات مبسطة خالية من التعقيد الاداري ، مستندة الى كريم الاعراف ومساعدة ذوي النوايا الطيبة على ما يؤدي الى تطبيق تعاليم القرءان ، وتمهيد الطريق امام المتقين الاخيار . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

تطوان : التهامي الوزاني

من وحي الذكرى

وحدة المسلمين في ظلال العرش

للشاعر علال الهاشمي الفيلالي

قالوا العروبة والاسلام .. قلت لهم :   العرش رمزهما فى الاطلس البطل ..
عرش الحضارة .. هذا الكون يعرفـه   فى ظله ينبت الايمـان بالمثـل
لو ينزل الوحى بالايات ، كان لـه   وحى الزعامة فى سياسة الـدول

اضاءنا العيد .. فاهتاجت عواطفنا   والحب يسكر .. كم فى الحب من ثمل..
لولا غد بهبات العرش يغمرنا   نورا ، تسلسل يوم العيد فى الازل
لو رغبة الاطلس الجبار كافية   اتى يمجد باب القصر بالقبل
لكن فرسانه ــ والخيل قد ركضت   بين الزغاريد ــ فى بشر وفى جذل
لله من عازف لحنا ، ومنفعل   أو حامل راية .. أو موقد الشعل
تموج الشعب أرواحا وعاطفة   فى مهرجان جليل بالمنى حفل

يا ثائرا نهضت بالشعب ثورته   اسق العطاش كؤوس الفوز بالامل
تبنى الحضارة، تحيى الشعب.. انت لنا   كالروح للجسم ، والابصار للمقل
بسطت ظلك فى الصحراء ، فانتفضت   وجادها وابل من غيثك الهطل
غنى بحبك فلاح نهضت به   نشوان يمرح فى انعامك الجزل
واسترجع العامل الاحلام زاهية   فلم يعد خائفا من غيلة العلل
يسير الغد .. للانماء .. موكبنا   على يديك الى شط المنى الخضل
طلعت فى جبهة الدنيا .. وقد حليت   بك الحياة ..وصنت المجد عن عطل

أحببت بالعدل والتقوى هدى (عمر)   يسوس ملكا برأى غير ذى خطـل

أقمت (دار حديث) شمسها سطعت   عبر الوجود ... وسارت مضرب المثل

أنشأتها لبناء الجيـل .. تغمـره   نورا .. وتحفظ خطو الشعب من زلل

تساءلت أمة الاسلام ، أين لهـا   زعيم وحدتها فى مجهل السبـل ؟

بلى ، ــ وحق خلود العرش فى وطنى ــ   هذا زعيمك يوم الموقـف الجلـل

رسالة العرش ان تبنى حضارتنـا   على العلوم ، على الاخلاص فى العمل

ووحدة الصف من أسمى مبادئنـا   مكاننا فى غـد قيـادة الـدول

يا دعـوة الملـك الغالـى لمؤتمـر   ليصبح العرب صفا غير منفصـل

دوى نداؤك فى الآفاق ، فارتعـدت   فرائص الظلم من خوف ومن وجـل

واستيقن (القدس) يبكى الجرح ان له   فيك المحرر من جرم ومن دجـل

غدا سيجتمع الابطال فى وطنـى   وينزلون مقامـا وارف الظلـل

يا شعر .. ان جئت تغشى ظل مجلسهم   فقل لهم : ثورة فى الشعب لم تـزل ..

نهوى السلاح ، ولكن من مصانعنـا ،   عمادنا ثروة فى تربتنـا الجـزل

مهلا فلسطين مهلا ... اننا عـرب   سنزرع النصر فى واديك والجبـل

شعب العروبة ثار اليوم ثورتـه   وليس يرضى سوى استقلالك العجل

رجعت للزمـن الماضـى اسائلـه   عن قادة فى سداد الرأى كالرسـل

وعدت للعصـر مفتونـا بساستـه   هل من زعيم بقلب الشعب متصل ..؟

وطاف بى الشعر حلو الجرس .. منبعه   هواى فى ملكى .. لذاك يسلس لـى

عرائس الفن هامت فى محاسنـه   سمت معانيه فوق الحب والغـزل

من حكمة الحسن الثانى سما وطنـى   يسير من أمل حلو الـى أمـل

لبيك انا جنود العرش .. يا ملكـى   شعارنا الحب .. والاخلاص فى العمـل

مولاى عش لنفوس انت منيتهـا   فحولك الشعب ان تأمره يمتثـل

الرباط : علال الهاشمى الفيلالى



فى ظل عرشك يجمل التغريد ... فلانت فى نطق الخلود نشيد
يكفيك فخرا فى بلاد قدتها ... ان الجميع شعاره التوحيد
أفلا يحق لنا وأنت امامنا ... أنا نشيد مجدنا ونسود ؟
ما هبت الازمات فى أوطاننا ... الا وأنت الى الامان معيد
ما خاب شعب صنته وهديته ... للمكرمات ، وأنت فيه تقود
فاذا أردت فان دهرك طائع ... يعنو اليك كما تشا وتريد
طوبى لشعب للمزايا قدته ... فمصيره بين الانام سعيد
هامت بك العلياء فى أمجادها ... والنصر أنت لواؤه المعقود
قد سدت بالاسلام فى أخلاقه ... اذ أنت تاج زانه التمجيد
شيدت للقرآن ركنا شامخا ... والسعى منك موفق محمود
هتفت بك الاكوان من أعماقها ... فالعيد أنت يحوطك التاييد
والورد تحت خطاك مفروش هنا ... والارض أكباد لنا وخدود
لو شئت للتاج الرفيع جواهرا ... هبت اليك من القلوب وفود
أو شئت من شتى الروائع آية ... فجميع عهدك للبناء شهود
أو شئت عقدا من سواد عيوننا ... لسعت اليك من العيون عقود
أو شئت من أعلاقنا ونفوسنا ... كنزا ، لكنا بالجميع نجود
أعطيتنا مثلا ، فقمنا قومة ... فيها انبعاث للبلاد وطيد

أرجعت للاوطان عهدا زاهرا   ترويه منك سواعد وسدود

لن تبلغ الآمال الا أمة   تسعى حثيثا للعلا وتزيد

فمحبة العرش المجيد عقيدة   ما حدها فى العالمين حدود

للعرش أخلصنا ، ونحو ندائه   قد هب أبناء لنا وجدود

عاشوا أباة الضيم أحرارا ، فلم   يهنوا ، ولا كانت هناك قيود

أعجب بأحرار تسامى طبعهم   وهمو لاحسان المليك عبيد !

والعرش سر وجودنا وأماننا   لولاه لم يك للسلام وجود

لبيك يا بطل البلاد وحصنها   فلنحن حولك فى النضال جنود

كم أضرم الدخلاء من نار لهم   وهمو لها يوم الحساب وقود

مولاى عرشك فى القلوب موطد ،   والعرش تمكين لنا وخلود

أدهشت كل العالمين بحكمة   ومهارة تبدى لهم وتعيد

*

هذى (فلسطين) الشهيدة فى الورى   — والهفتى ! — فردوسنا المفقود

كم من طريد بينها ومعذب   ودم مراق يرتضيه شهيد

واحسرتاه على الديار وأهلها   فالدمع فى جرح القلوب صديد !!

عقدت عليك رجاءها وخلاصها   فالشرق فى بلوائها مفؤود

فلانت أجدر بالفداء ويومه   ولانت من يحمى الحمى ويذود

هذا عدو الله عاث ضراوة   فى ثالث الحرمين وهو عنيد

قد داس ساح (المسجد الاقصى) ومن   أهدافه التخريب والتهويد

فمتى يزول الضيم عن أرض الهدى   ويلوح فى تلك الربوع العيد ؟

ومتى تزاح (القدس) عن أرض الخنا؟   ويلوح فيها الصبح وهو جديد

ومتى يؤم النازحون ديارهم ؟   ومتى تطهر أرضهم فيعودوا

لهفى عليهم فى الخيام وفى الخصا   صة ، والعدو على الكرام حقود

لهفى على الآساد حل محلها   — واخيبتاه ! — ثعالب وقرود

لهفى على الحق المداس تنكـــرا : طبع اللئـــام تنكـــر وجحـــود
أين الاباة من استجابوا للعـــلا ؟ أين الجحاجح والكماة الصيـــد ؟
مهما يطل مكر العـداة وكيدهـــم ، فالله يمكـر فوقهـــم ويكيـــد
ستزول من جيش الدخيل فلولـــه ويزول تهديـد لـــه ووعيـــد
فالعـرب قوم يثأرون لعزهـــم ، اذ بأسهم يوم الفـــداء شديـــد
هذى فلسطين سيبســـم بالكفـــا ح وبالبطولة يومهـا المشهـــود

❋

يا حامى الدين الحنيف تحيـــة ، ترعاك من رب العبـــاد عهـــود
شكر الاله لك المساعـى كلهـــا اذ أنت فينـــا ظلـه الممـــدود
آتاك فى ظـل البنـــود مهابـــة حتى يزول البـؤس والتشريـــد
ويزيدنى شرفا على شـرف بأنـــ ـى فى الورى (حسانك) الغريـــد
صان الاله ولى عهـــدك دائمـــا فمحمد عـــز لنـــا وصعـــود
وليبق عرشـك للبـــلاد يصونـــها فالمجد عنـدك طـــارف وتليـــد
مرحى لعهدك يا مليكـــى انـــه عهد سعيـد ، كلـــه تشييـــد !
وجهودك الجلى فـــلاح كلهـــا لم تخف منك مطامـــح وجهـــود
والشعب فى اخلاصـــه وولائـــه ديوان شعـــر كلـــه تمجيـــد
فى العيد اذ تبدى لديـك ولاءهـــا حجت اليك جحافـــل وحشـــود
فمن السماء لك العنايـــة دائمـــا ومن العبـــاد يحفـــك التاييـــد

الرباط : محمد بن محمد العلمى

نشاط الدراسات اللغوية في المغرب العلوي

للأستاذ : محمد المنوني

مقدمـــــة :

ان الحقب المعني بالامر هنا يمتد من ظهــور الدولة العلوية الى اواخر القرن الثالث عشر للهجرة ، حيث انتعشت دراسات اللغة العربية ، ونشطت اكثر فى الفترة الاولى من هذا الحقب .

والى جانب اثر الدولة فى هذا ، يوجد عامـل آخر يرجع الى تأثير الزاوية الدلائية ، حيث استمـر طابعه واضحا — فى صدر هذا العهد بالخصوص — فى اللغة والادب وغيرهما . وقد صادفت هذه الانتعاشة مرحلة وفرة المؤلفات بالمغرب ، فكثر فى اللغة العربيـة — نسبيا — الموضوعات المغربية .

وكان الكتاب المتداول اكثر ، هو « القامـــوس المحيط » للفيروزابادى ، وسنرى — فيما بعد — مدى خدمة المغاربة له : بالتدريس والتعليق عليه من طرف زمرة من الاعلام ، اضافوا الى معارفهم المتنوعة عناية خاصة باللغة ، ويبلغ عدد هؤلاء وغيرهم 27 اسما ، بينهم مؤلفون كتبوا 19 موضوعا ، وفيهم عدد كانـوا يقومون بتدريس « القاموس » — كلا او بعضا — لطلاب اللغة — وعدد آخر اهتموا بتصحيح متنه ومعارضتـه بأصول متعددة بعضها يرجع الى اصل المؤلف نفســه .

على ان كتاب « الصحاح » للجوهري لم يعـدم مكانته فى هذا العهد ، وعلى حد تعبير محمد بن الطيب الشرقي (1) : « فان كتاب الصحاح ، اجمع ايمة اللغة انه بمنزلة صحيح البخاري بالنسبة الى باقي الصحاح »، وعبارة غيره (2) : « فهو من كتب اللغة بمثابة الصحيحين من كتب الحديث » .

وسنتبين بعد : ان هذه الانبعاثة اللغوية تنقسم الى فترتين : تمتد الاولى الى اواخر القرن الثالث عشر للهجرة ، حيث ظهر افراد متضلعون فى اللغة ، ووضع بعضهم مؤلفات لغوية اصيلة ، وفى الفترة الثانية اخذت هذه الانتعاشة تسير نحو الانحدار : فانقطع تدريـس « القاموس » ، وانعدمت الاصالة من المؤلفات ، التي اصبحت ترجيعا لصدى بعض موضوعات الفترة الاولى، وستقف هذه المرحلة الثانية عند أواخر القرن الثالـث عشر للهجرة .

اما تصنيف هذه الدراسة فسيسير حسب المواضيع التالية :

اولا — مؤلفون واساتذة القاموس .

ثانيا — لغويون لم يؤلفوا .

ثالثا — وراقون معتمدون فى نسخ القاموس .

رابعا — اهتمامات اخرى بالقاموس .

خامسا — خطبة حاشية القاموس لمحمد الطيب الشركى .

---

1) فى خطبة تعليقته على القاموس الاتية الذكر .

2) ابي زيد عبد الرحمن بن عبد العزيز التادلي ثم المدني، فى خطبة كتابه الاتي الذكر : « الوشاح وتثقيف الرماح فى رد توهيم المجد الصحاح » ، ص 3 .

أولا — مؤلفون وأساتذة القاموس

1 — ابو علي الحسن بن مسعود اليوسي المتوفى عام (3) 1102 هـ / 1691 م ، الف : « زهر الاكم في الامثال والحكم » ، ولم يتمه ، لا يزال مخطوطا في خزائن خاصة وعامة ، ومنه نسخة مذيلة بمراجع الكتاب . خ . ع . ك 1679 .

2 — ابو العباس احمد بن علي بن عبد الرحمن الجرندي الاندلسي الفاسي ، المتوفى عام 1125 هـ / 1713 م (4) ، وضع حاشية على القاموس (5) لا تزال غير معروفة .

3 — محمد بن احمد بن المسناوي بن محمد بن ابي بكر الدلائي ، الشهير بالمسناوي ، الفاسي ، المتوفى عام 1136 هـ / 1724 م (6) ، من اساتذة القاموس بفاس ، قراه عليه محمد بن الطيب الشركي — آتي الذكر — قراءة بحث واتقان على حد تعبيره (7) ، ولما استعرض في طالعة « تاج العروس » (8) المؤلفين الذين استدركوا على القاموس ، نسب للمترجم كتابة في هذا الصدد ، وهذه لا تزال غير معروفة أيضا .

4 — محمد بن احمد بن الشاذلي بن محمد بن ابي بكر الدلائي ، الفاسي ، المتوفى عام 1137 هـ / 24 — 1725 م (9) ، مطلع على غرائب اللغة العربية (10) ، وقد قرنه محمد بن الطيب الشركي مع المسناوي : في قراءة القاموس عليهما قراءة بحث واتقان (11) .

5 — ابو العباس احمد بن علي الوجاري القضاعي الاندلسي الغرناطي ، ثم الفاسي المتوفى عام 1141 هـ 1729م (12) ، احد اعلام النحو واللغة والتصريف وايام العرب (13) ... وهو — ايضا — من اساتذة محمد بن الطيب الشركي في القاموس ، حيث سمع عليه كثيرا من مباحثه ومواده (14) ، وقد كتب ملخصا للقاموس توجد مخطوطته بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك1690 . في حجم متوسط ، من 289 ص .

6 — عبد المجيد بن علي بن محمد المؤذن بن علي المنوفي بن أحمد ، المدعو الزبادي ، الحسني ، الفاسي المتوفى عام 1163 هـ / 1750 م (15) ، ماهر في علم اللغة امام فيه (16) ، وقد ذكر في هذا القسم لتسجيل اليد الكبرى التي له في اقتراح جمع حاشية القاموس لمحمد بن الطيب الشركي ، الذي اثبت في طالعة هذه الحاشية قطعة من رسالة خاطبه بها المترجم في هذا الصدد ، وجاء فيها بعد كلام أورد فيه اسئلة في فنون مختلفة :

« ... فاذا حقق لنا سيدنا — بارك الله فيه — تلك المسائل ، واوضح لنا فيها الحق من الباطل ، فلينجز لنا وعده الصادق دون اهمال ، ويهمل علينا من هاطل سحائب فضله وبوعده الصادق اي اهمال ، بان يؤلف لنا الكتاب الذي كنا سألناه منه نحن وجميع من شملته هذه الحضرة الفاسية من أعيان الاماثل السراة ذوي العدد ، في اصطلاحات القاموس التي لم يحص « كذا » منها في

---

(3) انظر عن ترجمته وبعض مراجعها : « معجم المؤلفين » لرضا كحالة ج 3 ص 294 — 295 .
(4) ترجمته ومراجعها في « سلوة الانفاس » ج 2 ص 16 — 17 .
(5) محمد الفاسي : تاريخ الدراسات اللغوية بالمغرب الاقصى ، مجلة دعوة الحق ، السنة الثالثة ، العدد العاشر — ص 38 .
(6) ترجمته ومراجعها في « سلوة الانفاس » ج 3 ص 44 — 47 .
(7) « تاج العروس من جواهر القاموس » ، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، المطبعة الخيرية بالقاهرة ، 1306 — ج 1 ص 15 ، وتفيد عبارة ابن الطيب في حاشية القاموس : انه انما قرا على المسناوي خطبة القاموس واكثر مواده .
(8) ج 1 ص 3 .
(9) ترجمته ومراجعها في سلوة الانفاس ج 3 ص 47 — 48 .
(10) « ثمرة انسي في التعريف بنفسي » لابي الربيع سليمان الحوات ، مخطوطة خاصة
(11) « تاج العروس » — ج 1 ص 15 .
(12) ترجمته ومراجعها في « سلوة الانفاس » ج 2 ص 148 — 149 .
(13) « نفس المصدر » ج 2 ص 148 .
(14) « تاج العروس » — ج 1 ص 15 .
(15) ترجمته ومراجعها في « سلوة الانفاس » ج 2 ص 184 — 187 .
(16) « نشر المثاني » ج 2 ص 257 ، مع « الرياض الربانية » ، مخطوطة خ . ع . ك 497 ، ص 368

خطبته ، ويبين لنا سيدنا ما استقرىء من عاداته، وينبهنا عن المواضع المنتقدة فيه ، وهل اعتراضاته على الجوهري صحيحة ام لا ، وعلى م يتكل هو والجوهري في ضبط وسط الكلمة اذا كان محتاجا للتنبيه على نقطه حيث يفقد شبيهه فلا يدري المفقود هل هو من المعجم او من المهمل ... وهل ما يفعله صاحب القاموس من تقديم المادة الرباعية والخماسية على الثلاثية تارة وتاخيرها عنها اخرى له نكتة ام لا ، بينوا لنا ذلك بيانا شافيا، ولكم الاجر الجزيل والثواب .

والحاصل انا وجميع اهل العلم في غاية الحاجة الى هذا التأليف ، وقد رجونا ان تاتي فيه بما لا مزيد عليه من الاتقان والحسن وكثرة الفوائد ، وما يناسب هذا المعنى من عادة الجوهري وغيره من كتب اللغة المشاهير ، ولا نكلفك بما فيه عليك مشقة ويحتاج الى طول زمان ، وانما نريد منكم ما حضر وسهل مما تعتاده من خزائن صدوركم من النفائس والذخائر ، المزرية باللآلي والجواهر وانت خبير بأن هذه المسالة اكيدة ، وانها مفتقرة لعلومك الوافرة المديدة ، وانك ان لم تتولها ، فلا انا حسن لها ، فبين صوابها ، واغتنم ثوابها ... »

والى هنا ينتهي المراد من هذه الرسالة ، حيث يتبين مدى الإد التي للمترجم في جمع هذه الحاشية ، وإرضا في تصميم تصنيفها .

7 — ابو العباس احمد الملقب الحبيب بن محمد الملقب الغماري ، الصديقي ، السجلماسي ، المتوفى عام 1165 هـ / 1751 م (17) ، اخذ عنه ابو العباس الهلالي — آتي الذكر — خطبة القاموس (18) .

8 — محمد بن الطيب الشركي الصميلي الفاسي . ولد بفاس عام 1110 هـ / 98 — 1699 م ، وبها تعلم ، وكان سكناه بالدرب الطويل (19) من عدوة القرويين . وهو — في ختام خطبة القاموس — يورد سنده الى مؤلف الكتاب . ويصدره بذكر اشياخه الفاسيين هكذا :

« اما القاموس — على الخصوص — فقد قرأنا خطبته واكثر مواده — قراءة بحث — على شيخنا الامام العلامة ابي عبد الله محمد بن احمد الشاذلي (20) ، وشيخ الجماعة ، الامام الكبير ، ابي عبد الله محمد بن احمد المسناوي ، وسمعت كثيرا من مباحثه ومواده ، على الشيخ البركة ، نحوي العصر ولغويه ، ابي العباس احمد بن علي الوجاري الاندلسي ... » .

وقد كون المترجم بفاس نهضة لغوية راينا صداها في رسالة عبد المجيد الزبادي الآنفة الذكر ، ولما رحل للمشرق كان من بين طلابه محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، الذي يقول عن استاذه في طالعة شرح القاموس (21) : « وهو عمدتي في هذا الفن ، والمقلد جيدي العاطل بحلي تقريره المستحسن » .

وبالمشرق — ايضا — اخذ عن المترجم ابو العباس الهلالي — آتي الذكر — ، حيث قرا عليه خطبة القاموس قراءة بحث وتحقيق على حد تعبير الهلالي ، الذي قال في تحليته : « اشد من رايته عناية بعلم اللغة ، واحرصهم على مدي سوابقها ان يبلغه » ، وكانت قراءته على المترجم في خلوته بالمسجد الحرام تجاه البيت العتيق .

وقد وصفه — ايضا — المرادي (23) بانه كان له الباع الطويل في اللغة والحديث ، وقال عنه محمد الطالب ابن الحاج : « لم يكن في زمانه احفظ منه بالنحو واللغة والتصريف والاشعار ، اماما في التفسير والحديث والتصوف والفقه (24) » .

ويشهد المترجم على نفسه بأن له تضلعا قويا في اللغة ، وفي هذا يقول اوائل خطبة حاشيته على القاموس :

« وقد كنت ممن نبغ في هذه العلوم الشريفة ، ونبع بعيونها الفائقة وتفيأ ظلالها الوريفة ، وغاص قاموس بحرها ، وصاغ قابوس نحرها ، وتعرف الوحشي منها

---

17) ترجمته في نشر المثاني ج 2 ص 264 .
18) طالعة فتح القدوس في شرح خطبة القاموس : المخطوطة الاتية الذكر .
19) « سلوك الطريق الوارية ، في الشيخ والمريد والزاوية » لمحمد بن علي الزبادي مخطوطة خاصة — اثناء ترجمة المترجم .
20) سقطت كلمة « ابن » قبل الشاذلي .
21) ج 1 ص 3 .
22) طالعة « فتح القدوس في شرح خطبة القاموس » ، المخطوطة الاتية الذكر .
23) سلك الدرر ج 4 ص 94 .
24) نقله في فهرس الفهارس ج 2 ص 396 .

والمتداول ، وتصرف فى المختصر من دواوينها والمتطاول، ولم يزل معاني معانيها دهرا ، حتى تالوا تحبها قلـــت بهرا » .

كما يمتاز المترجم باستقلال الراي ، حسب هذه الفقرة الواردة فى مقدمة موطئه الفصيح :

« ولم اكن ممن ديدنه التقليد لاحد من البشر .

ولست بامعة فى الرجـــال
اسائل هذا وذا ما الخبـــر

ولكن ادور مع الحق حيث ما دار ، واتصـــف بالانصاف بتوفيق الله تعالى لانه منار الفهم الذي عليه المدار ، ولست ممن يرى لتقدم الزمان فضيلة ، او يهتضم المتاخر فى حقيرة او جليلة ... » .

ولا شك ان فى طليعة مؤلفاته « أ » حاشيـــة القاموس ، التى سماها : « اضاءة الراموس ، واضافة الناموس ، على اضاءة القاموس » .

وكما سبق عن الزبادي : فان تدوين هذه الموسوعة مدين لطلبه مع جمع ذوي عدد من اعيان الافاضل السراة بالحضرة الفاسية ، ويؤكد المترجم هذا ، فيذكر فى اول الحاشية ان اشياخه الاساتذة ، واصحابـــه الجهابذة ، طلبوا منه جمعها ، ثم جاء فى ختامها :

« وقد انجزنا وعد السائل : « يقصد الزبادي »، وانجزنا الجواب عما ساله من المسائل ، رغبة فى جلب الدعاء منه وممن شاركه فى السؤال من اهل الحضرة الفاسية من اعيان الافاضل ، ومن شاركهم فى بقايا الافاق من كل فاضل ... » .

لاتزال هذه الحاشية مخطوطة ، وقد تعـددت نسخها بالمغرب فى الخزائن العامة والخاصة ، ويوجد منها فى خصوص المكتبة الملكية بالرباط تسع نسخ جلها تامة ، وتحمل الارقام التالية :

244 — 246 — 544 — 1071 — 1658 — 2522 — 4976 — 6111 — 7991 ، ومن الجدير بالذكر ان هذه النسخ كلها مكتوبة بخطوط مغربية .

ومن المؤلفات اللغوية الاخرى للمترجم : « ب » « موطئه الفصيح لموطاة الفصيح » ، وهو اسم شرح نظم فصيح ثعلب ، لمالك ابن المرحل السبتي ، منه نسخة غير تامة فى مجلد ضخم يحمل رقم 1563 فى الفهرس الجديد للمكتبة الزيدانية بمكناس ، ويوجـد الجزء الاول منه بدار الكتب المصرية تحت رقـــم 179 (25) ، وهناك قطعة من اوله ضمن مجموع خاص ص 675 — 765 ، بخط صالح الفلاني (26) وتعليقاته التي يناقش فى بعضها المؤلف .

ج — «شرح كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ» لابراهيم ابن اسماعيل الطرابلسي المعروف بابن الاجدابي ، بدار الكتب المصرية رقم 14 ش ، بخط علي الجزائري كتبه للشيخ محمد محمود بن التلاميـــذ التركيـــزي الشنجيطي (27) .

وهذه ثلاثة مؤلفات لغوية اخرى للمترجم لا تعرف الا من خلال ذكرها فى حاشية القاموس :

د — ضوء القابوس ، فى زوائد الصحاح علـى القاموس .

هـ — حاشية على درة الغواص للحريري .

و — المسفر عن خبايا المزهر للسيوطي .

واخيرا فان وفاته كانت بمستقره الاخير بالمدينة المنورة عام 1170 هـ / 1757 م ، ودفن بمشهـــد السيدة حليمة (28) .

9 — ابو العباس احمد بن عبد العزيز بن الرشيد الهلالي السجلماسي المدغري ، المتوفى عام 1175 هـ/ 1761م (29) وهو ممن استقرا القاموس واقراه ، فقد قال فى خطبة اضاءة الادموس (30) الاتية الذكر : «أما بعد

---

25) « فهرس دار الكتب المصرية » ج 2 ص 42 .
26) هو عالم سوداني مسوفي مترجم فى فهرس الفهارس ج 2 ص 264 — 269 .
27) فهرس دار الكتب المصرية ج 2 ص 19 .
28) ترجمته وبعض مراجعها فى معجم المؤلفين ج 10 ص 111 ، وفى سلوك الطريق الوارية المخطوطة السالفة الذكر .
29) ترجمته فى نشر المثاني ج 2 ص 273 — 277 ، وتوجد مع بعض مراجعها فى معجم المؤلفين ج 1 ص 275 — 276 .
30) ط . ف . ص 2 ، مع الرجوع الى مخطوطتها الاتية الذكر .

فانه قد حصل لي ــ بحمد الله ــ من مطالعة القاموس واستقرائه ، ومباحثة الافاضل عند قراءة بعضه واقرائه ، ما يستحسنه النجيب ، ويستعظمه الاريب، من اصطلاحه العجيب ... » ، ومن مؤلفاته اللغوية :

أ ــ « فتح القدوس ، فى شرح خطبة القاموس » ، مخطوط فى سفر وسط ، ومحفوظ فى خزائن عامة وخاصة .

ب ــ « اضاءة الادموس ، ورياضة الشموس(31) من اصطلاح صاحب القاموس » ، طبع بالمطبعة الحجرية الفاسية ، بمطبعة العربى الازرق عام 1323هـ ومنه نسخة مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط تحمل رقم 2557 ، وهي مقابلة مع اصل صحيح عليه خط المؤلف، على يد العربي بن محمد الدمناتي ، فى 27 جمدى الثانية عام 1243 هـ .

ج ــ ونسب له فى طالعة تاج العروس (32) شرحا حسنا على القاموس ، وهذا غير معروف ، ولم يذكره مترجموه ، والغالب انه التبس بفتح القدوس ، الذي هو شرح لخطبة القاموس كما رأينا آنفا .

د ــ هذا وقد جاء فى فهرس المخطوطات العربية (33) ما يلي :

« اسعاف اللب الانوس بالاهم المانوس ، من مصطلح صاحب القاموس » ــ تاليف ابي العباس احمد ابن عبد العزيز ، أوله : « حمدا لمن جعل علم اللغة لسائر العلوم مفتاحا..» ، رتبه على اربعة اصول وخاتمة، نسخة بقلم مغربي ، فى 33 ورقة ، مسطرتها 10 أسطر (5254 هـ) .

فهل احمد بن عبد العزيز هو المترجم ، وهل هذا مؤلف آخر له فى اللغة ؟

10) عبد الرحمن بن عبد العزيز المغربي التادلي ثم المدني المصري ، الف كتاب « الوشاح وتثقيف الرماح فى رد توهيم المجد الصحاح » ، رتبه على ترتيب اصله وادرج فيه ما اخذ على الجوهري من التصحيف مما ذكره السيوطي فى المزهر ولم ينتقده صاحب القاموس .

طبع على هامش الصحاح ومفردا ، وقد كانت هذه الطبعة المفردة بالمطبعة الكبرى ببولاق « مصر »، عام 1281 هـ ، فى 134 ص ، من حجم متوسط .

ولم اقف ــ الان ــ على ترجمة هذا المؤلف ، وليس فى كتابه ما يحدد عصره ، سوى ما جاء فى ص 12 من ذكر الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي كشيخ لشيوخه ، وقد كانت وفاة هذا فى عام 1134 هـ (34) .

11 ــ محمد الحبيب بن عبد القادر الفلالي ، كان مدرسا فى مدرسة تازروالت بسوس ، ثم استوطن المدينة المنورة حيث كان بها فى مفتتح عام 1243 هـ / 1827 م ، وقد وضع نظما فى اصطلاح القاموس سماه الانفس المانوس (35) .

12 ــ محمد بن عبد القادر الكلالي الحسيني الشهير بالكردودي الفاسي ، المتوفى عام 1268 هـ /

---

31) فى النسخة المطبوعة : ورياضة النفوس .
32) ج 1 ص 3 .
33) ج 1 ص 45 ، وهو عبارة عن نشرة بالمخطوطات التي اقتنتها دار الكتب المصرية من سنة 1936 ــ 1955 ، تصنيف فؤاد سيد ، أمين المخطوطات بالدار
34) « فهرس الفهارس » ج 1 ص 136 ، وقد وقفت بعد هذا على ذكر المترجم عبد الرحمن التادلي عند ابي راس المعسكري فى رحلته : « فتح الاله ومنته ، فى التحدث بفضل ربي ونعمته » ، مخطوطة خ ، ع ، ك 2263 ، حيث اورد ذكره فى موضعين : ص 45 ــ 46 ، وص 95 ــ 96 ، وهو يسميه بالشيخ عبد الرحمن التادلي اصلا ونجارا ، المكي منشئا ودارا ، ووفاة واقبارا ، ويصفه بأوصاف عالية ، منها الباع الواسع فى طريق القوم واللغة ، ثم يذكر انه قرا عليه شرح الامام ابن عباد على الحكم العطائية بمكة المشرفة عام 1205 هـ ... » . كما يذكر انه اتخذ مكة وطيبة دارا ، ومن هنا جاء وصفه بالمدني .
35) المعسول ج 8 ص 206 .

1852 م ، (36) كان له اعتناء كبير بعلم اللغة (37) ، وقد نظم اضاءة الادموس للهلالي في ارجوزة سماها بحل العروس ، واقتصر فيها على القواعد وحذف الزوائد ، وهي مطبوعة بالمطبعة الحجرية الفاسية بذيل اضاءة الادموس ، في التاريخ الانف الذكر .

13 — محمد بن احمد بن محمد السوسي المراكشي اكنسوس ، المتوفى عام 1294 هـ / 1877 م (38) ، قام بتصحيح متن القاموس ومعارضته بعشرات النسخ الصحيحة ، مع تهميشه بالتصحيحات والفروق بين النسخ ، وبتعليقات عليه قد يناقش في بعضها محمد بن الطيب الشركي في الحاشية ، وكان قيامه بهذا التصحيح باقتراح من وزير الدولة الرحمانية محمد العربي بن المختار الجامعي (39) .

وقد تحدث المترجم عن عمله هذا في اكثر من رسالة خاطب بها هذا الوزير (40) ؛ حيث يذكر انه عارض متن القاموس بخمسين نسخة معتمدة ، فيها النسخة الكبيرة التي كتبها ادراق بخطه في سفر واحد (41) ، وكان يعاونه في هذا العمل اربعة من نجباء اصحابه ، يجلس معهم من الشروق الى الزوال ، ويتتبعون الالفاظ والكلمات : واحدة واحدة ، مدة تزيد على سنتين ، حتى تم التصحيح وتوابعه في مفتتح عام 1271 هـ / 1854 م .

وفي هذا التاريخ خاطب المترجم الوزير الجامعي يخبره بانجاز المهمة ، ويشرح الجهد المضني الذي عاناه ومنهجه في التصحيح ، وهو يقول في هذا الصدد:

« .. اما بعد : فليعلم الواقف عليه .. ان الله — جل وعلا ، بفضله واحسانه ، وعونه وامتنانه — قد اكمل مقابلة هذا الكتاب المبارك ، والمبالغة في تصحيحه ، وتخليصه من آثار الغلط ، وتنقيحه في مواده واعرابه ، وتبيين ما يحتاج الى التبيين من عويصه واغرابه ، وتحري ما هو الصواب عند اختلاف الاصول وتعارضها ، ومراجعة مواده او مواد غيره ان امكن بذلك كشف غوامضها ، والا اثبتنا من النسخ في الهامش ما يحتمله المقام ، ولا تعتريه العلل المنافية ولا الاسقام وذلك بعد اعداد المقدور عليه من النسخ العديدة: «50» القديمة المعتمدة والجديدة ، مما ذكر بالصحة واشتهر ، وظهر عليه من قرائن ذلك ما ظهر ، مع اجتناب القلق الموجب للملل ، واعتماد التاني البالغ في استقراء استصلاح الخلل ، عاكفين في الدياجير والهواجير ، ذائذين لحوائم الكرى عن ورود المحاجر ، حتى تخلص — بحمد الله — خلوص الابريز ، وتهيأت قابليته للترصيع والتطريز ، وصار واجبا على كل معتن ان يجعله قدوته وامامه ، وحتما على كل محصل ان لا يلقي الا اليه زمامه ، فمن كان ناقدا بصيرا ، وللحق وليا ونصيرا ، ورأى غير هذه النسخة ثم رأى هذه واختبرها الغى كل ما سواها واعتبرها ، ولو حلف بأكيد الايمان ، انه لا مثل لها في هذا الزمان ، لكان — ان شاء الله بارا في قسمه ، مجريا للصدق على مرسمه ..

---

36) ترجمته في سلوة الانفاس ج 2 ص 333 .

37) « ذكر من اشتهر امره وانتشر ممن بعد الستين من اهل القرن الثالث عشر » للقاضي عبد الهادي بن احمد الصقلي الحسيني ، مخطوطة خاصة .

38) ترجمته في الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ج 6 ص 19 — 28 ، وفواصل الجمان لمحمد غريط ، ص 7 — 40 .

39) ترجمته في فواصل الجمان ص 61 — 63 .

40) هناك مجموعة رسائل من مخاطبات المترجم للوزير محمد العربي الجامعي المذكور ، تقع في جزء صغير ضمن مجموع ، خ ، ع ك 2276 ، ص 361 — 393 وقد اقتبست من رسالتين منها ما ذكرته في هذا الصدد ، وفي «الاعلام» المراكشي تحدث — لدى ترجمة اكنسوس — عن هذه المجموعة ج 6 ص 28 وقال : ورسائل المترجم التي خاطب بها الوزير الجامعي : جمعها الوزير الجامعي ، وهي في نحو خمس كراريس ، ابلغ من تاريخه » .

41) لم يذكر اسم ادراق الذي هو لقب لعائلة تعدد فيها العلماء والاطباء ؛ وقد جاء في ترجمة عبد الوهاب بن احمد ادراق المتوفى في عام 1159 هـ : ان له معرفة باللغة « نشر المثاني » ج 2 ص 251 ، فهل هو هذا ؟ وقد كان طرق سمعي من زمان ان نسخة من القاموس بخط ادراق صارت الى مكتبة العلامة الفاضل القاضي محمد الصديق الفاسي الفهري بسطات ، فلعلها هي هذه .

وغاية ما يقال : انه احسن مظهر ظهر في زمانه، وانه لو بذل فيه كل متمول لكان قليلا في أثمانه ، هذا : ومدة ذؤوبنا على تصحيحه تزيد على سنتين .. » .

ومن حسن الحظ ان هذه النسخة من القاموس المتحدث عنها لا تزال بقيد الوجود ، حيث تحتفظ بها المكتبة الملكية بالرباط تحت رقم 8112 ، في ثلاث مجلدات مختلفة الحجم ، وهي خالية من اية اشارة لقصة تصحيحها او التعريف بها ، ولكنها مهمشة بخط المترجم اكنسوس « المعروف » ، بالتصحيحات والفروق بين النسخ وبعض التعليقات ، وفق ما اشارت له الرسالة الانفة الذكر ، كما يوجد على اول كل من المجلدات الثلاثة ملكية بخط العربي بن المختار الجامعي المقترح لهذا العمل ، وقد كتبت هذه النسخة بخطوط متنوعة ومتفاوتة في الحسن ، ملونة وخالية من تاريخ الانتساخ : المجلد الاول بخط احمد بن عبد الكريم بن عبد العزيز بن عبد الرزاق ؟ والثاني بخط المذكور الى نحو النصف ، وباقية متمم بخط اكنسوس الذي لم يعلن عن اسمه ، والثالث مجهول الناسخ .

14 — محمد الامين بن عبد الله بن محمد الامين الحجاجي الجعفري الصحراوي ثم المراكشي المتوفى عام 1295 هـ / 1878 م (42) ، سكن مدينة مراكش زهاء 40 سنة ، وكان له شغف باللغة وحفظ لكثير من حوشيها (43) ، وقد قام — هو الاخر — بنظم اضاءة الادموس للهلالي ، في ارجوزة سماها « استضاءة الشموس فيما حوت اضاءة الادموس » ، ثم شرحها باسم « الروض الانيس في شرح استضاءة الشموس فيما حوت اضاءة الادموس » ، شرع في هذا الشرح أوائل عام 1257 هـ واتمه يوم الثلاثاء 20 رجب من نفس العام ، ونبه فيه على مسائل ارتكب فيها خلاف الصواب ، منه نسخة مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ج 126 ، في 274 ص من حجم متوسط .

ثانيا — لغويون لم يؤلفوا

15 — محمد الشاذلي بن محمد بن ابي بكر الدلائي ثم الفاسي ، المتوفى عام 1103 هـ / 1692 م ، انفرد في عصره بعلم اللغة وحفظ ايام العرب واقوالها وحكمها وامثالها (44) .

16 — محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحدابن زاكور الفاسي ، المتوفى عام 1120 هـ 1708 م (45) ، كان اليه المرجع في النحو واللغة والعروض في وقته(46)

17 — محمد بن احمد بن محمد بن علال بن محمد ابن جلون الفاسي ، المتوفى عام 1136 هـ / 1724 م ، يستحضر اللغة ويقوم في الاستشهاد عليها بالشواهد الغريبة (47) .

18 — محمد بن الحسين الجندوز المصمودي ثم الفاسي ، المتوفى عام 1148 هـ / 1735 م (48) ، محقق للعلوم العربية ، حافظ لغريب اللغة (49) .

19 — محمد الجيلاني بن أحمد بن السيد المختار السباعي الحسني ، المتوفى عام 1213 هـ / 1798 — 1799 م ، يقال عنه : انه استجمع واستظهر كتاب القاموس حفظا واتقانا (50) .

---

(42) ترجمته في الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ج 6 ص 33 — 40 .
(43) المصدر الاخير ج 6 ص 33 .
(44) عند ترجمته من سلوة الانفاس ج 2 ص 96 — 98 .
(45) ترجمته ومراجعها في المصدر الاخير ج 3 ص 180 .
(46) « المورد الهني باخبار مولاي عبد السلام القادري الحسني » لمحمد بن احمد ابن محمد بن ابي السعود الفاسي الفهري ، مخطوط خ ، ع ، ضمن مجموع يحمل رقم ك 1234 — ص 265 .
(47) في ترجمة من « الروضة المقصودة » لسليمان الحوات ، مخطوطة خاصة ، وانظر عن ترجمته — ايضا — فهرسة محمد التاودي ابن سودة المـري ، مخطوطة خاصة .
(48) ترجمته ومراجعها في سلوة الانفاس ج 1 ص 235 — 236 .
(49) الروضة المقصودة : المخطوطة الانفة الذكر .
(50) انظر ترجمته من فهرس الفهارس ج 1 ص 217 — 218 ، مع الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ج 5 ص 144 — 152 .

20 — محمد بن عبد السلام بن العربي الفاسي الفهري المتوفى عام 1214 هـ / 1799 م (51) ، قال عنه ابو الربيع الحوات (52) : « صاحب الملكة التي ليست لغيره من أشياخه فضلا عمن دونهم ، في العلوم العربية : من نحو وتصريف ولغة ، مع الوقوف على غريبها ، وحفظ ما ندمن شواهدها ، ومزيد الضبط والاتقان » ، وحلاه محمد الطالب ابن الحاج (53) : بالاستاذ اللغوي الحجة .

ثالثا : وراقون معتمدون في نسخ القاموس .

والمعني بالامر هنا ثلاثة :

21 — احمد بن ابي القاسم (بن محمد الخياط) ابراهيم الدكالي (المشترائي) (54) ، لم اقف على تاريخ وفاته ، وكان بقيد الحياة اواسط عام 1203 هـ / 1789 م .

كتب بخطه نسخة من القاموس المحيط في مجلدين وفرغ من انتساخها في منتصف شعبان عام 1203 هـ ، بسجلماسة ، وقد سلسل في ختام المجلدين اصول هذه النسخة : واحدا فواحدا حتى الاصل الذي عليه خط المؤلف ، وهو يذكر انه كتب نسخته هذه من اصل بخط محمد الملقب بالقرشي بن عبد الملك بن الحاج السجلماسي (55) ، الذي فرغ منه يوم الخميس مهل رجب الفرد ، عام 1193 هـ ، وهذا نقل من اصل بخط الفقيه الحسن بن احمد الحايكي البشابشي (56) ، ووقع الفراغ من كتابته ضحوة الخميس 8 قعدة عام 1137 هـ ، وفي ختام المجلد الاول جاء في اصل الحائكي: انه كتبه من اصلين : احدهما — وهو الاكثر اعتمادا — بخط الفقيه سيدي احمد بن حمدان التلمساني (57) ، والاخر بخط مشرقي ، وفي آخره ما نصه : كتبت هذه النسخة من نسخة موثوق بها ، مكتوب في آخرها : نقلت هذه النسخة من نسخة عليها خط مؤلفها ..

ثم في ختام المجلد الثاني من اصل الحائكي ايضا يذكر انه وقع في آخر الاصل الذي نسخ منه : انه نجز عشية السبت 17 قعدة عام 871 هـ بالاسكندرية ، على يد محمد بن عبد العزيز بن مسلم بن غازي (58)، وذكر الناسخ في اصله ما يلي :

كتبت هذه النسخة من نسختين جليلتين احداهما مصرية ، مفروغا لبها على المصنف ، وبعد وفاة المصنف توبلت جميعها على خطه مع مشايخ الديار المصرية ، والثانية يمنية ، مشمولة بخط مصنف الكتاب من أولها الى آخرها ، مقروة عليه جميعها ، آخر كل مجلس خطه الكريم ، اسكنه الله دار النعيم ، وفي آخر النسخة اليمنية ما صورته : « كمل — بحمد الله — تصحيح الكتاب ، بقراءة كاتبه على مؤلفه : اضعف خلق الله ، قراءة بينه متقنة في مدة قليلة ، دلت على سعادة مالكها: خليفة الله في خليقته ، ولله — سبحانه — الحمد على جزيل انعامه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » ، وفي آخر الاصل المصري بخط المؤلف ما صورته : « بلغ العراض من اول الكتاب الى فصل الراء — وعليه البلاغ — بأصلي ، ومن أول باب الضاد الى باب النون تباعا ، وكتب مؤلفه محمد الفيروزابادي » .

ثم ذكر هذا الناسخ الاخير بيمنة اصله انه قابله ثلاث مرات ، ويعلق الحائكي على هذا ويقول : « وهو صادق رحمة الله عليه ، فلقد كنت اتطلب نسخة صحيحة منذ عشرين سنة او ازيد ، فلم اعثر على ما يقرب من نسخة الاصل ، فلله در من لطفا به غليلي ، وشفا علتي وقطع عويلي ... »

(51) ترجمته ومراجعها في سلوة الانفاس ج 2 ص 318 — 319 .
(52) ثمرة انسي في التعريف بنفسي المخطوطة السالفة الذكر .
(53) الازهار الطيبة النشر . فيما يتعلق ببعض العلوم من المبادىء العشر ط . ف . عام 1317 — ص 61 .
(54) اجرى ذكره في « ثمرة انسي » محليا له بالفقيه الاديب الميقاتي بالحضرة السلطانية والمنار القروي .
(55) وقع رفع نسبه آخر المجلد الثاني هكذا : محمد الملقب بالقرشي بن عبد الملك بن الحاج ابراهيم بن الطيب بن محمد بن السيد قاسم بن الامام الشهير ابراهيم بن هلال السجلماسي ولم اقف على ترجمته .
(56) لم اقف على ترجمته .
(57) لم اقف على ترجمته .
(58) لم اقف على ترجمته .

هذه سلسلة اصول نسخة القاموس المغربية ، التي خطها — بيده — احمد ابن ابراهيم الدكالي الفاسي بسجلماسة ، حيث وقف — ايضا — على نسخة الحائكي ، وقد بالغ فى الاعتناء بها : بتجويد كتابتها بخطه المغربي الجوهر المليح ، على غرار نساخة الخطاطين من اهل بيته ، مع جدولة وتلوين وترويق ، ثم حلى هوامشها بالفروق بين النسخ ، وبشروح ينقلها عن مصادر مختلفة ، وهي — بمجلديها الاثنين — معدودة من ذخائر المكتبة الملكية تحت رقم 8148 .

22 — محمد بن ادريس بن محمد العمراوي الفاسي الشهير بابن الحاج ، المتوفى عام 1264 هـ 1847 م (59) ، يوجد بخطه نسخة تامة من القاموس فى مجلدين ، كتبها من نسخة شرقية جيدة منقولة من النسخة المشهورة المصححة ، الكائنة برواق الاروام بالازهر الشريف ، « المكتبة الملكية رقم 7807 ، وقد ذكر اكنسوس (60) من بين منتسخات المترجم نسختين من القاموس باعها بثمن مرتفع .

23 — محمد بن احمد البناني ، المراكشي النشاة والدار ، الفاسي الاصل ، النفزي النجار ، هكذا سمى نفسه آخر منتسخه الاتي ، والمؤرخ بعام 1279هـ 1862 م ، وقد اورد ذكره محمد العربي المشرفي فى نزهة الابصار (61) فى هذه الفقرة :

« ومنهم الفقيه العلامة ، ابو عبد الله السيد محمد بناني ، فصيح اللسان والقلم ، فاق اقرانه فى جودة الخط فهو فيه مفرد علم ، مارس كتب القاموس ، فكانت نسخه التي كتبها بيده لا تعاقب فى الصحة ، اخرج منها بخط يده مجلدات كثيرة ، وقد اشرف على حفظ مواده ، وكان يعرف اصطلاحه ، وله معرفة فى اللغة والنحو والتصريف ورجال الحديث ... » .

ولا تزال نسخة مما كتبه من القاموس محفوظة بالمكتبة الملكية فى مجلد واحد مستطيل يحمل رقم2508 وخطها مغربي مجوهر مدموج حسن ملون مجدول ، مهمش كثيرا فى الخطبة ، وقليلا فيما سواها ، تلوح على كتابتها سيما الوراقة المراكشية ، مع عناية بترقيم صفحات الكتاب ، البالغة 625 ص ، فرغ من انتساخها — لنفسه — اوائل جمادى الاولى عام 1279هـ

رابعا — اهتمامات اخرى بالقاموس

24 — احمد بن محمد بن قاسم ابن زاكور الفاسي المتوفى عام 1176 هـ (62)/1762 م ، له : « اعفاء العين والاثر من السقم والضرر » ، وهو تقييد مشتمل على ما فى القاموس المحيط من ادواء وادوية ، وكلمات طبية ، اقترح عليه جمعه بعض الاخوان ، حين شرع فى نسخ هذا الكتاب ، فاستخرجه فى 15 ورقة من الحجم المتوسط ، وفرغ منه فى 12 رمضان عام 1155 هـ بقصر تاوريرت ، وقفت على نسخة منه خطية عند قاضي الاحكام بسلا ، العلامة المعتني ، محمد المامون البدراوي الحسني ، فى صيف عام 1385 هـ / 1965م صحبة المؤرخ الجليل ابي خليل عبد السلام ابن سودة المري .

ادريس بن الوزير محمد بن ادريس العمراوي الفاسي ، المتوفى عام 1296 هـ (63) / 1879 م ، كتب تنويها حارا بالطبعة الاولى للقاموس الواقعة بمطبعة بولاق بمصر عام 1272 هـ ، وسجل بهذا الصدى الذي حدث بالمغرب لنشر هذا الكتاب ، وهو يقول فى هذا فى صدد محاسن المطبعة (64) :

« ... وهذه نسخة القاموس المطبوعة — عام اثنين وسبعين — بمصر ، يباهي بوجودها هذا العصر ، لا تجد فى النسخ القديمة مثلها ولا ما يقرب منها ، فقد

---

59) ترجمته فى سلوة الانفاس ج 2 ص 362 — 363 ، واتحاف اعلام الناس ج 4 ص 189 — 239 ، والاعلام بمن حل بمراكش وغيرها من الاعلام ، ج 5 ص 263 — 292 ، وفواصل الجمان ص 40 — 60 .

60) الجيش العرمرم ط . ف — ج 2 ص 151 .

61) اسمها الكامل : « نزهة الابصار ، لذوي المعرفة والاستبصار ، تنفي عن المتكاسل الوسن ، فى مناقب احمد بن محمد وولده الحسن » ، خ ، ع ، ك 579 — ص 476 .

62) ترجمته فى سلوة الانفاس ج 3 ص 353 .

63) ترجمته فى اتحاف اعلام الناس ج 2 ص 32 — 41 ، مع فواصل الجمان ص 142 — 162 .

64) فى رحلته : تحفة الملك العزيز بمملكة باريز ط . المطبعة الحفيظية السلكية بفاس ص 54 — 55 .

كانت عدت عليها ايدي الناسخين حتى عجزت عن تداركها عقول الراسخين ، وكادت تنبذ لاجل التحريف ، وتطرح لاجل التصحيف (65) ، مع شرف موقعه من الدين ، واعتناء المتاخرين به والمتقدمين ، حتى قيض الله له بعض علماء مصر فصرفوا اليه وجه اعتنائهم ، بهمة دولتهم ورؤسائهم ، فجاءت هذه النسخة في غاية الاتقان ، وبرزت في ميدان الجودة والاحسان ، واتسمت حسنتها في غرة الدهر ، وفاز الساعون فيها بعظيم الاجر وجميل الذكر ، ومن عجيب سعدها انها تباع بنصف ثمن النسخ المحرفة » .

26 — ابو الحسن علال بن عبد الله الفاسي الفهري ، المتوفى عام 1314 هـ / 1896 م ، له تجريد المفردات الطبية الواردة في القاموس مع شرحها (66) .

27 — محمد بن محمد بن ابراهيم العلمي الحسني الفاسي ، المتوفى عام 1373 هـ / 1954 م ، الف : جوهرة وماسة ، في شعراء القاموس والحماسة في مجلد (67) .

خامسا — خطبة حاشية القاموس لمحمد بن الطيب الشركي

سبحان من القاموس المحيط رشحه من آثار آياته ، والقابوس الوسيط لمحة من انوار آياته ، فله الحمد على ما قلدنا من عقد صحاح جوهري الآيه ، واولانا من لباب محكم ولائه ، انطقنا — جلت حكمته ، وبمنطقنا جالت نعمته — بالنعم السوابغ ، واذاقنا حلاوة بارع لسان العرب ، ما دونه الفائق المهذب من تطر الندى وارتشاف الضرب ، وقرب لنا جمهرة خلاصة التنقيح والتهذيب غاية التقريب ، واتاحنا من صراح المجد اللغوي ما نهاية الفصيح المختار المنتخب ان يستضيء بنور مصباحه المزهر ففيه الكفاية عن كل مصنف غريب ، والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على من اتام اساس مجد الدين ابي الطاهر محمد بن الطيب ابي الطيب الطاهر ابن الاطايب الاطاهر ، المعرب عن كل مغرب معجز من الاي الظواهر ، وناهيك بالقرآن العربي المبين الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد باطن ظاهر ، فلذلك لو اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثله لا ياتون بسورة من مثله ولو كان بعضهم لبعض اقوى ظهير ظاهر ، وعلى آله الذين هم طراز الديوان وعين المجمع ، واصحابه الذين اعيا عباب بحر فضلهم المجمل فضلا عن المفصل عارضة الاحوذي اليلمع ، ما قام امام له المام باطلاع المنطق في عكاظ البلاغة فحكظ بسر صناعة كل معاكظ ، واقام همام له اهتمام بنوادر اجناس اليواقيت اللغوية ذا مجاز حقيقة الحقيقة والمجاز فلم يكظه عن تلك المقامات واكظ ، لانه المومن على اتقانها الجامع لمنظم قلائد عقيانها اللازم لاشادة نهايتها الواكظ.

اما بعد فان اولى ما يعتني به المعنى بالعلوم المهمة ، واغنى ما يغتني به الغني بالتحصيل في علو الهمة ، الغوص في قاموس اللغات ، والحرص على اقتباس قابوس الكلم النابغات ، والتضلع بالوحشي الغريب ، والتمتع بالبعيد والقريب ، فبذلك يحوز العلوم باسرها ، ويجوز في المشكلات الى فكاك اسرها . وتعنوا له المعاني ، غنية عن معاقات المعاني . ويحبي في كل العلوم منحة التسهيل والتيسير ، ويجبي اليه ثمرات خصوصي الحديث والتفسير . وقد كنت ممن نبغ في هذه العلوم الشريفة ، ونبع بعيونها الفائضة . وتفيا ظلالها الوريفة ، وغاص قاموس بحرها ، وصاغ قابوس نحرها ، وتعرف الوحشي منها والمتداول ، وتصرف في المختصر من دواوينها والمتطاول ، ولم يزل معاني معانيها دهرا ، حتى قالوا تحبها قلت بهرا . وفي اثناء القراءة والاقراء ، والاستقصاء للمصنفات والاستقراء ، رايت المجد الشيرازي يكثر في قاموسه من الاعتراضات على الصحاح ، ويجعل اهم اعراضه واتم اغراضه الالحاف في ذلك والالحاح، ويتابع في الرد، وياتي بالسديد الذي لا يحمله سد ، ورايت بعض المدعين يقلدونه في كلامه ، ويعتقدون — لقصورهم — تصويب اعتراضاته عليه وملامه ، مع أن كتاب الصحاح

---

65) هذا باعتبار غالب النسخ المغربية .

66) محمد الفاسي تاريخ الدراسات اللغوية بالمغرب الاقصى ، مجلة دعوة الحق ، السنة الثالثة ، العدد العاشر — ص 40 ، وانظر عن ترجمته سلوة الانفاس ج 2 ص 302 .

67) هذا كان — رحمه الله — يذكره في مجالسه ، وانظر عن ترجمته سل النصال للنضال بالاشياخ واهل الكمال للمؤرخ ابي خليل عبد السلام ابن سودة المري ، مخطوطة المؤلف .

أجمع أئمة اللغة انه بمنزلة صحيح البخاري بالنسبة الى باقي الصحاح ، دون غيره من باقي كتب اللغة الصحاح ، فلما رأيته اكثر من التنديد عليه ، وبالغ في عزو الاوهام اليه ، انتصرت لابي نصر ، وعارضت اعتراضاته بالفتح والنصر ، وجعلت ارد ما يسورده مشروحا في شرحي لمصنفات اللغة ، واتعقبه في الدروس اكمل التعقيب وابلغه ، وملأت من اوهامه الزائدة شرحي لكفاية المتحفظ ولنظم الفصيح ، وابديت في غيرهما ما تقر به عين اللغوي الفصيح ، فلما وقف على ذلك اشياخنا الاساتذة ، واصحابنا الجهابذة ، تاقت نفوسهم الى جمع ذلك في تعليق مستقل بايضاح ما هنالك ، فاخذوا يلحون علي ، ويتوسلون في ذلك الي ، وانا اعتذر من الخوض في البحر ، واقول ما لبحر البحر الا البحر ، حتى غبت مرة عن الاوطان لقضاء بعض الاوطار ، وابقيت قلوب الاحباب ما منها الا ما كاد يطير او طار ، فورد علي في جملة كتب منهم ، كتاب من صاحبنا الاديب البارع المحصل الصوفي ، السيد الشريف ابي محمد عبد المجيد الصوفي (68) ادام الله رعايته ، وجعل في الخيرات سعايته ، يتضمن السؤال عن مسائل كثيرة ، تغفل عن ادراكها العقول الاثيرة ، من جملتها استنجاز وعد شرح غوامض القاموس ، والكشف عما تضمنه اصطلاحه من الناموس ، قال في صدره ، بعد حمد الله وشكره :

سيدنا الذي ما زال يبذل جهده في الافادة ، وفتح الزاد والرفادة ، فهو لنا بحر من الفوائد والعوائد لا نخشى نفاذه ، وسيدنا العريق في السيادة ، الغريق في بحر الكرم والمجادة ، المعروف بالاحكام والاجادة ، وشمسنا الذي استوى الاطناب في وصفها والايجاز لشهرتها في المشارق والمغارب والحجاز ، العلامة النحرير ، المغني بالتحقيق والتحرير ، وايضاح المشكلات وتقريرها باحسن تقرير ، الغيث الهامع الصبيب والروض اليانع الطيب ، شيخنا الامام ابو عبد الله سيدي محمد بن الطيب ، طيب الله حياته ، واشرق على الآفاق آيته ، سلام على سيدنا ورحمة الله وبركاته ، ورضوانه وتحياته ، وآلاؤه وكراماته ، من ذي ود عذب مشربه وصفا ، وقرب منكم وما جفا ، وأحب توددكم واصطفى ، وعهد رست اطواده ورسخت اوتاده ، وحب اوثق من الجبال ، وارشق للفؤاد من النبال ، سائلا عن احوالكم المرضية ، واشغالهم النفلية والفرضية ، جعل الله ذلك على سنن رضاه ، وسنن نبيه ومرتضاه ، صلى الله عليه وعلى آله وعلى كل من ارضاه ، حامدا لكم مولاكم على ما اولاكم ، من آلائه التي اعظمها نشر العلم وبثه ، وركض جواد الفطنة وحثه ، سائلا منه تعالى ان يمدكم بالقدوة والعون والتوفيق ، وان يلهمكم تحقيق الصواب وصواب التحقيق ، ثم بعد كلام اورد فيه اسئلة في فنون مختلفة قال :

فاذا حقق لنا سيدنا — بارك الله فيه — تلك المسائل ، واوضح لنا فيها الحق من الباطل ، فلينجز لنا وعده الصادق دون اهمال ، ويهمل علينا من هاطل سحائب فضله ورعده الصادق اي اهمال ، بان يؤلف لنا الكتاب الذي كنا سألناه منه نحن وجميع من شملته هذه الحضرة الفاسية من أعيان الافاضل السراة ذوي المدد ، في اصطلاحات القاموس التي لم يحض (69) بها في خطبته ، ويبين لنا سيدنا ما استقرىء من عاداته وينبهنا عن المواضع المنتقدة فيه ، وهل اعتراضاته على الجوهري صحيحة أم لا ، وعلى م يتكل هو والجوهري في ضبط وسط الكلمة اذا كان محتاجا للتنبيه على نقطه حيث يفقد شبيهه ، فلا يدري المفقود هل هو من المعجم او من المهمل ، نحو غذم وغذوم قبلهما غثم وبعدهما غرم ، وقد اعجم النساخ ذالهما بالقلم في جميع الفاظ المادة ، فان كان ذلك في الواقع كذلك ، فحقه أن يقول غذم بالمعجمة ليعلم ان غدم — بالمهملة — مهملة في كلام العرب او لم يحتفظها هو ، وحيث سكت عنها فالاصل عندي ان تكون مهملة ، لانها وقعت في محلها فلا تحتاج للتنبيه ، وتكون حينئذ غدرم محتملة للامرين ، لانها رباعية فلابد فيها ايضا من التنبيه ، اما لو تعين اعجام غذم فلا اشكال في اعجام غذرم من غير تنبيه ، وقد كنت اقف كثيرا على نحو ذلك في القاموس ، ولم تحضرني الآن نسخة منه فأمثل منه ، وعند الجوهري عظم بين عشم وعلم ، فلم ندر هل ظاؤه مهملة أم معجمة ، وهي عندي مهملة وفي النسخ معجمة ، وكذلك عنده بعد فلحم فلذم ، قال فيها ابن السكيت الفيلذم البير العزيزة الماء وذكر الشاهد ، وفي الكفاية : وماء فليذم اذا كان كثيرا

---

(68) هو الشيخ عبد المجيد الزبادي سادس اللغويين في هذه الدراسة ، والصوفي لقب لاسرته ، حسبما بينه في رحلته التي تحتفظ الخزانة العامة بمخطوطتين منها : اجودهما رقم ك 398 ، ثم د 1808 .

(69) هكذا في النسخ التي رجعت اليها .

متسعا ، وهو في نسختي بالراء ، والزاي ساقط من الصحاح راسا ، وانما فيه الذال وهي عندي راء مهملة وفي النسخ معجمة ، وذكر بعده القلهذم : البحر الكثير الماء ، والقلهذم ايضا الخفيف ، ولم يذكر اعجام الذال ولا اهمالها ، والتنبيه متعين هنا وهي في النسخ معجمة فما السر في ذلك ؟ وكذلك ما اشبهه من التاء والثاء والجيم والحاء والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والفاء والقاف ، وعلى فرض الاعجام هو الاصل فلينبه على الاهمال ، واما السكوت على كل منهما فهو ملبس وليس بصواب عندي ، واليك النظر في ذلك ، لانك العلم المفرد في ذلك، وهل ما يفصله صاحب القاموس من تقديم المادة الرباعية والخماسية على الثلاثية تارة وتأخيرها عنها اخرى له نكتة ام لا ؟ بينوا لنا ذلك بيانا شافيا ولكم الاجر الجزيل والثواب ، والحاصل انا وجميع اهل العلم في غاية الحاجة الى هذا التاليف ، وقد رجونا أن تاتي فيه بما لا مزيد عليه في الاتقان والحسن وكثرة الفوائد، وما يناسب هذا المعنى من عادة الجوهري وغيره من كتب اللغة المشاهير ، ولا نكلفك بما فيه عليك مشقة ويحتاج الى طول زمان ، وانما نريد منكم ما حضر وسهل مما نعتاده من خزائن صدوركم من النفائس والذخائر ، المزرية باللالي والجواهر ، وانت خبير بأن هذه المسالة اكيدة ، وانها مفتقرة لعلومك الوافرة المديدة ، وانك ان لم تتولها فلا ابا حسن لها ، فبين صوابها واغتنم ثوابها، والله تعالى يبقيك منفعة للعباد ، ومرشدا للحاضرة والباد ، وسندا يقع عليه الاعتماد .

ثم طلب الاجازة ، واستحث انجازه ، فلم يمكني اهمال مسالة الكتاب دون بقية المسائل ، لانه ترجيح مرجح وتقضي لعزم السائل ، ولا سيما وقد تعددت الوسائل في ذلك والوسائل ، فاستخرت الله وجددت النظر ، فيما فيه بحث المجد ونظر ، ووقفت اثناء مطالعتي على اغلاط له واضحة، واوهام ارتكبها مخالفا للجماء الغفير فاضحة ، وتقصيرات اوجبها ادعاء الاحاطة ، فجمعت ذلك ابدع جمع ، واودعته من التحقيقات ما تقر بتقريره العين ويصغى الى صوغه السمع .

فباحت لوفق النحور تجسدت
لازرت بدر في عقود وعقبان

جدير لها طيب الثناء لو انها
قديمة عهد او غريبة اوطان

وقد انقل ما اودعته تلك الشروح وغيرها الى هذا التعليق ، لانه كالشرح فهو بغيره لا يليق .

فالورد في زمن الربيع طلوعه
والعقد ليس يزين غير الجيد

فان جمعه في مواضعه اسرى واستر ، وضم ضمائره في مراجعه اقرب لمراجعته واسرى وايسر ، فان وفى بغرض السائل ، واكتفى بما حواه من مقاصد المسائل ووصائل الوسائل ، فتلك منة من كامل الحول والمنة ، والا فلست مسترطا في البيع البراءة من العيب ، اذ النزاهة المطلقة وصف عالم الشهادة والغيب ، على اني ما امليت سطرا منه الا في شطر من الارض ، ولا عاينت معنى الا وانا ابن ارض أو فوقذات ارض .

يوما بفاس وفي مكناسة زمنا
وتارة في زوايا العم والخال

وبرهة سفري صفرو وآونة
تازي وطورا ارى افلي الفلا الخالي

مع مفارقة الاصول ، المرجوع اليها في هذه الابواب والفصول ، الا ما علق بالبال ، أو علق في طرس بال ، وقرائح بقروح الاهوال قرائح ، وجرائح بجروح الاحوال جرائح ، وافكار جوامد ، واسرار خوامد ، وقلب متقلب ، وفؤاد مفود متالب والدهر هد الظهر بالحدثان والاشجان ، وبريبه وصروفه قد طال ما اشجان ، وقت وما وقت ، أحواله كلها مقت ، اندثر فيه من السلم علمه ، وانتثر في اديم الحلم حلمه ، وانقضى حد العرفان ورسمه ، ولم يبق فيه من العلم الا اسمه ، وكل واحد من هذه العوارض كاف في بسط العذر لمن حلى بالانصاف خلاله، أو خال وما اخاله . يخال خلا خلاله ، على اني اسأل الله تعالى ان يفيض محاسنه ، ويجعله خالصا لوجهه الكريم ، وينفع به كل اريم ، بمحمد وآله .

الرباط : محمد المنوني

ملوك الدولة العلوية

في خدمة كتاب الله الأكبر

بقلم محمد محيي الدين المشرفي
مدير المركز الوطني للتعريب

« ان الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة ، الا تخافوا ، ولا تحزنوا ، وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون » . (قرءان كريم)

جرت العادة منذ ان اشرقت شمس هذه الدولة العلوية الشريفة على ارجاء المغرب الاقصى ان يوجه ملوكها الميامين بالغ اهتمامهم للعلم والعلماء ، والفقهاء والدارسين ممن انعم الله عليهم باكتناز كتاب الله في صدورهم وتحفيظه للناشئين . وليس في ذلك ما يدعو الى الاستغراب ؛ فالتاريخ يعلمنا انهم ما فتئوا يعملون على نشر السنة والدين ، معتمدين في ذلك على الكتاب والحديث ، مقدمين يد المساعدة الى كل من سخره الخالق سبحانه لاقراء كتابه المبين ، وذلك بتقديم المال والعطاء للمعلمين خاصة،علما منهم ــ قدس الله ارواحهم واسكنهم الجنة التي وعد بها عباده المتقين ــ ان هذه الامة لا تزال بخير ما بقي فيها كتاب الله محفوظا في الصدور واليه يلجأ في السراء والضراء .

* * *

والواقع ان المغرب الاقصى بقي ، والحمد لله ، بعناية الله محفوظا منذ ان وصلت اليه الدعوة الاسلامية وخصوصا بعد ما وضع الله امر هذه الامة بين يدي ملوك الدولة العلوية ، ويكفي للاستدلال على هذا الفضل ، ان نشير الى ما يتوفر عليه من المساجد والكتاتيب الموجودة في كل جهة من جهات هذا البلد الامين ، لا فرق بين السهول والجبال والقرى والحواضر ، وهي مساجد وكتاتيب سيبقى اسم الله يتلى فيها الى يوم الدين ، ويقرا فيها كتابه لمن اراد ان يتفقه في امور دينه من الصغار والكبار بغية الاستنارة بتعاليمه القيمة في الحياة ، واستعدادا ليوم النشر ، وما ادراك ما يوم النشر !

ومما يؤيد عناية الملوك العلويين بالقرءان ان السياح والوافدين على بلادنا من الخارج للاطلاع على مظاهر الحضارة المغربية تاخذهم الدهشة لما يشاهدونه من تمسك اهل هذا البلد الامين بامور الدين ، ومحافظتهم على تعاليم القرءان الكريم ، وهم يستدلون على ذلك في اخبارهم ورواياتهم بما يشاهدونه في كل مكان من زوايا وكتاتيب ومساجد يعمرها فقهاء ومؤدبون ، اخذوا على انفسهم تدريس مبادىء العلوم وتحفيظ كتاب الله العزيز بما يشعرون به من رغبة باطنية ظاهرة وما يجدونه في أنفسهم من استعداد فطري للقيام بعمل يرتقبون من ورائه ثوابا من الله وجزاء ممن بيدهم زمام هذه الدولة .

وقد ظل تبعا لذلك كتاب الله محفوظا بهذه الديار فى صدور الرجال والنساء فى بعض الاحيان ، بحيث اصبح المغرب الاقصى فى هذا القرن احد البلدان الاسلامية القليلة التي لا يزال يحفظ فيها القرءان حفظا ويدرس تدريسا يصح الاطمئنان اليه ، ذلك ان الفقهاء فى المغرب يعودون فى كل حين الى الكتاب لتحفيظه للصبيان بل يعتمدون فى ذلك على قوة حافظتهم التي مكنتهم من وعيه وحفظه سالما فى صدورهم ، وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده الصالحين !

ان الاهتمام بالعلم والعلماء عموما والقرءان الكريم بصفة خاصة يعتبر سلوكا طبيعيا فى ملوك الدولة العلوية منذ ان استتب امرها باذن الله فى هذه البلاد . ومن الممكن ان نبرهن على ذلك بما عرفناه من مواقف بطولية فى هذا الميدان اختص بها ملوك ثلاثة من فحول الدولة العلوية الشريفة ، نذكر فى مقدمتهم مولاي اسماعيل ، وما كان يقدمه من خدمات جلى لحفاظ القرءان الكريم ، والعاملين على التعريف به ونشره ، كما نشير فى هذا المقام الى الملك العالم سيدي محمد ابن عبد الله الذي يستحق كل تنويه نظرا للمآثر التي خلدها ذكره فى ميدان التاليف وتدريس علوم القرءان ، فضلا عن المعونة المادية التي كان يوجهها للمؤدبين ومعلمي كتاب الله وما يقدمه لهم من نصائح وارشادات لا تصدر الا عن نفس متمسكة بتعاليم كتاب الله وما لها من المام ودراية واسعة باساليب التعليم على العموم وكيفية تدريس مادة القرءان الكريم على الخصوص .

يضاف الى ما تقدم للدلالة على خدمة الملوك العلويين لكتاب الله الاكبر ، تلك العناية الفائقة التي يوليها جلالة الملك المعظم الحسن الثاني لحفاظ كتاب الله وعلماء الدين بما اقامه هذه السنة من حفلات بلغت اقصى مظاهر الروعة بمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم .

* * *

اما مولاي اسماعيل فيحدثنا التاريخ بانه كان شغوفا بالعلم والعلماء ، ينفق عليهم بغير حساب ، ويبذل العطاء للمحصلين من طلبة العلم بعد الاختبار والامتحان طبعا ؛ يؤكد ذلك ما جاء فى شهادة احد الرحالة الانكليز « ستيورت » ، وهو يتحدث عن مشاهدته لمدينة مكناس اذ يقول : « توجد بهذه المدينة مدارس عديدة يتعلم فيها الصبيان الكتابة والقراءة والحساب ، ويحفظون القرءان عن ظهر قلب ؛ فاذا ما حفظوه اشترى لهم آباؤهم افراسا هدية ، ويتناولون المصحف بأيديهم ، ويركبون الافراس يتفسحون عليها، وتاتي اليهم اجواق الطرب ، وسائر صبيان المكتب تذهب للتفسح مع المحتفل به ، حافظ القرءان ، وبعد ذلك فمن اراد منهم قراءة الفقه يتوجه للمساجد » .

ومن المظاهر التي تدل على تقدير مولاي اسماعيل للعلماء والاعلاء من شانهم استدعاؤه لحملة العلم وائمة الامة من العلماء الامجاد الى قصره العامر ، بمناسبة ختم احدهم تفسير القرءان الكريم ، كذلك استدعى قدس الله روحه فى جمادى الاولى من سنة 1100 هـ طائفة من علماء فاس لقصره العامر لحضور ختم الامام عبد الله المجاصي تفسير القرءان الكريم ، وكان الختم ببيته الخاص بالقصر الملكي العامر ، وبه نصب المنبر للفقيه المذكور . وبعد الفراغ من درس الختم افيض على الضيوف الكرام ، قادة الامة وائمتها الاعلام ما لذ وراق من فاخر الاطعمة ، وكان اكرم الله مثواه هو المتولي لنفسه صب الماء على ضيوفه العظام ، كما تولى تفريق الجوائز بيده الكريمة على مستحقيها تبركا بالعلم والعلماء ، وخدمة لكتاب الله الاكبر .

هذا ويخبرنا التاريخ انه كان يستقدم من مختلف اقاليم المملكة الخطاطين الذين يتقنون نسخ الكتب العلمية القيمة وفى مقدمتها تلك تهتم بدراسة علوم الدين ، ويجري عليهم الجرايات الضافية ، ثم يخصصهم برواق من قصره العامر للقيام باعمالهم الفنية ، ولا يفتر عن تفقدهم فى الصباح والمساء للاطلاع على ما ينجزونه من اعمال علمية فنية ، ثم لا يلبث ان يبذل لهم العطايا ويمنحهم الاراضي والمنازل الانيقة جزاء لهم بما قدمت ايديهم .

ويؤكد بالاضافة الى ما تقدم ازدهار العلم في ايام مولاي اسماعيل ما جاء فى « الظل الوريف » لصاحبه عبد الله اليفرني اذ يقول بالحرف : « حدثنا غير واحد ممن طعن فى السن من اشياخنا ، قال : كنا فى زمن الشبيبة نطلب العلم ونسأل عن مسائله ، خصوصا علم المنطق ، فلا نجد من يتقن مسائله على صورتها ، ولا نلقى من تضلع به ، بل كانت الارجوزة المسماة بالسلم لا يعرفها غير رجل او رجلين ، فلما مهد الله لهذه الدولة الاكناف وأسمى قدرها واناف ، تدفقت على الناس العلوم ، وذللت صعاب الفنون حتى عاد صغار الطلبة يعرفون فنونا عديدة ولهم فيها عارضة مديدة ، وقد تخرج فى هذه الدولة السعيدة جماعة من

الاعلام ، لهم القدم الراسخة في العلم ، واليد الطولى في الاتقان ، والفوا تاليف حسنة ومنهم من فسر كتاب الله عز وجل ، ووضع عليه تقييدا فائقا ، ومنهـم من شرح الموطا للامام مالك او الشفاء للقاضي عياض ، او مختصر خليل او الفية ابن مالك ، ووضع على ابن هشام حاشية ، ومنهم من شرح السلم او السبكي او عقيدة السنوسي ، وما من علم الا الف فيه علماء هذه الدولة وابدأوا فيه واعادوا ووقعوا على الغوامض التي لم يعثر عليها من مضى » .

ويستطرد اليفرني في الحديث عن انتشار العلم وخاصة علوم القرءان بالمغرب في ايام مولاي اسماعيل فيقول : « وقد تلقيت من غير واحد ان القبيلة كانت قبل هذه المدة لا يوجد فيها الا طالب واحد ، وربما يحتاج احد من اهل مدشر او دوار لمن يقرا له رسالة، فلا يوجد من يحسنها حتى يرحل المسافات البعيدة لطالب يذكر له . اما الان فكل مدشر ودوار بل كل خيمة فيها طالب » . يستخلص مما تقدم دليل قاطع على اهتمام مولاي اسماعيل اهتماما زائدا بالعلوم والقرءان ، وتقديم يد المساعدة لمن كان يهتم به حفظا وتعليقا ونشرا داخل الكتاتيب القرءانية والمدارس العلمية المنتشرة هنا وهناك في جميع اقاليم المملكة .

اما سيدي محمد بن عبد الله فتعتبر حياته بحق صفحة مذهبة من تاريخنا المجيد لما كان عليه من سعة في العلم وشغف بنشره وحرص على اكرام اهله وذويه من العلماء والمدرسين . كان سيدي محمد بن عبد الله اماما من علماء الاسلام انصرفت عنايته قبل الملك الى مدارسة العلماء والمحدثين بمراكش ، فيجلس معهم ويناقشهم في كثير من المسائل العلمية بروح ثاقبة نافذة ، ومن اياديه البيضاء حضه العلماء على نشر العلم وبثه بالتدريس والتاليف وحملهم على شرح امهات الكتب المتعلقة بعلوم القرآن، ورغم ما كان يقوم به من اعباء الملك فلم يقف ـ طيب الله ثراه ـ عند المطالبة بتصنيف المصنفات بل الف بنفسه كتبا كانت تقرا في المشرق والمغرب نجمل ذكرها فيما يلي :

1 ـ مذاهب المنان بما يتاكد على المعلمين تعليمه للصبيان ، وهو كتاب قيم يتصل اتصالا وثيقا بالبحث الذي نحن بصدده ، ولذا سنتناوله بعد هذا بشيء من التفصيل والتعليق .

2 ـ طبق الارطاب فيما اقتطفناه من مسانيد الائمة وكتب مشاهير المالكية والامام الحطاب .

3 ـ بغية ذوي البصائر والالباب والدرر المنتخبة من تاليف الحطاب .

4 ـ الجامع الصحيح الاسانيد المستخرج من ستة مسانيد .

5 ـ الفتوحات الالاهية الصغرى وتشتمل على ثلاثمائة حديث .

6 ـ الفتوحات الالاهية الكبرى وهي اشهر مؤلفاته . ونظرا لما « للفتوحات » من الاهمية فقد اعتنى بها العلماء والطلاب على السواء في حياة مؤلفها واستفادوا منها في الشرق والغرب ، وممن تصدى لشرحها الشيخ التاودي بن سودة والشيخ محمد بن ابي القاسم من علماء المغرب الاقصى .

ولم يكتف سيدي محمد بن عبد الله بالتاليف وتوجيه المؤلفين بواسطة النصح والعطاء بل كان يظهر عناية خاصة بمرافق الدولة التي تستمد بالطبع قوتها ونشاطها من الكتاب والسنة ، ذلك انه اول من وضع تنظيما للعدلية واصلاح الدروس في جامع القرويين موضحا ما يتعين تدريسه من العلوم فيه وما لا يجوز تدريسه ، واشار في رسالة بعث بها في هذا الموضوع الى الشيخ التاودي بفاس تحتوي على بنود ثلاثة : البند الاول يتعلق بالقضاء ، والثاني بائمة المساجد ، والثالث بالمدرسين بمدينة فاس ، يقول في ذلك : « وبعد فاننا امرنا ان لا يدرس العلماء الا كتاب الله تعالى بتفسيره ، ومن كتب الحديث المسانيد والكتب المستخرجة منها ، والبخاري ومسلما وغيرهما من الكتب الصحاح ، ومن كتب الفقه المدونة والبيان والتحصيل ومقدمة ابن رشد والجواهر لابن شاس والنوادر والرسالة لابن ابي زيد القيرواني ، وغير ذلك من كتب الاقدمين ... ومن الادب ما يعين على فهم كلام العرب لانه وسيلة الى فهم كتاب الله وحديث رسوله .

ومن الكتب التي اعتمدناها في هذا البحث الخاص بخدمة القرءان الكريم على عهد الدولة العلوية المظفرة كتاب « مواهب المنان » الذي سبقت الاشارة اليه ، وهو كتاب مخطوط ، متوسط الحجم كبير الفائدة اسماه الامام الحافظ سيدي محمد بن عبد الله : « مواهب المنان لما يتاكد على المعلمين تعليمه للصبيان» وهو يشتمل على نصائح قيمة بالاعتبار لكل من تصدى لتلقين صغار المتعلمين القرءان الكريم ، وتنوير عقولهم بمبادىء القراءة والكتابة والدين ، يشتمل هذا الكتاب على 91 صفحة من القطع المتوسط بما في ذلك مقدمة لطيفة احتوت على 25 صفحة فيها من صالح

النصح والارشاد ما يحملك على الاعتقاد بانه بقدر ما كان هذا الملك الهمام سياسيا لبقا واسع المعرفة، متضلعا في العلوم وشؤون الدين بصفة خاصة، بقدر ما كانت نظرته نافذة في الاطلاع على طبائع الاطفال وميولهم، وقدرتهم على استيعاب ما يقدم لهم من فوائد على من تصدى لتهذيبهم من ذوي المعرفة والاختصاص، فقد كان رحمه الله يرى ضرورة ملحة في تعلم العلم وتحصيل فوائده لكن على اساس العمل به، كما انه يرى ان العلم يجب ان يقتنى في الصغر قبل الكبر، وهو وان كان يحث على حفظ القرءان حفظا يضمن رسوخه في الصدور الا انه باعتباره رجل علم وعمل يفضل ان يتعرف المعلمون والمتعلمون ايضا على ما جاء في كتاب الله تعالى من تعاليم دينية لا تستقيم حياة الانسان الا بمعرفتها والعمل بها، ولذلك يقول في مقدمة الكتاب الآنف الذكر: « وبعد، فلما كان غالب اعتناء طلبة الوقت لحفظ القرءان والتفنن في قراءته بالروايات، واهماله ما فرضه الله على الاعيان مما يدان به من علم العبادات والاعتقادات، وان كان فضل حفظ كتاب الله تعالى مأثورا ومقام حفاظه بين اولياء الله مشهورا، لكن لا مع الجهل بما يعبد الله به من ضروري الدين، فانه على الموصوف بهذه الصفة حجة في كل حين، لان المقصود الاهم من حفظ القرءان هو تعلم احكام الدين التي بها الله يدان، اذ مجرد حفظه فرض كفاية بلا ارتياب، ومعرفة ما تبرأ به الذمة منه ومن غيره فرض عين وانجاب. فقد روي ان ابن عمر رضي الله عنهما اقام في قراءة « البقرة » ثماني سنين، لانه لم يقتصر على الحفظ بل تعلم ما احتوت عليه من احكام الدين ».

فانت ترى ان السلطان سيدي محمد بن عبد الله يلح كل الالحاح على التفقه في الدين بناء على ما جاء في كتاب الله، لانه يخشى ان انصرف الناس الى الحفظ وحده كما كان ذلك شائعا في زمنه بالمغرب ان لا يعطوا العناية الكافية لما جاء فيه من احكام. ثم يستطرد قائلا في مقدمة « مواهب المنان » ما مؤداه بالحرف: « وكنت لقيت حال سفري من مكناسة الى مراكش سنة ثلاثين بعد المائتين والالف من الاساتيذ الجم الغفير الكثير؛ والفيت كل من اختبرت منهم لم يتمسك من علم دينه بقطمير »، مما حمله قدس الله روحه على جمع المسائل المهمة مما يتعين تحفيظه للصغار في الكتيب الذي نحن بصدد مراجعة مقدمته.

يؤخذ اذن مما ذكر ان قراءة القرءان كانت متداولة بين الناس على نطاق واسع في ايام سيدي محمد بن عبد الله، وان عدد المعلمين والاساتيذ الذين اسندت اليهم مهمة اقراء كتاب الله للمتعلمين كان يربو بكثير على ما يمكن ان يتصوره الباحثون.

ثم يتصدى المؤلف الى تقديم النصح لمن كلف نفسه تعلم القرءان للصبيان، فيقول: « اعلم ارشدنا الله واياك انه يجب على معلم صبيان المسلمين ان ينصحهم ويبذل المجهود في ذلك لانه خليفة آبائهم بان يعلم من اتاه منهم اولا الفاتحة وحزب « سبح ». فان صعب عليه فليقرئه ربعه الاخير، فان حفظ ذلك فليعلمه عقيدة ابن ابي زيد حتى يحفظها وترسخ في ذهنه؛ فهي الاصل الاصيل » وبعد ذلك ينتقل الامام المؤلف الى الحديث عن اقسام الماء واحكام الطهارة والصلاة وكيفية ادائها في اوقاتها؛ فاذا رسخ ذلك كله في عقل الصبي تعين اذذاك على المعلم ان يخبر والده بما قطعه معه من اشواط، ويشير عليه باقامة « الختمة » اي بتنظيم حفلة دينية ابتهاجا بالمرحلة التي قطعها الصبي في الكتاب، ولا يفوت صاحب الكتاب ان يؤكد على المعلمين ضرورة الاهتمام بتحفيظ السور الاولى من القرءان، بما في ذلك ام الكتاب، تحفيظا يمكنه من تقويم السنتهم وتقوية ذاكرتهم وتمهيد السبيل امامهم لاكتناز ما بقي عليهم حفظه من كتاب الله العزيز، فيقول: « على المعلم ان يعلم الصبيان فاتحة الكتاب حتى يحفظها على وجهها لان تعلمها واجب في حق كل مكلف يمكن منه التعلم لانها واجبة في جميع الصلاة؛ وقد احتوت على اسرار كتاب الله تعالى وهي السبع المثاني؛ ويكفي في فضلها ما روى عنه صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل، قال الله تعالى: « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين؛ فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل. » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأوا، يقول العبد: الحمد لله رب العالمين، فيقول الله تعالى: حمدني عبدي؛ فيقول العبد: الرحمن الرحيم، يقول الله: اثنى علي عبدي؛ يقول العبد: مالك يوم الدين، يقول الله: مجدني عبدي؛ يقول العبد: اياك نعبد واياك نستعين؛ فهذه الاية بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل؛ يقول العبد: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين انعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين؛ فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل ».

هذا وفي استطاعة الذين اسعدهم الحظ بمطالعة مقدمة هذا الكتاب ان يضيفوا الى المعلومات السابقة فوائد لا تقل عنها اهمية خصوصا فيما يرجع لانواع

السور التي يحسن قراءتها في كل صلاة من الصلوات الخمس ، ففي ذلك يقول سيدي محمد بن عبد الله بعدما تحدث عن الفائدة المترتبة عن البدء بتحفيظ ام الكتاب : « ثم يتاكد عليه (اي المعلم) ان يبذل المجهود اولا في تعليم الصبي حزب سبح ويتعاهده معه تلاوة ودرسا حتى يحفظه ويصير على ظاهر قلبه لانه احتوى على صغار المفصل وبعض وسطه المقروء به مع ام القرآن في جل الصلوات ؛ ويؤكد ذلك ما اخرجه الامام احمد من ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب « سبح اسم ربك الاعلى » وانه كان يداوم على قراءتها مع « هل اتاك » في الظهر والعصر ومن انه كان يواظب على قراءتها في الجمعة والعيدين ، وما قاله لمعاذ في موعظته الا يقرا احدكم بسبح اسم ربك الاعلى ، والشمس وضحاها والليل اذا يغشى ، والفجر ، ولما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه صلى العشاء والمغرب بوالتين والزيتون ، وصلى بها وبانا انزلناه في صلاة الغداة ، وقد ام ابن عوف الناس بسورة « والعصر » و « اذا جاء نصر الله » ؛ وقد امر صلى الله عليه وسلم بقراءة المعوذتين في الصلاة ولاشتمال الحزب المذكور على « اذا زلزلت » و « العاديات » ، وكل واحدة منها تعدل نصف القرءان ، وعلى « انا انزلناه » وهي تعدل ربع القرءان ، وعلى « الهاكم التكاثر » وقراءتها تعدل الف آية ، وعلى « قل يا أيها الكافرون » وهي تعدل ربع القرءان ، وعلى « قل هو الله احد » وهي تعدل ثلث القرءان ، الى غير ذلك مما لا يعد من فضائله ولا يحصى » ثم يختتم المؤلف هذا الفصل القيم بذكر فضائل حفظ الفاتحة وحزب « سبح اسم ربك » بقوله: « فالمقتصر على ذلك ممن اضطر لمعاشه او لم تظهر نجابته قد حفظ اول القرءان وآخره ؛ لا يبعد في جانب كرم الله ان يمنحه اجر ما بينهما ؛ وان ظهرت نجابته ولم يعقه معاشه فليداب على قراءته لعل الله يشرح صدره ويسهل عليه امر دينه وحفظه ؛ وبالله التوفيق » .

بعد هذه المقدمة الطويلة المفيدة في كيفية السير بالمتعلمين في تلقينهم السور الاولى من القرءان الكريم مع التنصيص على ضرورة تطبيق ما جاء فيها من احكام الدين ، ينتقل المؤلف الى تعداد هذه الاحكام مبينا للمعلمين طريقة تبليغها للصغار ، متوخيا في ذلك كله سبل الاختصار وطريق الوضوح ، مما يدلك على ما كان له من خبرة ورأي مسموع فيما يرجع لتوجيه الطلاب وتعليمهم .

ولم تنقطع هذه السنة الحميدة يوما بالنسبة لملوك الدولة العلوية السابقين منهم واللاحقين خدمة منهم للقرءان الكريم وعملا على نشره في ربوع المملكة كلها من اقصاها الى اقصاها ؛ وليس من الغريب ان يظل ذلك ديدنهم حتى يومنا هذا، فلا اقل من ان نستدل على نشاط الحركة الفكرية والدينية اليوم في البلاد بما سنه جلالة الملك المعظم الحسن الثاني منذ ان وضع الله امر هذه الامة بين يديه — وهو بدون منازع من اعظم ملوك العلويين قدرا واقومهم سيرة واطيبهم ذكرى — من قرارات تهدف في مبناها وفحواها الى العناية عناية خاصة بشؤون الدين والاهتمام بكتاب الله الاكبر ، من ذلك انه خصص — حفظه الله — جانبا من مكتبته الزاخرة للمصاحف القرءانية وما يتعلق بها من التفاسير كما تظهر عنايته الكريمة بكتاب الله في بذل العطاء والنصح لكل من يهتم بحفظ القرءان واقرائه ونشره ؛ ثم ينتهزها فرصة طيبة عند حلول شهر رمضان المعظم من كل عام فيقيم داخل قصره العامر — جريا على سنة اسلافه المنعمين — حفلات دينية ليلية يقرا فيها القرءان وتلقى فيها دروس قيمة يستمد القائمون بها عناصر شروحهم من آيات الله البينات . ولعمري انها حفلات تنشرح لها قلوب المومنين ، وهي تضفي كذلك على ضريح مولاي الحسن الذي تنظم فيه بريقا من الطهر والجلال ؛ وتلك سنة طيبة لا يمكن مشاهدة اثرها المحمود الا في هذه الديار التي ظل كتاب الله فيها محفوظا في صدور الرجال .

هذا ولا يفوت سيدنا المنصور بالله ان يدعو لحضور هذه الليالي الطاهرة ثلة من علماء المغرب الافاضل ، وجماعة من ائمة المشرق الاماثل للمشاركة في القاء تلك الدروس ؛ فينتهزونها فرصة طيبة لتقديم النصح والارشاد للجناب الشريف وللامة الاسلامية قاطبة مع الدعاء الصالح لكافة ملوك العرب والمسلمين ورؤسائهم ، وهي دعوات خالصة منبثقة عن نفوس مومنة كاقوى ما يكون الايمان ، لذلك فهي لا تزيد المؤمنين الا تمسكا بهذا الدين الحنيف الذي فضله سبحانه وتعالى على سائر الاديان التي سبقته وجعل الامة الاسلامية بفضله خير امة اخرجت للناس تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

ثم لا يقتصر جلالة الملك المعظم الحسن الثاني على حضور هذه الحفلات الدينية بانتظام ، بل ياخذ على نفسه بما اتاه الله من فطنة وعلم وحكمة — ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا — تتويج هذه الدروس بتوجيهات صالحة يطرحها امام الشخصيات

الحاضرة ، مزودا بها في نفس الوقت هذا الشعب المغربي الوفي الذي يربطه به ميثاق قوي لا تنفصم عراه ، سائلا من الله عز وجل ان يعز الاسلام بفضله ويسدد خطى ملوك العرب والمسلمين ورؤسائهم ويمهد لهم جميعا سبل الخير والنجاح .

ولقد اضاف حفظه الله هذه السنة مكرمة اخرى الى المكارم التي اشتهر بها ومفخرة الى مفاخره المتعددة ذلك انه دعا الى الاحتفال بمرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان الكريم ، هذا الكتاب الذي لن تضل الامة الاسلامية طريقها ، بل لن يعتريها ضعف او فتور ما دامت متمسكة بما جاء فيه من شرائع واحكام تفنينا في الحياة وبعد الممات ان نحن عملنا بما تهدي اليه من خير ونور .

ولا غرو ان اهتمام جلالة الحسن الثاني بكتاب الله وشؤون الدين مما حمله حفظه الله على فرض اقامة الصلاة داخل المدارس والمعاهد التعليمية على اختلافها قد انتهى به الى يقين جازم حاسم ، كما يقول شهيد العروبة والاسلام سيد قطب الى « انه لا صلاح لهذه الارض ولا راحة لهذه البشرية ، ولا طمأنينة لهذا الانسان ولا رفعة ولا بركة ، ولا طهارة ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة الا بالرجوع الى الله ... والرجوع الى الله — كما يتجلى في ظلال القرءان — له صورة واحدة وطريق واحد ... واحد لا سواه ... انه العودة للحياة كلها الى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم ... » هذا الايمان القوي بالله ، وهذه العزيمة الراسخة التي اتخذها جلالة الملك الحسن الثاني اساسا لتنظيم شؤون المملكة عموما سيمكنان لا محالة هذا الملك الشهم الكريم من تحقيق ما تصبو اليه بلادنا من تقدم وازدهار ، خصوصا وان جلالته يتمتع بالاضافة الى هذا الرصيد الديني الطاهر الذي يعتمده في جميع حركاته وسكناته بمحبة الشعب واخلاص الامة قاطبة بحيث ينطبق عليه حفظه الله قول الشاعر اذ يقول :

(ملك) له انطوت القلـــــوب على المحبة والـــوداد

(حسن) الصفات ومذ بـدا ما حاد عن نهج الســداد

كالغيث في يوم النـدى والليث في يوم الجـلاد

ورث الملوك فخارهـم وعليهـم اربى وزاد

لا زال فينـا حكمـه يبدي المعالم للرشـاد

الى هذه المرحلة من البحث الذي نقوم به استفدنا انه كان لملوك الدولة العلوية الكريمة اهتمام بالغ بنشر القرءان وتشجيع من يحفظه او يقوم بتحفيظه كما ذكر ذلك بتفصيل في كتب السلف الصالح، شانهم في ذلك شان ملوك كافة الدولة الاسلامية التي تعاقبت على هذه الديار ؛ لكن الذي يمتاز به ملوك الدولة العلوية على غيرهم من ملوك وامراء الدول التي سبقتهم في هذا البلد الامين هو اهتمامهم الزائد بتعليم ابنائهم مبادىء الدين والقرءان الكريم وحرصهم على ان يختاروا لتلك المهمة الخطيرة امهر الاساتذة والمربين العارفين باساليب التربية ، المعروفين بالصلاح والعقيدة المتينة حتى يكونوا حقا صالحين مصلحين ويتمكنوا من توجيه ابناء الملوك وبناتهم توجيها يؤهلهم ، فيما اذا افضت اليهم امور هذه الدولة من تسيير شؤونها على احسن وجه مستطاع ويمكنهم في نفس الوقت من مباشرة امور دينهم ودنياهم بصورة ترضي الخالق والمخلوق .

من اجل ذلك كانوا يفردون لابنائهم جناحا من القصر الملكي في كل من عواصم المملكة ، بفاس ومكناس ومراكش ، يتلقون فيه تعليمهم بعيدين عن ضوضاء الحياة السياسية حتى لا تصرفهم عن الدرس والتحصيل عظمة الملك وفخفخة السلطان . وبقدر ما كان الملوك العلويون يعتنون بتعليم ابنائهم كذلك كانوا يهتمون بتثقيف بناتهم ، وتحليتهن بزينة العلوم والفنون ، وفي مقدمة ذلك كله حملهن على حفظ كتاب الله العزيز ، لا فرق بين شريفات او مشروفات ، يستقدمون لهن ثلة من خيرة المعلمين واطيبهم خلقا ، واشدهم نزاهة ، واحمدهم صيتا وذكرى ، اذ النساء شقائق الرجال في المعاملات والاحكام ، وغني عن التوضيح ان الحديث الشريف يشير في صراحة الى ضرورة الاهتمام بتثقيف الرجل والمرأة على السواء ، قال صلى الله عليه وسلم : « اطلبوا العلم ولو في الصين ، فان طلب العلم فريضة على كل مسلم » . وبطبيعة الحال يحتل كتاب الله المقام الاول من العلوم التي ما فتىء ملوك الدولة العلوية يحضون ابناءهم وبناتهم على تعلمها داخل القصور الملكية ، جاء في حديث كريم : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » وبعد ذلك ينقطع المعلمون لتهذيب

الامراء والاميرات ، فلا يعود لهم شغل الا تعليمهم القراءة والكتابة ، وحفظ ما تيسر من القرءان الكريم وتلقي الضروري من الدين ما لا يسع المكلف جهله شرعا .

وهذه الكتاتيب التي كان الملوك يحرصون على انشائها داخل القصور الملكية كانت توضع تحت رعاية متصرف يكلفونه بالاشراف عليها ماديا وادبيا . وحرصا – قدس الله أرواحهم – على تنشئة ابنائهم وبناتهم تنشئة حسنة ، واعطائهم ما يليق بالامراء والاميرات من تربية خلقية كريمة تستمد طهارتها من تعاليم الدين القويم ، كانت الفتاة على الخصوص لا تدخل الكتاب الا بمرافقة مربيتها والقائمة على امرها ، كما انه كان من المستحيل ان يدخل الكتاب الخاص بالفتيات احد من الذكور حتى لو كان يصغرهن سنا او كان شقيقا من شقائقهن .

ويخبرنا الذين كرسوا حياتهم لدراسة احوال الدولة العلوية الشريفة جملة وتفصيلا ان نظام العمل المعمول به في تلك الكتاتيب الملكية كان يدعو المؤدب الى الحضور مع شروق الشمس ، ولا يترك عمله الا بعد اداء صلاة العصر مع المتعلمين او المتعلمات بحيث يتناول فطور وطعام الغذاء معهم ، وذلك معناه ان المعلم كان يقضي معظم نهاره مع التلاميذ او التلميذات، فيما اذا كان الكتاب خاصا بالبنات ، ومما لا شك فيه ان نظاما كهذا يمكن المؤدب من فرض شخصيته على المتعلمين والمتعلمات ، لطول اختلاطه بهم ، وطبعهم بطبائع المروءة والادب ، فلا يغادر المتعلم الكتاب الا وقد اقتبس من المحاسن التي يتحلى بها معلمه ومؤدبه ، خصوصا وان النصائح التي كان الملوك يزودون بها معلمي ابنائهم هي ان لا يفصلوا ابدا بين الايمان والعمل عملا بقوله تعالى : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ، وعلما منهم – طيب الله ثراهم – من ان العلم بدون عمل لا خير فيه بل كثيرا ما يكون وبالا على صاحبه . ولذا كان المعلمون في القصور الملكية يحرصون كل الحرص على تطبيق التعاليم الدينية التي جاءت في القرءان الكريم ، فيحملون المتعلمين والمتعلمات على اداء فريضة الصلاة في اوقاتها فيطبعهم هذا السلوك بالروح الاسلامية منذ حداثة اظفارهم ، ويشبون تبعا لذلك على التقى وطاعة الله ورسوله مهتدين بالهدي الحق : « ان المتقين في جنات وعيون ، آخذين ما آتاهم ربهم ، انهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا ، من الليل ما يهجعون ، وبالاسحار هم يستغفرون ، وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » .

وكان السلاطين يتتبعون خطوات المعلمين ، ويزودونهم بالنصيحة والارشاد حينا ، وينحون عليهم باللوم والتأنيب حينا آخر اذا ما لاحظوا فيهم نوعا من التواكل ؛ نلتمس شاهدا على حرصهم هذا ما جاء في كتاب « العز والصولة في معالم نظم الدولة » لصديقنا العزيز فقيد الادب والتاريخ مولاي عبد الرحمان بن زيدان من انه لما ختم القرءان الكريم ايام السلطان المقدس مولاي الحسن دخل على جلالته يطلب الختمة، ويسوق لنا رحمه الله بهذه المناسبة قصة طريفة يختتمها بقوله : « وكان لوحي مكتوبا بخط مؤدبي من جهتين ، فاخذ اللوح مني وقراه ، ثم سالني عن الخط لمن هو ؟ فقلت للفقيه ! فقال : هذا غش لا ينبغي ، فليتركم تكتبون الواحكم بيدكم ، وسألومه » . وغني عن البيان ان في مثل هذه الملاحظة دليلا واضحا على تفطن ملوك الدولة العلوية الى اجود الاساليب واحدث طرق التدريس التي من شانها ان تحفز الاطفال الى العمل الشخصي الذي يعود عليهم بالنفع والفائدة ؛ وكيف يستطيع الطفل ان يتدرب على الكتابة حتى يحذقها ، اذا كان المعلم يكفيه مشقة العمل ويقوم مكانه بكتابة ما وجب ان يخطه بانامله تذليلا للعراقيل والعقبات .

وكما ان السلاطين كانوا يراقبون مؤدبي اولادهم فينبهونهم الى سلوك سبيل العمل المنتج المفيد كلما حادوا عن الطريق ؛ كذلك كانوا يبذلون لهم العطايا والصلات ، تشجيعا لهم على قيامهم بالواجب خير قيام ؛ فمتى بلغ المتعلمون ، بنين وبنات مرحلة معينة فيما يرجع لحفظ القرءان الكريم – وهما مرحلتان : الاولى تدرك عندما يحذق الطفل استظهار سورة الاخلاص ، والثانية تنتهي به مع حفظ سورة البقرة – فان الملك كان يأمر اذ ذاك باقامة حفلة دينية شيقة تسمى حفلة ختم القرءان ؛ ويرفع بتلك المناسبة الكريمة لوح المحتفل به او المحتفل بها على منصة ؛ ثم يأتي من بالقصور بالهدايا الثمينة يضعونها على ذلك اللوح ، نقودا وثيابا ذات قيمة رفيعة ، مخيطة او غير مخيطة ؛ ويقدم كله للمعلم جزاء له على ما قدمت يداه، وتبركا بكتاب الله .

ويستطرد صاحب كتاب « العز والصولة » في وصف حفلات الختم ، فيقول : « ويخرج من القصر عدد منهم من قصع الكسكوس للمسجد المعد للصلاة برحاب باب القصر ، وقوارير ماء الزهر والورد وقماقمه ومجامير الطيب ، ويستدعى الاستاذ المقرىء لتناول ذلك وغيره من الاساتيذ المؤدبين ؛ فيحضرون ذلك الاحتفال ، ويوزع الطعام على السجون والزوار

واضرحة الصالحين » ، عملا بقوله تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب والغارمين ، وفي سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » .

ودليل آخر على ما لملوك الدولة العلوية من اهتمام بتربية ابنائهم ، وتنشئتهم تنشئة اسلامية صالحة هو انه لا يوجد منهم داخل القصور الملكية من لم يكن يحسن القراءة والكتابة والحساب ، واستظهار قليل او كثير من القرءان الكريم ، « وربما وجد في اميرات القصر فضلا عن امرائه — من كانت تقرأ برواية البصري كالشريفة السيدة حفصة بنت السلطان المنعم مولاي عبد الرحمن بن هشام » ، ويذكر مؤرخ الدولة العلوية الشهيرة مولاي عبد الرحمن بن زيدان ان اللوح الذي كانت تقرأ فيه السيدة حفصة لا يزال محتفظا به الى يومنا هذا تبركا به . وبعد ذلك يسوق لنا بهذه المناسبة معلومات جد مفيدة في الموضوع من « ان السلطان مولاي عبد الرحمن كان قد عين معلما ممن امتازوا بقوة الايمان وسلامة الاخلاق لاقراء بناته في اقليم تافيلالت المشارك مولاي الشريف ابن علي بن عبد الرحمن دفين مراكش ، ومن جملة التلميذات اللائي كن يقرأن على المعلم المذكور لالا حبيبة ولالا اسماء ولالا ستي ، وانما كان مولاي عبد الرحمن يقتدي في ذلك كله بمن سبقه من آبائه الاولين » ، فكانت تربيتهم تربية اسلامية عربية اساسها كتاب الله وسندها سنة رسوله الكريم .

ولقد تاصلت هذه السنة الحميدة في القصور الملكية حتى لانك كنت تجد بين النساء من يقرأن غيرهن من البنات والنساء ، ويحفظن نصيبا من القرءان الكريم لمن فاتهن زمن الدرس والتحصيل ، وهذا دليل آخر ما كان لملوكنا العلويين من رغبة صادقة في تلقين كتاب الله لذريتهم الصالحة بصورة كانت ولا تزال تؤتي اكلها باذن ربها .

يضاف الى ما تقدم من البراهين الدالة على هذه الرغبة في تنوير عقول الامراء والاميرات بنور العلم وشعاع القرءان ما أورده صاحب « العز والصولة » من النصوص الرسمية فيما يرجع لاهتمام ملوك المغرب وحرصهم الشديد على تدريس القرءان لابنائهم وبناتهم ، واليكم نص ظهير شريف في الامر بذلك بعد الافتتاح والختم الملكي ، نقش داخله عبد الرحمن بن هشام الله وليه .

وصيفنا الارضى الباشا القائد الجيلالي بن بوعزة ، وفقك الله وسلام عليك ورحمته تعالى وبركاته ، وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بامتثال امرنا في شأن الطالب السيد عبد الرحمان المدغري وتوليته اقراء الشريفات والصلاة بمسجد المدرسة ، الله يرضي عنك ويصلحك ، آمين والسلام ، في 28 ذي القعدة الحرام عام 1258 » .

ومن المعلومات الطريفة التي يفيدنا بها في هذا المقام شيخ المؤرخين في هذه الديار مولاي عبد الرحمان ابن زيدان اسماء بعض من كانوا يعلمون البنات بالقصور الملكية ، ويتولون مهمة تحفيظهن كتاب الله العزيز : منهم الصالح ابو الفخر المختار الجراوي ، وابو عبد الله بن المهدي المنوني ، والعربي بن صالح النجاري الحلموني وكلهم كانوا مكلفين بتدريس القرءان ومبادىء العلوم بقصر من عاصمة مكناس ، كما ان شيخ جماعة المقرئين الاستاذ اليزيد العلمي وابا محمد عبد السلام النسب والاستاذ ابا العلاء ادريس بن محمد آل زكرياء الصبان كانوا ممن اختارهم الجناب الشريف للقيام بنفس المهمة داخل قصر المحنشة بمكناسة الزيتون .

وبالرغم من ان سرد اسماء الشيوخ والمؤدبين الذين كانوا مرسمين لتدريس القرءان الكريم داخل القصور الملكية يورث شيئا من السآمة والملل ، فاننا سنورد مع ذلك نقلا عن المصدر الآنف الذكر جميع من عثر على اسمائهم ممن كتب لهم فضل اقراء ابناء الدوحة العلوية المنيفة ليتحقق القارىء من اصالة هذا البيت العريق ، واعتمادهم قبل كل شيء على كتاب الله وسنة رسوله في زرع البذرة الصالحة في قلوبهم ، اولئك الامجاد الذين سبق لهم فضل اقراء ابناء الملوك العلويين السابقين هم بالنسبة لمن كان يقطن مدينة فاس الفيحاء الاستاذ ابو محمد التهامي الشريف العلمي ، وابو زيد عبد الرحمان بن الرضى العمراني اللجائي ، وابو عبد الله محمد بن الطاهر الهواري ، والاستاذ ابو محمد التهامي الحسني ، والاستاذ ابو محمد التهامي بن عبد النور ، والاستاذ ابو عبد الله محمد بن الهاشمي اللجائي ، والاستاذ حمادي بن عبد القادر النسب ، والاستاذ ابو محمد عبد السلام المدعو ابن يش التلمساني ، والاستاذ ابو العباس احمد السعيدي ، وقد صاهر السلطان المقدس سيدي محمد ابن عبد الرحمان بن هشام ، فزوجه من ابنته الكريمة السيدة لالافاطمة الجبلية .

يضاف الى هذه النخبة الطيبة الصالحة الاستاذ ابو العباس احمد عبابو وهو آخر من كان له فضل اقراء البنات بفاس .

اما بمراكش فقد تولى خطة تدريس اللغة والقرءان الكريم في الكتائيب الملكية جماعة من اساتذة الجنوب المعروفين بعلمهم الواسع ، وما كانوا يتمتعون به من حسن الاحدوثة ، عند خاصة الناس وعامتهم ، نذكر من بينهم حسب ما نقلناه عن كتاب « العز والصولة » : أبا عبد الله محمد بن عبد الواحد الريفي ، والاستاذ العلامة الجليل ابا عبد الله محمد بن الفاطمي، والاستاذ ابا عبد الله محمد بن الصديق الفيلالي ، والاستاذ البركة اباعبد الله محمد بن موسى ، والاستاذ ابا اسحاق ابراهيم الضرير الذي اصطفاه السلطان مولاي الحسن الاول لتعليم حريمه امور دينهن ؛ وكان من الخير والصلاح بحيث كان يلازم مولاي الحسن في حله وترحاله ؛ وهو الذي تولى غسل السلطان المذكور عند وفاته .

وغني عن الاثبات ان هؤلاء العلماء كانوا يعملون بكامل الاخلاص والتفاني للقيام بما انيط بهم من اعمال ، وكثير منهم من كان مفتوحا عليه وعلى يديه كالاستاذ الفقيه السيد محمد بن موسى السابق الذكر الذي كانفي اول امره مكلفا باقراء ابناء السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام علوم دينهم ودنياهم حتى بزغ من بينهم العلامة الشهير ابو الحسن علي صاحب البستان الشهير المعروف بمدينة مراكش بجنان مولاي علـــي .

* * *

تلك لمحة قصيرة احببنا ان نقدمها لقراء مجلة « دعوة الحق » القراء بمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان الكريم ، واحتفال المغرب بحفلات عيد العرش المجيد ، لكي نقيم الدليل على اهتمام ملوك الدولة العلوية الشريفة بهذا الكتاب الاكبر وما جاء فيه من شرائع واحكام تهدي الى السبيل الاقوم .

وما اوردنا الامثلة الثلاثة السابقة الا على سبيل المثال فقط لا على سبيل الحصر ، والا اضطررنا الى تضخيم هذا البحث بصورة لا يتسع لها المقام ؛ انما الذي يتعين اثباته هنا هو ان جميع ملوك الدولة العلوية لم يعتمدوا على الكتاب رجاء ان تنالهم منه فوائد قريبة عاجلة ، بل انهم تمسكوا به عن ايمان عريض كالبحر وعقيدة راسخة كالدهر ، فالامر عندهم جد لانه امر سعادة هذه الامة المغربية النبيلة ، او كما يقول سيد قطب في ظلال القرءان : وكانه يشير الى مدى تشبثهم بهدي الكتاب الاكبر ان الاحتكام الى منهج الله في كتابه ليس نافلة ولا تطوعا ولا موضع اختيار ... انما هو الايمان ... او ... فلا ايمان ... وما كان لمومن ولا مومنةاذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرةمن امرهم ، فلذا اصلح الله امورهم في الدنيا وانار السبيل امامهم لخدمة هذه الامة العريقة تحت راية القرءان ؛ فراحت اعمالهم كلها اعمالا مباركة طيبة توتي اكلها باذن ربها ، وظلت شجرتهم شجرة باسقة اصلها ثابت وفرعها في السماء ، لا تنال منها النوائب ولا العواصف مهما يكن مصدرها تحقيقا لما جاء في الكتاب من أن الله تعالى لا يبخس ابدا عباده الصالحين اجرهم : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم في الارض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنـــا » .

الرباط : محمد محي الدين المشرفي

مراجع هذا البحث

1 — المنزع اللطيف في مفاخر مولانا اسماعيل الشريف (مخطوط ج 595 بالخزانة العامة — الرباط) . تاليف مولاي عبد الرحمان بن زيدان العلوي .

2 — مواهب المنان لما تاكد على المعلمين تعليمه للصبيان لامير المومنين سيدي محمد بن عبد الله . (مخطوط ك 795 ك بالخزانة العامة — الربـــاط) .

3 — العز والصولة في معالم نظم الدولة (جزءان) لفقيد الادب والتاريخ مولاي عبد الرحمان بن زيدان العلوي .

4 — الدرر الفاخرة بمآثر ملوك العلويين بفاس الزاهرة . تأليف مولاي عبد الرحمان بن زيدان العلوي .

5 — الفتوحات الالاهية (المقدمة) لامير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله .

على هدي القرآن والسنة :

لمحات من دنيا الفكر الديني على عهد العلويين

للأستاذ : المهدي البرجالي

تقوم الثقافة الدينية — في أساسها — على معرفة القرآن الكريم نصا وفهما ، والالمام بالحديث رواية ودراية ، ثم يأتي بعد ذلك العلم بالفروع على مناحيها الكثيرة كما هي في كتب الفروع . والواقع انه يرتبط بموضوع الثقافة الدينية هذه ، أسس فكرية عميقة الجذور في كل تاريخ الفكر عند المسلمين ، وتنبني عليها في المجتمعات الاسلامية قيم ومواضعات فكرية وثقافية وحضارية ، هي من أخص خصائص الفكر الاسلامي في كل العصور وأبرز مقوماته

وقد عرف عن المغرب ، عراقته في هذا المجال ، واصالة الفكر الديني في المجتمع المغربي بقدر اصالة مناح كثيرة من مناحي العلم في هذا المجتمع .

وللدولة العلوية في هذا المجال ، سجل حافل ، سجل ينطوي على فصول طويلة يبدو من خلالها الكثير مما عرفته الثقافة الدينية القرآنية من توسع وتطور خلال عهد الاشراف العلويين ، وما تحقق في مضمار الفكر الديني خلال القرون الاخيرة من تبلورات اصلاحية مهمة .

وفي هذه العجالة ، لانطمع في الاتيان بلوحة مفصلة ، ووافية التعبير ، وانما هي لمحات من هذه الدنيا ، لمحات من دنيا الفكر الديني — القرآني على عهد العلويين ، نسوقها في هذا الاطار المحدود الذي يتسع له العدد وبطبيعة الحال ، فالمجال المتوافر الآن لايسمح بالتبسط كثيرا في الموضوع بقدر ما يجب .

قيام الدولة العلوية كان بطبيعة الحال ، تطورا فكريا أساسيا في تاريخ المغرب ، بقدر ما كان ذلك ايضا تطورا سياسيا له انعكاساته الداخلية والخارجية ؛ والملابسات السياسية ، أو الجوانب السياسية التي تتمثل من خلال هذا الموضوع ، لاتدخل — بالضرورة — في اطار المسائل التي نتناولها في هذه العجالة ؛ الا ان ذلك لايمنع من الاقرار بالصلة الحقيقية بين الفكر والثقافة والسياسة ، والتواصل او التفاعل الموجود في العادة بين هذا او ذاك في كل ظرف من ظروف التاريخ هنا او هناك ؛ وقد قامت الدولة العلوية — في ظرف تاريخي قريب من تاريخ المغرب ، اجتاحت فيه النفسية المغربية احساسات عميقة بالمخاطر الجذرية التي تتهدد المعاني العربية والاسلامية المتمثلة في الكيان الدولي المغربي ، والتي كانت تواجه اقسى تحد واجهته من قبل ، تحد موجه اليها من قبل التوسعية البرتغالية ، وما يرتبط بهذه المواجهة من ملابسات شعورية دينية ، الى جانب الملابسات الاخرى ذات الصبغة السياسية والاقتصادية الصرفة ؛ وكان من أولى النتائج المترتبة عن ذلك ، سيادة عقلية الحفاظ على الكيان الديني والحضاري للمسلمين المغاربة ، وقد اكتست الحرب الدائرة آنئذ صبغة جهاد ديني كان يشارك فيه علماء الوقت وقراؤه بما يرجى من ذلك من ثواب عظيم !

وفي هذا الظرف من تبلورات الحماس الديني عند سكان هذه البلاد ، كان قيام الدولة العلوية كعامل

حاسم في هذا المجال ، عامل مستقطب لمجموع المشاعر الجهادية عند المجاهدين ، ومبلور للارادة القائمة على المحافظة على الكيان الاسلامي في هذه البلاد !

وقد استقرت جذور الدولة على أساس متين ، واستقرت معها « بطبيعة الحال » معاني العزة الدينية التي كانت في اساس الحركة الجهادية ضد البرتغال هذا الى معاني المحافظة السياسية ضد ذلك الغزو الاجنبي الواسع ؛ ومن المعلوم ان الحفاظ على المقوم الديني والمقوم السياسي — في مضمون الكيان المغربي — ما فتئا يتمازجان باستمرار في المفهوم الذي ساد عقلية المجتمع الاسلامي المغربي على امتداد العصور ؛ ولا يعني هذا — طبعا — ان ظروف الغزو ، والجهاد هي التي خلقت للشعور الديني مجالا ، كان منعدما من قبل ؛ فالشعور الديني والفكر الديني ، كل ذلك كان حقيقة قائمة واصيلة في كيان المجتمع الاسلامي المغربي ؛ الا ان الذي لا ينكر كذلك هو ان حالة الشعور بالتهديد ضد الوجود السياسي المغربي — بما يرتبط بهذا الوجود من ملابسات دينية وحضارية اسلامية ، ثم ما دعا اليه الشعور بذلك التهديد من ظهور قوة فتية في الميدان ، هي القوة العلوية ، القائمة في اساسها على العمل من اجل انقاذ التراث الروحي والحضاري للامة المغربية الاسلامية . وبلورة اساس قوي لرد التحدي المضاد لهذا التراث ، واستبقاء الكيان الروحي والحضاري محتفظا بأصالته ومناعته — لا ينكر انه كان لكل هذه العوامل جميعها ، اثر جذري في بعث روحي جديد بالمغرب ، وتزويد الشرايين المغربية بدم فكري جديد ، يتفق مع مبدا المحافظة الدينية الذي هو اساسي في مزاج الشعب المغربي ، ويستجيب للمقتضيات الثقافية والحضارية التي — وان بقي جوهرها باستمرار — الا انها قابلة في العادة لعوامل التجديد الايجابي المثمر !

وكان من المنتظر حينئذ ان يعيش المغرب حالة استمرار لاصالة الفكر الديني والحضاري عنده ، كما كان من المنتظر ايضا ان يعيش حالة تبلور جديد في الروح والنهج الذي يقوم عليه هذا الفكر الديني والحضاري ، وذلك في نطاق المعنى الاعم الذي قامت عليه الدولة . وهو معنى مستخلص من تجارب الاجيال المغربية المتعاقبة . ومن نتائج الاقتناعات المغربية بعيدة الامد ، في مضمار الاحساس بالدين وتعقل روحه ومقتضياته واستمداداته ؛ ومن ثم ، كان لابد من انفتاح مزيد من الآفاق أمام الفكر الديني بالمغرب ، وكان من اللازم ان تنطوي هذه الآفاق على معالم جديدة ، يفرضها واقع الفكر العام الجديد الذي عاشه المغرب اثر قيام الدولة العلوية بين ربوعه ؛ ومن هذه المعالم التي يمكن ملاحظتها :

1) انمحاء اثر التيارات المتعارضة هنا وهناك ، وتبلور النزعات السياسية الدينية ، في محور متمركز ، يستقطب مختلف القوى والعوامل بهذا الصدد ، ويستجمع بذلك صفة المحورية بما تقتضيه من تكتيل وتركيز ، وما ينتج عن كل ذلك من توحيد المصادر والاتجاهات ، التوحيد الذي هو ضروري لنمو كل طاقة قوية ، واشتدادها واغتناء محتواها ؛ ان الصلة بين قيام الدولة العلوية ، والتوحيد من هذا القبيل ، الذي حدث على نطاق واسع — هذه الصلة هي عبارة عن دقيقة بدهية قائمة ، لايحتاج اثباتها الى استدلال ، الا ان الذي يجب لفت النظر اليه في مضمونها ، هو الجانب الفكري الديني المتعلق بهذا التوحيد ؛ وهو جانب من اهم الجوانب ، ان لم يكن اخطر الجوانب على الاطلاق ، وقد كان المجتمع المغربي من هذه الناحية ، الناحية الدينية ، معرضا لمحاذير « تعدد المحاور » وتضاربها ، ومن هذا الباب دون غيره ، كانت امكانيات المغرب السياسية والاقتصادية وغيرها ، معرضة على نحو آلي ، وبصورة كاسحة لامرد لها ، معرضة للتوزع المحذور منه ؛ ومن هذا الباب ايضا ، انفتح امام المغرب المجال الواسع ، الذي ادى به الى الاحتفاظ بكيانه الموحد في المجالات الاخرى من سياسية وغيرها ؛ ومن ثم يستمد التطور الفكري الديني الذي وقع ، اهميته التاريخية ، وهي اهمية ، تستمد وجودها من الظرف التاريخي الموجود حينئذ ؛ ومن حقائق الشعب المغربي الروحية والمزاجية ، ومن ضخامة العامل المستقطب لكل هذه العوامل ، وهو العامل المتمثل في القوة العلوية التي برزت في الميدان .

2) استرداد المغرب قدرته على اتخاذ المبادرة في مجال التضامن مع البلدان الاسلامية ، وبناء العلاقات الايجابية معها ؛ وقد كان تاريخ المغرب في عمومه — تاريخ تضامن مع القضية الاسلامية في الاندلس وفي غير الاندلس ؛ ولما اصبح المغرب في غضون القرن التاسع ، فاقدا لزمام المبادرة ، ضاعت الاندلس الاسلامية بصورة حاسمة ، ثم استرجع المغرب بعض القدرة على العمل ولكنه سرعان ما فقدها بعد ذلك ، الى أن تمت له القدرة التضامنية ، بكل ما لها من فاعلية ، وذلك اثر حدوث التطور ، الذي ادى الى قيام الدولة العلوية ؛ وبطبيعة الحال ، فان صورة التضامن لم يكن من اللازم ، ان تكتسي نفس الصورة التي كان عليها

الامر فى خلال العهد العربي بالاندلس ، وذلك لتغير الظروف والاوضاع العالمية على نحو حاسم . لكن التضامن الاسلامي الذي حصل ــ على نطاق واسع ــ بين المغرب العلوي والدول الاسلامية غيره ، اصطبغ بصبغة فعالة وايجابية جدا ، تتناسب مع ما اصبح له من امكانيات واسعة كدولة اسلامية ذات ثراء وقدرة وتنظيم ؛ وقد تمثل التضامن المغربي الاسلامي من هذا القبيل فى مظاهر عدة ، كان من بينها : التفاوض مع الدول المسيحية فى شأن اطلاق سراح الاسارى المسلمين ، وتمويل عمليات الاطلاق هذه فى كثير من الاحيان ، وتزويد المجهود الحربي للدول الاسلامية الواقعة فى حالة حرب مع الاجانب الى غير ذلك مما فى هذا المعنى ؛ كما تمثلت العلاقات المغربية مع المسلمين ايضا فى مجال الفكر والثقافة الدينية ، كما فى غير ذلك من مجالات الثقافة ؛ والواقع ان هذا الجانب الاخير ، جانب التفاعل بين المغرب العلوي واقطار اسلامية غيره ــ الواقع ان هذا الجانب هو ذو قيمة كبيرة فى سجلات التاريخ الفكري للمغرب ، واذا قارن المرء بين سرعة وفاعلية الاستجابة المغربية لوقائع التطور الفكري الديني فى العالم الاسلامي ، وبين موقع المغرب ، الواقع فى الطرف الاقصى من العالم الاسلامي ، والادنى الى اوربا من كل اقطار المسلمين على الاطلاق ــ اذا ما قارن المرء بين هذا وذاك ، تبين له مقدار الحيوية التي توافرت للمغرب فى هذا المجال ، وسعة المجال التاريخي الذي يتمكن من افتتاحه على اوسع نطاق .

3) كان قيام الدولة العلوية ، كما سلف لنا ــ حدثا فكريا وحضاريا ، بقدر ما كان حدثا سياسيا كذلك ، ويتجلى هذا ، علاوة على ما تقدم ــ يتجلى فى موضوع الاطار الذي يحتوي القيم العقائدية الدينية فى المجتمع الاسلامي المغربي ؛ والملحوظ فى تاريخ المغرب الاسلامي ، انه تاريخ عقيدة واحدة مستمرة حقا ، وهي الاسلام ، لكن الاطار الذي تتحقق فى مضماره العقيدة ــ وهو اطار لا يمس الجوهر فى شيء ــ كانت تحدث فيه بعض التبلورات ــ على نحو او آخر ، خلال تتابع مراحل التاريخ المغربي ، ومن ثم ، فان القضية العقائدية الدينية كان لها فى مجال التاريخ المغربي شأو كبير ، وقد صاحب النظر العقائدي بالفعل ، تطورات السياسة المغربية منذ القرون الاولى ، وبالاخص خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ، حيث تأرجح المغرب بين تيار محافظ جدا ، هو الذي ساده على عهد اللمتونيين ، وبين تيار فكري ديني آخر مضاد للاول فى كثير من المناحي ، وهو الذي شمل المغرب خلال عصر الموحدين ؛ وكان كل من التيارين الفكريين اللمتوني والموحدي ، مجرد مرحلة من مراحل التاريخ الفكري للمغرب ، مثل ما مر من مثل هذه المراحل فى تاريخ العرب الفكري بالشرق ايضا ؛ وبظهور الدولة العلوية ، كان المغرب على ابواب تحوله الفكري الجديد الذي كان لابد ان يسلمه الى التطورات الفكرية المعاصرة التي نعيشها اليوم ؛ وكانت بذور من ذلك ايضا فى بلاد المشرق العربي تختمر وتنمو مع الامد الطويل ، لتتبلور فى الصورة التي وقعت بها النهضة الفكرية ببلاد الشرق ، وفي مضمونها فكرة مراجعة المفاهيم الدينية ، التي تعقدت فى المجتمعات الاسلامية ، وتغلفت بما يتناقض احيانا مع سلامة الاسلام وفطريته وتلقائيته ؛ وقد وقع التفتح المضاد لذلك الانغلاق ، الانغلاق الذي استحكمت حلقاته مع القرون ؛ واكتسى التفتح الجديد فى الشرق ، صورة الفكرة السلفية ، فكرة الرجوع الى عقائد السلف الصالح الذين لم تتغلف مفاهيمهم العقائدية بالتعقيدات التي فرضتها ظروف مختلفة عاشها المسلمون طوال القرون ، فتكيفوا بكيفها ، سواء فى نظرتهم العلمية او بعض مفاهيمهم العقائدية ؛ وكما فرض التفتح ذلك ما فرضه فى ميدان المفاهيم العقائدية ؛ فقد كان من نتيجة ذلك التفتح ايضا ان خلق افكارا مضادة للتقليد المطلق فى فقه الاحكام والشعائر وغيرها ؛ وفي ضمن هذه النوازع التطورية ، ظهر القرآن والحديث ــ كما كانا دائما ــ مادتين حيويتين اساسيتين ، وليس لهما من شأن فى اهميتهما كوسيلتين لاغناء الفقه الاسلامي وتطويره ، والتوفيق ــ فى نطاقه ــ بين مقتضيات الالتزام بروح السلف الصالح ، وروح التغيير المستمر الذي تفرضه ضرورة العصر وموجبات الحياة المتغيرة ؛ وقد كان المغرب العلوي ، مجال تبلورات فكرية رائدة من هذا القبيل ؛ والملاحظ ان الحركة الفكرية هذه ، قد وجدت سندها المباشر فى ملوك علماء ومفكرين من طراز المولى محمد بن عبد الله والمولى سليمان حيث ان هذين الملكين ، لم يكن عملهما فى هذا المجال مجرد مسايرة لتيار اصلاحي راياه صالحا فآزراه ، بل انهما كانا رائدين كبيرين فى مجال هذا التيار ، وساهما فيه بالقدر الذي جعل منه حركة نهوض وتطور مهم جدا فى تاريخ المغرب الفكري الحديث

* * *

الصور التي عرضنا لها فى غضون الفقرة السالفة ، تصلح كاطار لادراك بعض الملابسات التي تحيط بموضوع القرءان ، وموقف للاهتمام الكبير الذي كان

يتحده الملوك العلويون ازاء الكتاب الكريم ، عاملين على نشره والتشجيع على الاقبال عليه ، ومقبلين فى ذات الوقت على مدارسته ، ومجالسة علمائه ، والاخذ عنهم ، والاعطاء لهم ايضا ، بل واعطاء العموم من ذلك نصيبا غير يسير ؛ لقد عرف عن الملوك العلويين الكثير من هذا القبيل ، ويمكننا ان نسوق العديد من الامثلة والشواهد على ذلك ؛ وفي المراجع المغربية كالاتحاف لابن زيدان صور كثيرة من هذا المعنى تشير فى عمومها الى ما كان هناك فى حظيرة الدولة العلوية من عناية بامر القرآن الكريم ، وبروز هذه العناية فى مظاهر شتى تتمثل تارة فى اجراء الاوقاف على قراءته ، وطورا آخر فى تبجيل حملته واكرامهم ، الى غير ذلك مما فى هذا المعنى .

ونورد على سبيل التذكرة ، بعض النماذج السريعة التي ساقها صاحب الاتحاف فى هذا المجال ؛ ومن ذلك وصفه لاجراء الشعائر التي يتلى فيها القرآن كصلاة التراويح مثلا ، وكيف كان يقع الاحتفال بها من طرف المولى الحسن الاول ، فى جو من الحفاوة البالغة عظيم ؛ ومن الصور ايضا ، الظهير الذي كان اصدره المولى محمد بن عبد الرحمن تكريما وتوقيرا لشيخه فى القرآن ، الشيخ محمد بن عبد الواحد الزجلي ؛ وجاء فى ضمن ذلك الظهير كما ساقه صاحب الاتحاف، وكان صدوره لفائدة احفاد الشيخ « وحملناهم على كاهل المبرة والانعام ، والرعي الجميل المستدام ، واسقطنا عنهم التكاليف المخزنية ، والوظائف السلطانية ، لما لجدهم علينا من الحق بتعليم كتاب الله العزيز ... » وهذه العبارة الاخيرة هي المراد من سوق هذه الفقرات ، وذلك لما تشير اليه من تقدير كبير لحامل الكتاب الشريف ، وهو تقدير يعكس صورة عن الروح السائدة بهذا الصدد ، في حظيرة المغرب العلوي ؛ وهذا التقدير هو جانب من جوانب الصورة التي نعرض لها بصدد ما نتناوله فى اطار هذا الموضوع ؛ اما الجانب الآخر ، فهو الذي نود التوسع فيه نسبيا ، اكثر من غيره من الجوانب ، وهو يرتبط بمجموع قضية الفكر والثقافة فى هذه البلاد ، ويشير بصورة أخص الى سابقية الوعي العلمي في المغرب واصالة حركة الاصلاح والتطور الفكري بالوطن المغربي ؛ ونلمس كل ذلك ـ كما يحدده موضوعنا ـ نلمسه من زاوية الثقافة الدينية ـ القرآنية بالاخص ، ولذلك ارتباط بما اشرنا اليه من امر الفكرة السلفية ؛ والفكرة السلفية ـ كما نعلم ـ لها اطار واسع ، يستوعب فى مضمونه معطيات متمازجة من الدين والعلم والفكر ؛ ومن ثم ، فهي ـ فى صورتها المالوفة ـ حركة دينية وعلمية وفكرية فى نفس الوقت ؛ وفى هذا المجال تتخذ قضية العناية بالقرآن فى المغرب العلوي مدلولها العرفاني ، مثل ما تتخذ من مدلول روحي صرف .

ان الدراسات القرآنية هي ـ بطبيعة الحال ـ ذات شان رئيسي فى كل دراسة دينية اسلامية ، ومن مدلولات القرآن المعنوية والتعبيرية ، تستخلص اهم القضايا الدالة على روح الاسلام واحكامه ومقتضياته ؛ واذا كان هذا صحيحا بالنسبة الى كل دراسة اسلامية مجردة ، فانه صحيح بالاولى والاحرى بالنسبة الى الدراسات الدينية القائمة فى نطاق الروح السلفية ، والمستهدفة فى الاساس ادراك الحقائق الدينية التي يستمدها الاتجاه السلفي من القرآن اكثر مما يستمدها من غيره ؛ وعلى هذا ، نجد ان الاتجاه للقرآن عند الملوك العلويين يدخل فى نطاق اعم من مجرد الرغبة فى التبرك بالكتاب المبين ؛ والنطاق الاعم الذي نقصد هو النطاق العرفاني ، بكل ما يدعو اليه من اهتمامات علمية ، ليس هناك غنى عنها بالنسبة لنزعة سلفية واعية ، وكان لهذه الاهتمامات العلمية نتائجها اللازمة، ومن هذه النتائج : (اولا) امتزاج الاقبال على دراسة القرآن بالاقبال ايضا على الدراسات الحديثية ، والقرآن والحديث هما قطبا الرحى فى كل اساس علمي تقوم عليه النزعة السلفية او تقتضيه الفكرة السلفية ؛ ان معيار السلفية هو صحة المأخذ عن الرسول فى الاحكام والعقائد سواء فيما اتى به وحيا من ربه ، وهو القرآن، او ما نطق به من احاديث (والحديث ـ كما نعلم ـ مادة اساسية وواسعة لفهم الاسلام بعد القرآن ، ولذلك كان لابد من التقاء الاهتمام بهما معا ليتم من ذلك مفهوم صحيح ومتكامل للفكرة الدينية من ينابيعها الاصلية ، وهي ينابيع غنية ووافية بما يتطلب فى هذا المجال (2) ظهور فكرة الاصلاح والتطوير على فكرة المتابعة والمسايرة ؛ لقد عقمت اساليب التناقل العلمي وتجمدت عند حدود روتينية تفتقر اكثر ما تفتقر الله ـ تفتقر الى تحقيق المقصود من صقل الملكات ، واستثارة العقول واكسابها القدرة على الابداع ؛ وقد اصيب تدريس العلوم الدينية بذلك ، كما اصيب تدريس غيرها من العلوم ؛ وكانت مظاهر ذلك بادية فى مختلف الاقطار العربية ؛ اما المغرب العلوي ، فقد عرف تطورا هاما جدا فى هذا الشأن ، اذ صاحب فكرة السلفية فيه ، بما تقتضيه من اقبال على السنة والكتاب ـ صاحبتها ايضا فكرة تطوير الاساليب المتبعة فى تدريس العلم الديني ؛ بما فى ذلك اساليب تدريس القرآن الكريم ،

الذي ـ كما نعلم ـ هو باب المسلم الى ارتياد المجالات العرفانية الدينية الواسعة ، لا ان يقتصر فيه على الحفظ المجرد ، ولو ان الحفظ في حد ذاته شيئا مطلوبا، الا ان الكتاب الكريم ، انزل للتدبر فيه ، واستخلاص العبرة والفائدة منه ، فيما ينفع الناس في دينهم ودنياهم ؛ ولا شك ان الفكرة هذه ، تبدو الآن فكرة مالوفة ، ولا توجب تنبيها لها ، لانها من البدهيات المسلم بها ؛ غير اننا اذا وضعنا الامر في اطاره الزمني المناسب، وارجعنا الدعوة لهذه الفكرة الى العصر الذي راجت فيه ، لراينا حينئذ انها كانت فكرة ثورية رائدة ، وانها كانت من اجدى الفكر واكثرها انضواء على المعاني الايجابية الخصبة ، وذلك لما كانت تعانيه المجتمعات العربية حينئذ من عقم اساليب التعلم ، وفشو ذلك فشوا شاملا لجميع قطاعات الحياة العلمية العربية ، وتواضع الناس على اساليبهم تلك ، وعدم استعدادهم بسهولة لتقبل تغييرات التطوير التي تقترح عليهم في ذلك . (3) افادة الخزانة المغربية من هذه الحركة الفكرية المتطورة ، وذلك بما ادت اليه الحركة من حمل روادها على توضيح مفاهيمهم وشرحها للناس ، والاتيان بالنماذج والصور التي يجب ان تحتذى في هذا المجال؛ ومن ذلك كان العدد المهم من الكتب والرسائل التي صدرت بهذا المعنى ، وبقيت في سجلات الخزانة المغربية ، وثائق شاهدة على فترة عظيمة من فترات التاريخ العلمي المغربي .

ولنتناول الآن بعض الامثلة على النقط التي اوردنا ، وقد كان المولى محمد بن عبد الله ، الرائد الاول في هذا المجال ؛ ويتمثل في هذا الملك العالم المفكر، ما تقدم ان ذكر ، من نماذج الدراسة الحديثية بأمر القرآن ، وذلك في نطاق الفكرة السلفية التي تقوم على هذين السندين العظيمين ؛ وقد اشتهر المولى محمد بن عبد الله برواية الحديث وادراك معانيه ، ويورد الناصري في ذلك قوله « ... وكانت له عناية كبيرة بذلك ، وجلب من بلاد المشرق كتبا نفيسة من كتب الحديث لم تكن بالمغرب ، مثل مسند الامام احمد ومسند الامام ابي حنيفة وغيرهما ... » الى ان قال بعد ذلك « ... ولما ولاه الله امر المسلمين بعد وفاة ابيه ، زهد في التاريخ والادب بعد التضلع منهما ، واقبل على سرد كتب الحديث ، والبحث عن غريبها وجلبها من اماكنها ؛ ومجالسة العلماء والمذاكرة معهم فيها ... » على ان الذي يبدو من استقراء الامور ان المولى محمد بن عبد الله ، لم يكن شغوفا بالمعرفة الحديثية هكذا لمجرد المعرفة بالشيء وحب الالمام به ؛ وانما كان ذلك مرتبطا عنده من جملة ما يرتبط به ـ كان مرتبطا عنده بموضوع العمل الاصلاحي الفكري الذي كان له به اهتمام واضح ، ويندرج الاهتمام بالحديث لديه ـ ضمن ذلك ـ بالاهتمام بمجمل قضايا العلم الديني من قرآن وحديث ، وفقه وغيره ، يدخل كل هذا في دائرة مذهبه في هذه الامور ، وما كان قارا في نفسه من اتخاذ المبادرة العملية على هذا المستوى؛ ويمكن استبانة لمحات من هذا الاتجاه العلمي في كتابه « مواهب المنان ، بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان » فقد اورد فيه المولى محمد بن عبد الله ما يفاد منه ان الاتجاه الاصلاحي كان عنده شاملا جامعا ، وانه غير محصور في دائرة الحديث فقط ، وقد جاء في ذلك ، قول الملك العالم « ... كان غالب اعتناء طلبة الوقت بحفظ القرآن ، والتفنن في قراءته بالروايات ، واهمالهم ما فرض الله على الاعيان مما يدان به من علم العبادات والاعتقادات ، وان كان فضل كتاب الله مأثورا ، ومقام حفاظه بين اولياء الله مشهورا، ولكن لا مع الجهل بما يعبد الله به من ضروري الدين ، فانه على الموصوف بهذه الصفة حجة في كل حين ، لان المقصود الاهم من حفظ القرآن ، هو تعلم احكام الدين التي بها الله يدان ، اذ مجرد حفظ مجموعه فرض كفاية ، بلا ارتياب ، ومعرفة ما تبرأ به الذمة فرض عين وايجاب ... » « وكنت لقيت حال سفري من مكناسة الى مراكش سنة 1203 ثلاث بعد المائتين والالف ، من الاساتيذ ، الجم الكثير ، والفيت كل من اختبرت منهم لا يتمسك من علم دينه بقطمير ... » (1) ولا أخال ان هناك اوضح من هذه العبارات في الدلالة على المفاهيم الاصلاحية التي كان يحمل لواءها المولى محمد بن عبد الله ، وكان اهتمامه بالحديث مقرونا باهتمامه بالقرآن ، كل ذلك يدخل في نطاق « الثورة التعليمية » التي كانت ـ بالنسبة لذلك العصر ـ كما في كل عصر ـ الاساس الحيوي لكل نهضة اجتماعية واقتصادية وغيرها في اي بلد وفي اي مجتمع ؛ وكما اوردناه في خلال النقطة الثانية من النقط التي اسلفنا ، فان مثل هذا التفكير الاصلاحي ، كان بمثابة صدمة قوية لحالة التزمت والمتابعة التي سادت حياة العلم في كل انحاء العالم العربي خلال القرون الاخيرة ، حتى صارت اهم عامل في تخلف العلم العربي وتقوقع

---

1) ابن زيدان : الاتحاف

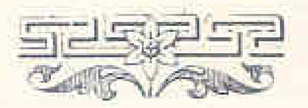
محتوياتــه ؛ ويسوق الناصري حــول ذلك قولــه « ... ومن عجيب سيرته رحمه الله ، انه ـ اي المولى محمد بن عبد الله ـ كان يرى اشتغال طلبــة العلــم بقراءة المختصرات في فن الفقه وغيره ، واعراضهم عن الامهات المبسوطة الواضحة ، تضييع للاعمار في غيــر طائل ، وكان ينهى عن ذلك غاية ، ولا يترك من يقــرأ مختصر خليل ومختصر ابن عرفة وامثالهما ، ويبالــغ في التشنيع على من يشتغل بشيء من ذلك حتى كــاد الناس يتركون قراءة مختصر خليل ، وانما كان يحض على كتاب الرسالــة والتهذيب وامثالهمــا ... »

وقــد صاحب بروز هذه النزعة الاصلاحيــة ، التي كانت كرد فعل ضد عقلية علمية سادت طويلا دنيا العرب ، وكانت ـ اي هذه العقلية ـ بمثابة ترسب غير قادر على مسايرة التيار النهري الدافــق ـ صاحب بروز هذه النزعة ، حالة نشاط علمي مهم ، وجد معه علم التفسير وغيره من علوم القرآن ، مجالا خصبا ، كان ابرز آثاره ازدهار حلقات التفسير القرآني بالمساجد ، كما بالبلاط المحمدي والسليماني وفي كثير من معاهد العلم هنا وهناك ، وبروز عدد من كبار العلماء الذيــن عرفوا بمقدرتهم في الفروع العلمية الاسلاميـة المختلفة ، بما فيها علم التفسير بطبيعة الحال ، وقد كان المولى سليمان من هؤلاء المتضلعين في فن التفسير كما كــان متبحرا في غيره ؛ وجــاء في عبارة صاحب الاستقصاء حول ذلك قوله : « واذا تكلم ـ اي المولى سليمان ـ في علوم القرآن اتهل بما يغمر مورد الظمآن . » وكان من اعلام العصر السليماني ايضا في التفسيــر الشيــخ محمد بن عمرو بن عبد الله الزروالي ويعد من شيــوخ المولى سليمان في علم التفسير بالذات ؛ ومن علمــاء التفسير القرآني في عهد المولى عبد الرحمن ، الشيخ حمدون بن الحاج ، وقد كان من المشاركين ، الا ان من اشهر حلقاته التدريسية ، تلك التي كان يلقي خــلالها دروســه في التفسيــر .

وكما برز مفســرون لامعون في عهود الدولة العلوية، لمع نجم عدد من المقرئين المجودين ايضا ، ومن هؤلاء محمد الشريف السجلماسي شيخ الجماعة بمراكش في القراءات ، وذلك في خلال عهد المولى عبد الرحمن بن هشــام ؛ ومن اعلام ذلك العصر ايضا في التجويد الشيخ محمد بن الطيب السجلماسي (وكان كما ذكر عنــه صاحب (الاعلام) « ... مجودا لكتاب الله عز وجل يعطي مخارج الحروف حقها ، ويحسن نطقها ، قــرأ القرآن بالروايات السبع ... »

وهذه مجرد نماذج فقط ، ومثيلها كثير في خلال عهود الدولة العلوية باستمرار .

ســلا ـ المهـدي البرجالـي





للأستاذ عبد الله العمراني

نعني بالسلطان العالم الشاعر مولاي عبد الحفيظ ابن مولاي الحسن (الاول) الذي تولى السلطنة واعتزلها في فترة قصيرة حاسمة من تاريخ المغرب الحديث . وان هذه الفترة القصيرة التي لا تتعدى خمس سنوات من حياته الطويلة التي استغرقت ثلاثة ارباع القرن (1) ، كانت حافلة بالاعمال والحوادث لدرجة قد تغري المرء بوضع صفر أمام الخمسة فتصير خمسين ، اجل ، ان التاريخ احيانا ليسرع الخطى حتى يفرغ ما في جعبته من احداث جسام في بضع سنين ، مما لا يكاد يفعله في بضعة اجيال .

ولعل قلة من القراء هي التي تعرف ـ زيادة على ما تقدم ـ ما كان يحظى به مولاي عبد الحفيظ من خصائص علمية ، فقد كرس جزءا من حياته الحافلة لخدمة علوم القرءان ، ولمديح نبي القرءان محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام . وبهذه الاعمال التي سنتحدث عنها ـ فيما بعد ـ استحق عن جدارة لقب عالم السلاطين وسلطان العلماء في عصره ... ولعل قلة من القراء ـ أيضا ـ هي التي تعرف لمولاي عبد الحفيظ صفته الشاعرية التي تفتح لها ذهنه ، وتفتقت عنها عبقريته ؛ فترك لنا ثروة هامة من الشعر ، والتعليمي منه بوجه خاص ، فنظم لنا علوما مختلفة في سلك من الوزن الشعري اللطيف الذي اعتادت كثرة الشعراء التعليميين ان تنظم فيه ، وتنسج على منواله لتقرب للافهام وتسهل للحفظ معارف منوعة وعلوما جمة .

نبذة حياة :

وقبل الشروع في فتح الصفحة العلمية من حياة مولاي عبد الحفيظ الحافلة التي طواها الزمن منذ اكثر من ثلاثين عاما ... وقبل التحدث عن آثاره العلمية يجدر بنا ان نقول كلمة عابرة عن حياته مما يلقي بصيصا من نور على اتجاهه العلمي وشغفه بالثقافة القرءانية.

ولد مولاي عبد الحفيظ بفاس ـ عاصمة المغرب السياسية آنذاك ـ وشاءت عناية والده ان ينشئه في احدى قبائل الجنوب المغربي : قبيلة بني عامر الواقعة جنوب غربي مراكش ، حيث استمتع الامير هناك بجو صحي بعيد عن ضوضاء المدينة ووخمها . وقد تربى مولاي عبد الحفيظ تربية الامراء ، ومهدت له جميع السبل لتلقي العلم ومخالطة العلماء ، وبذلك اشبع نهمه الروحي ملبيا رغبته النفسية في تلقي العلم ، وحذق المعارف الجمة التي كانت منتشرة في عهده ، فاستوعبها .

يقول عن نفسه : « ... فاني منذ الشباب وقلبي مشتاق للعلم واهله من ذوي الالباب ، حتى

(1) ولد سنة 1280 هـ وتوفي يوم الاحد 22 محرم 1356 هـ ، أما السلطنة فتولاها حين بايعته مراكش في 6 رجب 1325 ، ثم فاس في 23 ذي القعدة 1925 ؛ ولكنه تنازل عنها في 28 شعبان 1330 هـ .

جمعني الله مع كثير من العلماء والاولياء ، ذوي العقول واللطائف ... فازداد قلبي لهم حبا ، وتيموني (2) فما ملكت معهم عقلا ولا لبا ؛ ولا سيما علماء شنقيط ... (وبعد ان عدد بعضا منهم اضاف قائلا :) ولي فيهم عدة اشياخ سامرتهم ومارستهم في قراءتهم وعبادتهم :

(هكذا ، هكذا ، والا فلا ، لا
طرق الجد غير طرق المزاح)

حتى تعلمت ما شاء الله ان اتعلم (3) » .

وبعد حياة التعليم والاستيعاب هذه ، يدخل اميرنا في طور الانتاج العلمي والادبي وقرض الشعر ، ولا ريب ان مثل هذا العمل كان يقتضي منه هدوء بال واطمئنان فكر ، وهذا ما توفر له في مدينة مراكش الجميلة الهادئة ، فهناك قبل أن يصبح خليفة عن اخيه السلطان مولاي عبد العزيز وبعد ان اصبح خليفته ، وجد الجو مناسبا للتفكير والانتاج ، فقام بجل اعماله العلمية — ان لم نقل كلها — ونظم اراجيزه في مختلف الفنون .

اما فترة توليه السلطنة فلم تكن بطبيعتها وكثرة مشكلاتها السياسية والمالية وغيرها لتسمح له بمزيد من الانتاج العلمي او التاليف ؛ غير انها سمحت له بنشر كتبه ومؤلفاته على الملأ ، ومكنته من طبع عدة كتب خدمة للثقافة العامة ونشرا لعلوم القرءان بين الاجيال الصاعدة .

آثاره العلمية :

تلك نبذة موجزة عن حياة مولاي عبد الحفيظ ؛ اما اثاره العلمية فوافرة ، حدث عن البحر ولا حرج — كما يقال — ، وان متناول الحديث عن تلك الآثار لا يسعه الا ان يقسمها قسمين رئيسيين : في خدمة علوم القرءان ، وفي مديح نبي القرءان . وسنتحدث عن كل قسم فيما يلي :

اولا — في خدمة علوم القرءان : وتشمل آثاره في هذا القسم ما ياتي :

أ — مؤلفات نشرها : وانفق على طبعها ليسهل تناولها ، وليوفر المصادر والمراجع لطلبة العلم وشيوخه بجامع القرويين بفاس وبجامع ابن يوسف بمراكش وبغيرهما من مراكز العلم بالمغرب ، بل والمشرق ايضا، لان كثيرا من هذه الكتب طبعت بالقاهرة ، فجاءت فائدتها عامة شاملة . ومن هذه المؤلفات التي نشرها :

1 — حواشي الشيخ التاودي على صحيح البخاري
2 — المشارق للقاضي عياض .
3 — حاشية سيدي المهدي الوزاني العمراني في الانتصار للسدل .
4 — بداية المجتهد للحفيد ابن رشد .
5 — فتح الودود للولاتي على مراقي السعود للشنقيطي .
6 — الاصابة لابن حجر .
7 — تفسير ابي حيان المعروف بالبحر .
8 — شرحا الابي والسنوسي على صحيح مسلم .
9 — المنتقى للباجي .
10 — شرحا الحطاب والمواق على مختصر خليل
11 — الاحكام الكبرى لابن العربي المعافري .
12 — تحفة الملك العزيز في الرحلة الى باريز للوزير ابن ادريس العمراوي .

ب — مؤلفاته النثرية : واهمها ذلك المرجع الذي اشرنا اليه منذ قليل وهو :

1 — العذب السلسبيل في حل الفاظ خليل : وهو عبارة عن شرح لغوي ادبي لخطبة « مختصر » الشيخ خليل ابن اسحق الجندي (4) . وقد ابان مولاي عبد الحفيظ في كتابه هذا عن مقدرة علمية واطلاع واسع . يقع الكتاب في 118 صفحة من القطع الكبير ؛ وقد صدره بأبيات شعرية :

---

(2) في الاصل : تيهوني وهو تحريف مطبعي .
(3) مولاي عبد الحفيظ : العذب السلسبيل ، ص 2 المطبعة المولوية بفاس 1326 هـ .
(4) يفهم من كلام الاستاذ الزركلي (الاعلام ج 4 ص 50) ان الكتاب في فقه المالكية ، بينما الذي في فقه المالكية هو « مختصر » الشيخ خليل الذي لم يقم مولاي عبد الحفيظ الا بتحليل مقدمته وشرحها كما ذكرنا .

كتاب « السلسبيل » شفا عليلي
ونيل المرتجى يشفي غليلي
وكنز الفضل من درر احتسابي
ومفتاح المواهب من « خليل »
فبالنفس النفيسة خذه ذخرا
ونورا في الهداية عن دليل

2 ـ ومن مؤلفاته النثرية كتاب : كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع . وهو مطبوع ايضا ، لكني لم اقف عليه ، فلا أدري حجمه . وقد الفه السلطان الراحل في الرد على بعض المبتدعة من متصوفة زمانه.

جـ ـ اراجيزة : ونظم مولاي عبد الحفيظ عدة منظومات واراجيز في فروع من المعرفة مختلفة ، وفي فنون من القول جميلة ، وهي حسب الحجم وعدد الابيات كما يلي :

اسم الأرجوزة	عدد صفحاتها	مجموع ابياتها	التعليق
ياقوتة الحكام في مسائل القضا والاحكام	123	2.438	جليلة الفائدة تهم طلاب الشريعة ورجال القضاء والقانون .
الجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع	108	2.111	جليلة الفائدة تهم طلاب الشريعة واصول الدين
نظم مصطلح الحديث :	109	2.074	ينم عن ثقافة واسعة في علوم الحديث ، ويهم طلاب الحديث وعلماءه .
نيل النجاح والفلاح ، في علم ما به القرءان لاح	102	2.035	منظومة في علوم البلاغة تهم طلاب اللغة وآدابها والمشتغلين بالنقد الادبي .
المجموع الكلي :	442	8.658	مجهود ادبي ضخم بالنسبة لامير مطوق براجيات سياسية واجتماعية عديدة .

ولعل اهم الدوافع التي دفعت مولاي عبد الحفيظ الى خوض غمار المعارف ونظمها بهذا الشكل ما يلي :

1 ـ الموهبة الشعرية التي كان يتمتع بها . فان صاحب الموهبة لا يمكن ان يخفيها « وان خالها تخفى على الناس تعلم » لانها لا تلبث ان تعلن عن نفسها بنفسها . قد يقال : ان هذا نظم لا شعر ؛ والنظم قد لا يحتاج الى موهبة كبيرة . والجواب : ان كلا من الناظم والشاعر يغترف من معين واحد ؛ والذي ينظم الشعر يستطيع ان يقرضه ، ويعجبني هنا بيتان اوردهما شاعرنا في اول صفحة من صفحات « نظم مصطلح الحديث » ، قال يصف « النظم » :

ردت فصاحته ورقة لفظه
وحش الكلام او انا بخطابه

كالنحل يرعى المر من نبت الربى
فيصير شهدا في طريق رضابه

اليس هذا خيال شاعر اصيل ؟

2 ـ ثقافته الواسعة : وخاصة في علوم الشريعة واصول الدين ، وفي علوم الحديث وعلم اللغة وآدابها .

3 ـ ما احسه في الطلبة وشيوخ العلم من حاجة ماسة الى توفير مختلف المراجع في فنون معينة .

4 ـ ما كان يحسه كثير من معاصريه ـ والمصلحين منهم خاصة ـ من ان العلم في طريقه الى الانقراض ؛ ولذا عمد الى عدة علوم فنظمها شعرا كي يسهل حفظها، ويسهل نطاق تداولها بين عشاق المعرفة من مواطنيه.

5 ـ الرغبة في الانتاج وافادة الناس بعلمه : فان العالم الذي لا يعمل ولا يفيد ، كالجاهل سواء بسواء ؛ وان العلم بلا عمل كالشجرة بلا ثمر ... هذا وجميع هذه الاراجيز مطبوعة بالمطبعة المولوية بفاس سنة 1327 هـ .

ثانيا ـ في مديح نبي القرءان الكريم :

ويشمل هذا القسم من آثار مولاي عبد الحفيظ قصيدة طويلة عثرت عليها مؤخرا ، وأود ان اتحدث عنها لقراء مجلة (دعوة الحق) القراء في هذا العدد الخاص ؛ استجابة لرغبة كريمة أعتز بتلبيتها .

جو القصيدة : كتبت القصيدة بخط مغربي متوسط الجمال ، لاتحمل عنوانا وانما اولها : « لمولانا

عبد الحفيظ بن الحسن نصره الله »، وآخرها : « تمت 20 قعدة عام 1326 »، قد تكون القصيدة بخط يد السلطان نفسه، لست متأكدا من هذا ؛ على انها ربما كانت بخط يد بعض الناسخين، لاني أجد فيها بعض الاغلاط التي ساشير الى بعضها والتي قد ينزه عنها شاعرنا ان لم تكن من سبق قلمه .

والقصيدة طويلة النفس، فهي تتالف من واحد وسبعين ومائة بيت، والميزان الشعري الذي صب فيه الشاعر افكاره ليس بحر الرجز الذي عودنا ان يطرقه في منظوماته، والذي يصلح كثيرا للشعر التعليمي والذي ينعته البعض بانه حمار الشعراء ؛ وانما القصيدة من بحر آخر هو « الطويل » وهي لامية الروى .

يبدو الشاعر هنا اتباعيا (كلاسيكيا) وهذا شيء طبيعي في سلطان مغربي عاش في بيئة مغربية محافظة، وظل يعتز بمغربيته حتى في أحرج الظروف حين قال : « انني امثل شعبا لم يكن مستعمرا قط، لم يكن قط، جنسا خاضعا خنوعا بل شعبا صالحا نافعا ؛ انني امثل مملكة ظلت مستقلة عبر قرون واجيال (5) » .

وعلى الرغم من كلاسيكية الشاعر فانه لم يفتتح قصيدته بمقدمة طللية او غزلية بالمعنى المتعارف لدى شعراء العرب القدامى ؛ وانما هجم على موضوعه او اغراضه التي كان يهدف الى طرقها هجوما خاطفا مباشرا، على ان من الممكن اعتبار ذلك الحوار الطويل بينه وبين من سماها « ربة الجهل » بمثابة مقدمة طويلة، تسودها روح الحجاج والجدال بالتي هي احسن، وتشتم منها رائحة الغزل في مثل هذا البيت :

فلما بدت مني القوافي تواجدت
وكان لها وجه اغر محجل

كما يمكن اعتبار مديح النبي غرضا رئيسا في القصيدة، وما عداه مقدمة له بما في ذلك مديح السلف الصالح، وفي هذه الحالة تكون المقدمة اطول .

ثم اننا نرى مولاي عبد الحفيظ يعمد في هذه القصيدة الى جزالة اللفظ، واختيار مفردات عويصة — قد تكون بعيدة عن الاستعمال — ليبره للقارىء عن مدى ما يتمتع به من مقدرة لغوية فائقة، وتفنن في التعبير سليم ؛ بيد ان الجري وراء الحوشي من الالفاظ، قد يشده شدا الى التفصح والتقعر والتعقيد احيانا، كما قد يجره الى الغموض وخفاء المعنى او تفاهته احيانا **اخرى** .

ولا يمكن ان نستوفي جو القصيدة حقه من الكلام ما لم نتطرق الى تحليل القصيدة **والبحث عن** معانيها واهدافها الاساسية **التي يمكن اجمالها في** الاتي :

ا — حوار Dialogue طويل بينه وبين « **ربة** الجهل » التي تحثه على ترك العلم، **والاهتمام بغيره من** شئون الحياة ؛ بينما نراه يسعى جاهدا لاقناعها، فيدافع عن فكرته او وجهة نظره في **الاشتغال بالعلم**، ووجوب العمل على ترويجه، واخيرا يقنعها فتقتنع وتحثه على ممارسة العلم ودراسته في كل محفل .

ولا ندري من ربة الجهل هذه ؟ انما الشاعر يخاطبها احيانا بـ « ابنة العم » وتارة يسميها بـ « مي » وتارة أخرى يدعوها « سلمى » . ولسنا نعتقد أن هناك شخصية حقيقية معينة تحمل هذا الاسم او ذاك ؛ ولكن الشاعر — عن طريق التجريد والتمثيل — رسم لنا هذه الشخصية الخيالية لترمز الى واحد او واحدة من اولئك الذين يخالطون المشتغل بالعلم ويخالطهم، ويلاحظون ما هو عليه من شقاء البحث، والبعد عن شؤون الحياة، فيلومونه — آنا — على طول الاهتمام والاستغراق في العلم ؛ وقد يغالون — آنا آخر — في لومهم فيجرون مقارنة بين مخاطبهم وبين بعض ذوي الحظوة والجاه، فيذكرون له اقبال الدنيا على هؤلاء الجهلة المحظوظين رغم انصرافهم عن العلم ودرسه، وعدم الكد والجد والتعب والنصب، مثلما يعانيه هو في الحياة .

ب — تمجيد العلم وتكريم العلماء، وحث طلاب العلم على تحمل كل المشاق في سبيل طلبه ... ولا شك ان شاعرنا هنا انما يحاول ان يعطي درسا عمليا لشعبه الذي انحرف بعض افراده عن طريق العلم ؛ فحثهم بهذه الوسيلة على ممارسته ودراسته ؛ مبينا ان مغريات الجهل قد تفوق المشجعات على العلم . ولكن الحق والفضيلة والخير والجمال وسائر المثل العليا انما تنتصر في النهاية، كما ان الرقي والتقدم والكمال الانساني الممكن، خصائص ومميزات تكمن وراء النهل والعلل من ينابيع العلم الثرة .

ج — نقد الحالة العلمية التي تردت فيها بلاده ؛ فتصدى للتعليم من هو ليس اهلا له، وساد المغرب جهال .

---

5) Vincent Monteil : « Morocco », p. 59 (1964)

د ـ الفخر وهو تلك الصفة التي تجعل العالم يذكر خير ربه ، حين يتحدث عن نعمته التي انعم بهـا عليه ؛ تحقيقا لقوله تعالى : « واما بنعمة ربك فحدث »

هـ ـ ويتخلص الشاعر من كل ذلك بلطف الى الحديث عن الاراضي المقدسة مهبط الوحي وموطن الهدى والرشاد ، ومبعث الحضارة الاسلامية الخالدة، ويثني على السلف الصالح ثناء عاطرا .

و ـ واخيرا يخلص الى مدح النبي صلى الله عليه وسلم ذاكرا مميزاته الخلقية والخلقية ، وفضله على سائر المرسلين ، ومثيرا الى وجيه المقدس وشريعته السمحة وسائر معجزاته الخالدة . كل ذلك في نفس طويل لا يحد منه كلال او تعب . ويظهر من خاتمة القصيدة ان الباعث عليها ربما كان مرضا الم بالشاعر ، فنذر ان يمدح بها النبي (ص) لتقضى بهـا رغبته في الشفاء العاجل . ويظهر ان امله قد تحقق فشفي من المرض ، ونال السرور الذي يجعله دائم اللجوء الى باب المصطفى الكريم ، يطرقها ولا يتحول عنها ابد الدهر ، سواء في الصحة ام المرض ، في السراء ام الضـراء .

منتخبات من القصيدة :

ولا يمكنني هنا ان انشر القصيدة قضها وقضيضها لاسباب اهمها ضيق الوقت والمجال . وانما اكتفي بنشر منتخبات منها تعبر عن نفسية سلطاننا الاسبق، وتجلو لنا بعضا من صفاته الشاعرية .

قـال رحمـه اللـه :

اناخت ببالي ربة الجهل تسـأل
وابدت امورا ربما العقل يقبـل

وقالت : ارى ان ترك العلم معزلا
فللجهل اقوام تسير وتدال (6)

اما انهم سادوا ، وشيدت حصونهـم ؟
اما انهم في حبها ـ الدهر ـ اوغلوا (7)؟

فمن ذا رايت للعلوم مسارعـا ؟
بلى ! كسبه من غير شك سيهمـل

ا انت خبيـر ان للعلـم غربـة
تقطع اكباد اللبيب وتذهـل ؟

لـذاك رايت اهلـه في ثـلاثـة
الا قبحت تلك الرجـال وقتلـوا ! :

سفيـه باخـلاط الكـلام معانـد
اذا عظته بالحـق ، للوعـظ يهمـل

وشخصان في حب الهوان تمـالاوا
على كسب نوع الفلس حتى تمولوا (8)

فقلـت لهـا : هـذا كـلام مهـذب
اريـد به علم الشرائـع يبطـل (9)

فلولا وجـود العلم فينا لشيـدوا
دعائـم مـن جهـل ، وللجهـل دول

ولولاه كانت في الخـلائـق ازمـة
وتلك مراد الجاهلين ليجهلـوا (10)

وهـل تعلمين انني في عصابـة
تحرف معنى اللفظ قصدا ليفضلـوا ؟

اجادلهـا حينـا وحينـا اعامـل
/بصفح ، وماذا ينفع اللوم ميل (11) ؟

❋ ❋ ❋

الى ان قال :

ا اتـرك علمـا زاد قلبـي صبابـة
واشغلت فيه الفكر منذ كنت اعقـل

والهو (12) بفلس كسبه عن عجالـة

6) تدال : تعدو عدوا متقاربـا ، او تمشي مشيـا نشيطـا .
7) اوغلوا : بالغوا وابعدوا في الحب . في الاصـل : اوغل بصيغة تفضيل من الثلاثي وغل بمعنى دخـل في الحب ؛ وليس مرادا .
8) تمالاوا : بضمير الجمع لا التثنية على اعتبار ان كلا من الشخصين يمثل فوجا او فريقا من الناس على حد قوله تعالى : « هذان خصمان اختصموا في ربهم » . تمولوا : اقتنوا المال ، او كثر مالهم .
9) في الاصـل تبطـل .
10) ليجهلوا : ليعنفوا ، فلا يحلموا بالناس ولا يرفقـوا بالعلمـاء .
11) الميل : المائلون عن جادة الصـواب ، ونصب الشاعر الفاعل هنا ورفع المفعول جريـا على قاعـدة تعارض اللفظين في الاحكام اذا امن اللبس ، كمـا في قولهم : خرق الثوب المسمار ، وكسـر الزجـاج الحجر ؛ مع ان المسمار هو الذي خرق ، والحجر هو الذي كسر .
12) في الاصـل : الهـوا .

الى غير من تهـوى وتعلـم ينقـــل ؟
رضينا بذل العلـم يامـي فى الـــورى
ولو ان ما في الجيب مزجـى مقلـــل
اذا اجتمع الاقــوام يومــا بمجلـــس
علا النور من قــد كان للعلـم يبــذل
اذا ما بدا من مشكل القول معضـــل
يصول به فحل من القوم عبهـــل (13)
ويحرمه الفدم (14) الضلول جهالـــة
وقد حال دون الفهم جهل عقنقل (15)
بلى ؛ كـل علـم من علـوم كتـابنـــا
تجاذبه م (16) الجهل من هو اجهـــل
يحار بهــا من كان بالعلـــم وصفـــه
فكيف جهول ذو أضاليل ألــول (17) ؟
أسلمى ؛ تولى النشر والطـي محنـــة
من الناس فى ذا الجيل من هو برعل (18)

وبعد ان يمعن شاعرنا فى وصف سوء الحالة التي وصلت اليها بلاده ، نادبا حظ العلـوم ، والحديـث ، والبيان ، وأصـول الفقـه ، وفروعـه ، والقواعـد ، والتفسير ، والمنطق ، يقول :

ومن يدعي بالـزور ما ليـس عالمـــا
به ، فادعاء القول ــ يامي ــ فهلل (19)
تولى ركـاب العلـم في كـل منـــزل
من الناس يلهو بالمناصب حسقل (20)

وهنا يقحم الشاعر « ربـة الجهـل » فتستـلم قائلـــة :

هنالـك قالـت : ان للعلـم منــــزلا
وان شؤون العلم فى النـاس تفضـــل
الا بئس مـال كـان وصـف رجالـــه
ذميما ، وهم في الناس غوغاء جهـــل
عليك بدرس العلم فـي كـل محفـــل
وجاهد ؛ فخير الخير خيـر معجـــل

وهنا يحتفل الشاعـر بانتصاره ، ويفخر بقـوة حجته ، ويتعالى على محاججته فيهددها قائلا :

فقلـت لهـا : لـولا مقـــال مهـذب
ورجعى تبين الحق ، والحق اعـــدل
لكانـت جنـود القـول منـي بســـلا
يلاطمهـا جنـد لدى الحـرب عـــزل
لها في الوغـى يـوم اللقـاء شهامـــة
ومن باسـها (21) يخشى اللبيب ويذهل
اذا ما اتـت يومـا لحـــي تـراهـــم
عن النطق منها عاجزين واجبلـوا (22)
كان لـــان القـوم عـن رد قولهـــا
عديم ، وما يرجو العديـم المؤمـــل ؟

وبعد ان يسترسـل فى الفخر تقترح عليه سلمى ان يتوجه بشعره لتمجيد السلف الصالح فيقول :

فلما بدت منـي القوافـي تواجـــدت
وكـان لهـا وجـه أغـر محجـــل :
الا فليؤم الشعر منـك ــ كرامـــة ــ
اناسـا مضوا في السالفيـن وبجلـــوا

فيجيبهــا قالـــلا :

---

13) فحل عهبل : قوي يعتـرف الناس بفحولتـه وفضلـــه .
14) فى الاصل : الفدح ، ولعلها تحريف عن الفدم وهي العيى عن الكلام فى رخاوة وقلة فهم .
15) عقنقـل : كبيـر واســع .
16) م الجهل : على لغة خثعم وزبيد فى حذف نون (من) الجارة .
17) ائول:مجنون،احمق او بطي،النصرة،والخير، فى الاصل ورد الشطر هكذا : فكيف الجهول ذو الافاضيل الائول ؟ واصلحناه من اجل الوزن .
18) برعل (كقنفذ) : ولد الضبع او ولد الوبر من ابن آوى . والمراد ان متصرفي هذا الجيل احط الناس قيمـــة .
19) فهلـل (كجعفـر) : مـن اسمــاء الباطـــل .
20) فى الاصل ورد الشطر هكذا : من الناس يلهوا من المناصب حصقل ، ولعل الصواب ما اثبتناه ؛ ونـرى ان « حصقل » التي لم نعثر لهـا على معنىـ ، محرفة عن حسقل (كزبرج) بمعنى الردىء من كـل شيء ؛ او محرفة عن حسقل (كزبرج ايضا) : بمعنى الصغير من ولد كل شيء .
21) فى الاصل : بؤسهـا ، والصـواب ما أثبتنـاه .
22) اجبلوا : من اجبل الشاعر اذا صعب عليه القول.

فقلت : امهليني يا ابنة العم انني
اذا ذكروا نجدا فاني افكل (23)
وان بعد قوم عن هواهم فان لي
بحبهم شأوا ، واني قنثل (24)
ففي حى هذا القوم نفسي تطارحت
ولا ابتغي غيرا ، ولا انا قردل (25)

* * *

ولا في خبايا الود مني تخالف
ولا لي سأوى غيرهم متغزل
ولا لي رهط غيرهم به قربتي
تطيب وغير القوم عرفاء جيال (26)
ولا لي رهط غيرهم به غربتي
تطيب وغير القوم — يامى — قصعل (27)
ولا تثن عزمي عنهم ام قسطل
بلى ؛ انني اهدى اذا ضل قوقل (28)
ولا تثن عزمي عنهم ام قشعم
ولو ان جيشها كماة و « قنبل » (29)

* * *

شغفت بهم طفلا وكهلا وانني
ادين بذا لو ان عمري نهشل (30)

شغفت بهم طفلا وكهلا وانني
كذلك ، او يستكمل العمر تهضل (31)

* * *

بهم ارتجي كل المنى ومآربي
بهم ارتجي كل العلى ، اني حنثل (32)

* * *

اذا رضيت عني كرام عشيرتي
رضيت وما يرضيني — ياسلمى — عركل (33)

ثم يخلص الشاعر الى مدح الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فيقول :

محمد خير المرسلين وجاهه
لدى ربه يوم المواقف جحفل (34)
نبي امين صادق ومصدق
رءوف رحيم خاتم ومبجل
كريم عظيم شافع ومشفع
سري وفي فاضل متفضل
تكامل خلقا ثم خلقا وانه
هو الليث والغيث الروى والهبركل (35)
تستر منه الحسن بالحسن فوقه
فلولاه سترا لم يسعهم تحمل

---

23) افكل : وردت فى الاصل بضم الكاف ولعلها بمعنى افتكل : اي احتفل واعتنى . ومن معانيها : رعدة خوف او برد . وهي لقب الافوه الاودي ايضا.

24) قنثل (وزن زبرج) : وردت فى القاموس المحيط بمعنى رقبة الفيل او المراة القصيرة . وهكذا يتصيد الشاعر القريب حتى لا نجد المعنى الملائم .

25) قردل : لا وجود لهذه المادة فى المعاجم التي بين ايدينا . ولعلها محرفة عن (قرزل) او (قلعل) بمعنى اللئيم الخسيس .

26) جيال (معرفة بغير ال وقد تدخل عليها) : الضبع . وعرفاء : صفة بمعنى كثيرة شعر الرقبة . وتطلق ايضا على الضبع .

27) قصعل (كقنفذ) : اللئيم ، وتوجد فصعل (بالفاء وبنفس المعنى) فهما لغتان فصيحتان .

28) ام قسطل : الداهية ، وقوقل (كجعفر) : ذكر القطا . ويضرب المثل باهتداء القطا فى المجاهل .

29) قنبل : جماعة الناس او الخيل ؛ ولعل المراد هنا مقابل اللفظ الاجنبي فى الاصل : « ولو ان جيشها » ولعل الصواب ما اثبتناه . وام قشعم هنا بمعنى الحرب .

30) نهشل : مسن مضطرب كبرا .

31) تهضل : رجل مسن هرم .

32) حنثل : ضعيف .

33) عركل : العركل الدف والطبل ، والمراد هنا اللهو واللعب ، فى الاصل : رضيت وما يرضين ... الخ والصواب ما اثبتناه .

34) جحفل : رجل جحفل عظيم القدر كريم . .

35) الهبركل (كسفرجل) : الشاب الحسن الجسم

ولا علمـوا وحيـا تقـادم عهـده
ولا ما حوى ذاك الكتاب المنـزل

* * *

علونا على الاقـوام بالوحـي اذ غـدا
بطيبـة يعلـو جبرئيـل وينـزل

* * *

طعمنا العلـى حتـى تعاظـم قدرنـا
وكانت لنا عيشا ، وانه دغفـل (36)

ويسترسـل مولاي عبـد الحفيـظ في تمجيـد الرسول الاعظم الى ان يوجه اليه الخطاب قائلا :

تغنت بمـدح القـول فيـك ربيعـة
فحنت ، وغنتـك الجنـون وبجلـوا
فانت الـذي عـم الخليقـة بعثـه
وقلبـك مـا عـم البريـة مرسـل
وانت الـذي قـد لاذ آدم باسمـه
ولولاك اضحى امـره وهـو مشكـل
وانت الذي اوتيـت خيـر شفاعـة
اذا الرسل من يـوم القيامـة هللـوا
تركت لنا ذين (37) الامانين مرهمـا :
بنوك الطهـارى والكتـاب المنـزل
غرسـت لنا في الخيـر كـل أرومـة
فاضحى لنا في الناس مجـد مؤثـل

وبينت فينا مـا شرعـت من الهـدى
فمنـه لدينـا مجمـل ومفصـل :
حديـث وآي محكمـات وسنـة
فمن عنهـا يشـدو عاديـا فمضلـل
فمبلغ علـم المـرء انـك خيـر مـا
نبـي سـري ، والامـام المفضـل

ويطيل مولاي عبد الحفيظ في ذكر مغازي النبي (ص)ومآثره واخلاقه الكريمة السمحة ، ومقامه السامي بين الانبياء والرسل عليهم السلام ، ثم يتوجه اليـه مادحا ومتوسلا الى أن يختم قائلا :

مدحت جنابـا شامخـا بـه ارتجـى
مطالبنـا تقضـى ، وبـرءا يعجـل
وانـي اتانـي الظـن يخبـر أنهـا
أتاها قبـول واضـح ليـس يجهـل
فنلنا شفـاء الجسـم من كـل علـة
ونلنـا سـرورا دائمـا لا يزلـزل
فانـت مـلاذ المستجيـر وانـنـي
ببابـك ــ طول الدهـر ــ لا اتحـول

ونحن بدورنا ، نلوذ ــ مع شاعرنـا الراحـل ــ بحمى الرب العظيم ، وبجاه نبيه المصطفى الكريم ، في هذه السنة المباركة سنة الاحتفال بمرور اربعة عشـر قرنا على بدء نزول القرءان المجيد ، معجزة الرسـول الخالدة ودستور المسلمين وامامهم في مشارق الارض ومغاربها ، مؤملين أن يرزقنا جميعا الصحة والعافية والهناء والسعادة وتحقيق الاماني ، وحسن الخاتمـة والسـلام .

تطـوان : عبد الله العمراني

---

36) دغفل (كجعفر) : وصف للعيش بمعنى الواسع المخصـب .
37) في الاصل : (تلك) . ولا تطابق حينئذ بينهـا وبين (الامانين) بعدها . ولذا اصلحتها بكلمة (ذين) تثنية (ذا) اسم الاشارة ، وبذا حصل التطابق واستقام الوزن والمعنى .



العناية بكتاب الله تعالى شيء قد لا يحتاج الى بحث وتدليل ، انه امر اصبح بين المسلمين فطريا ينشاون عليه منذ الطفولة الاولى – من فجر نزوله الى حد الساعة والى ما شاء الله خلوده ، حيث يتلقاه الخلف عن السلف استظهارا في الصدور ، مؤمنين بما ورد عن الرسول الاكرم في حامليه من فضل – فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشراف امتي حملة القرءان واصحاب الليل » كذا رواه البيهقي في شعب الايمان وفيه ايضا : ثلاثة لا يكترثون للحساب ، ولا تفزعهم الصيحة ، ولا يحزنهم الفزع الاكبر – حامل القرءان يؤديه الى الله ، يقدم على ربه سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين . الحديث . وروى البخاري في صحيحه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ونصه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيركم من تعلم القرءان وعلمه » .

وكان الامام ابو عبد الرحمن السلمي التابعي الجليل يقول لما يروي هذا الحديث عن عثمان : هذا الذي اقعدني مقعدي هذا – يشير الى كونه جالسا في المسجد الجامع في الكوفة يعلم القرءان ويقرئه مع جلالة قدره ، وكثرة علمه ، وحاجة الناس الى علمه ، وبقي يقرئ الناس بجامع الكوفة اكثر من اربعين سنة وعليه قرا الحسن والحسين رضي الله عنهما .

ومن وراء هذه الحالة الخالدة ، والانبعاث الجديد ، والطفرة الموفقة التي كان الفوز فيها حليف المغاربة اذ فكر المسلمون وبناة قواعد الدين تفكيرا جديا في اخوانهم البرابرة من الناحية الثقافية او التعليمية بتعبير اوضح حسب الوضعية التي كانوا عليها لاول عهدهم بالاسلام حيث جاء التعرف بدينه الحنيف وتفهمه ، وتعلم لغته .

وكان من الطاف الله تعالى – ان الهم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز – فبادر رحمة الله عليه الامر بتعليم البربر الاسلام بمجرد جلوسه على عرش الخلافة سنة 99 – 717 م فوجه عشرة من التابعين وصلاح العرب لتعريف الناس بامور دينهم ، وكان من بين هؤلاء المعلمين حبان بن ابي جبلة .

ولم يكن للراغبين في الاسلام من اهل المغرب مفر من اللجوء في تعرف امور الدين الى العرب رسل الرسالة ، وهداة الشعوب .

فهذا القائد موسى بن نصير الوارد على المغرب بعد حسان بن النعمان سنة 87 – 705 . اهتم اهتماما كبيرا بالزيادة في نشر الدين واللغة العربية ، ورتب طائفة من العرب ليعلموا البربر القرءان (1) وفرائض الاسلام ، وادخل في حظيرة الاسلام والعروبة اصقاعا شاسعة بالمغرب الاقصى ، وجعل مولاه طارقا عليه

(1) على نحو ما كان في الشرق ومهبط الوحي .

حيث عاصمته (عروس المغرب) طنجة . هكـــذا توالت افواج الهداة والقراء عبر التاريخ ترد على المغرب رغبة في تعليمه وتثقيفه وبث آي القـرءان في صـدور ابنائه دولة تلو اخرى الى ان اتى الله بالدولة العلويـة الشـريفة ، فكان حظها في نشر الكتاب وفتح معاهده ، واختيار ملقنيه اوفر نصيبا ، واسمى عناية ، فقد عنيت برواتب قراء احزابه بالمساجد صباح مساء ، فضلا عما كان يحبـبه بعض الموفقين من ابناء المغرب على مجوديه ومحسـني تلاوته في ايام معينة خاصة ايام رمضـان ، حيث يقطعون لياليه المشهودة في تراويحه، حتى ان من المحسـنين من يفتحون بيوتهم في رمضان لحفاظ الكتاب الكريم فتختم بمنازلهم ختمـات يغتنمـون فضائلهـا كاسرهم مستمعين لآي الذكر الحكيم تتردد في اركان بيوتهم وقد تاثروا بها راكعين ساجديـن ، خاضعيـن متضرعين الى منزله وحافظه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

واذا علمنا ان القرءان انزل على سـبعة احـرف – وحملناهـا على القرءات السـبـع – فللمغاربـة في استظهار القـرءان باحرفـه ورواياته قصب السـبق واليد الطولى في تحمل هذه الروايات بالاخص السـبع منها – رواية نافع – وابن كثير ، وابو عمرو البصري، وابن عامر ، وعلي الكسائي ، وعاصم ، وحمزة .

وكانت قراءة المغاربة العهود الاولى برواية حمزة وحرفه ، ولما رحل محمد بن خيرون الاندلسي الاصل، القيرواني الدار الى الشرق صدر المائـة الرابعـة – حمل الى المغرب قراءة نافع المدني شيخ مالك امام دار الهجرة (وجاره في تراب البقيع) بالمدينة المنورة .

نعم اختار اهل المغرب قراءة احد راوية – ابـي سعيد عثمان المصري الملقب بورش (1) . ولم يمنـع هذا ان تعاطي المغاربة دراسة باقي الروايات السبـع بل العشر – فقد اعتنت دولتنا العلوية الشريفة بتهيء مدارس وزوايا لدراسة القرءان برواياته واحرفه في عدة نواحي ، فتلك زاوية سيدي زوين – وزاويـة زرهون (مدفن المولى ادريس الاكبر – الفاتح) وسواها من الزوايا والكتاتيب المنتشرة في السهول والجبـال التي اسست على بث القرءان في الناشئين على اختلاف رواياته فضلا عن الدراسـات القرءانية التي كانت تعج بها المسـاجد بالاخص كلية القرويين – ما شئـت مـن دراسة منظومات ابن بر الرباطي التازي (2) وابي الخير شمس الدين محمد الجزري – ولامية ابي محمد قاسم الرعيني الشـاطبي وسواها من المصنفات في الفن الذي وجد تشجيعا على السير قدما تدريسـا وتاليفا حيث انبرى لذالك جمهرة من علماء المغـرب كابـي عبد الله محمد (3) بن ابي جمعة الهبطي فاعتنى بوضع وقـف آيات الكتاب الذي جرى عليه اهل المغرب ، نعم وقع له شيء خفيف في بعض الوقفات ، ذلك ما حفز العلامـة الصوفي محمد بن المهدي بن احمد الفاسي (شـارح دليل الخيرات) – لوضع رسالة ضمنها أحكام تلـك المواضيع سماها : « الدرة الشراء في قف القراء » كما الف في الموضوع تاليفا مستقلا الاستاذ محمد بن عبـد السلام الفاسي ، وقد اخبر الاستـاذ محمد المعاشـي شيخ شيخنا المحدث الكبير ابي شعيـب الدكالـي المرحوم الاستاذ المكي بربيش قائـلا : كان بدكالـة 18 استاذا يدرسون الجعبري (4) .

ومن رجالات الفن ورواده المغاربـة – الشريف الاستاذ شيخ القراء في عصره ت 1257 – 1841 ابو العلاء ادريس ابن عبد الله الودغيري الحسني الشهير بالبكراوي ، كان مجـودا للقراءة لا يضارعه احـد في التجويد ، واليه المرجع في علوم القراءة اخذهـا عـن الشيخ محمد بن عبد السلام الفاسي صاحب الحاشية على الجعبـري على الشاطبيـة عـن الاستـاذ عبـد الرحمن (5) المنجرة عن والده ادريس ؛ ومن مؤلفات الشيخ المنجرة هذا – شرحه ، نظم السجلماسـي في الهمز وكيف يوقف عليه .

وقد لا يبعد ان تكون هذه الاستاذية تسلسلـت منحدرة من ابـي الحسن علي بن عيـسـى الراشـدي استاذ القراءات في الدولة السعدية – وقواعد اللغـة

---

1) رحل من مصر الى المدينة سنة 155 وقرا على نافع ختمات ورجع الى مصر حيث انتهت اليه رياسة الاقراء بهـا .

2) نسبة الى رباط تازا – عتبة المغرب ، احد كتاب الدولـة المرينيـة .

3) توفـي سنـة 1135 .

4) وهذه الظاهرة وحدها تدل القارىء على النهضة العلمية القرءانية التي كان يتوفر عليها المغـرب في ناحية من نواحيه فكيف الى آخره ؟ .

5) تاريـخ 1179 هـ .

والادب ـ استهل عمله العلمي في فاس بتدريس الكراريس ـ المنظومات الاولية المتعلقة بضبط القرءان ورسمه وتجويده ، ثم اسند اليه كرسي الشاطبية الكبرى بمسجد الشرفاء .

والدولة العلية بالله لا تألو جهدا في النهوض بالميدان العلمي خاصة القرءان وعلومه ، فقد رتبت جماعة من حفاظه لقراءة الحزب يوميا بالروايات السبع ـ بفاس ومكناس والرباط ـ ادركنا طائفة من المهرة فيها يقراون الحزب بالاحرف السبعة عقب صلاة العصر بالزاوية الرحمانية بالرباط ، هم : الاساتذة : محمد المهدي متجنوش ، والعربي الزناتي ، وصالح بن عسيلة الضريرين ، ومحمد المدور ، ومحمد الشاذلي ، والمكي ابن احمد بربيش . (1) رحم الله الجميع .

ومما انتجته تلك التلاوة الجماعية بالروايات ان قامت هيأة من طلبة الرباط وعلى راسها الاستاذ المرحوم المكي بربيش المذكور ، فطلبت من شيخنا الحافظ ابي شعيب الدكالي ان يدرس معها لامية الشاطبي وفعلا اجاب الرغبة وقراها معهم بشرح المقريء ابن القاصح بالزاوية الناصرية التي كانت بها جل دروسه (2) .

ومن مبرات الدولة وتوقيرها لحاملي القرءان لا سيما دارسيه بالسبع او العشر اعفاؤهم من التكاليف والمشاق كيفما كان نوعها اعتبارا لاصطفائهم وامتيازهم عن الغير (3) ، وقد تجلى هذا المدلول في عصر الحسن الاول قدس الله روحه ، بل كان نفس المعنى يشمل علية العلماء وحفاظ كبريات المتون العلمية ، كمختصر الشيخ خليل .

وقد يبدو ان ذلك منهم كان (علاوة على الاحترام) تنشيطا لهم على اداء رسالة التبليغ في انشراح وبعد عن كل ما يمكنه ان يشغل الفكر ويقف حجر عثرة في السير المنتظم الرتيب حفاظا على هذا القطاع الثقافي المقدس .

فكان ملوك الدولة ينظرون بعيدا الى المرافق من جميع جوانبها واضعين الاشياء موضعها حيث يسود الاستقرار والطمانينة ؛ ومن العناية التي جبلوا عليها انهم كانوا يختارون للتراويح في رمضان حفاظا مهرة في القرءان وتجويده من الرباط وسلا طوال ليالي رمضان .

وان يفتخر المغرب اليوم رافعا راسه بين بقية الامم الاسلامية ومحلقا في اجواء العناية الربانية ـ فليفتخر بالذكرى المقدسة التي اقامها الملك المعظم الحسن الثاني ايده الله في رمضان (1387 ـ 1968) « ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان » .

فالقى حفظه الله ليلة القدر بعد صلاة العشاء بمسجد اهل فاس قرب القصر ـ خطابا فيما حضره اعضاء الدولة ، والسفراء المسلمون ، وعلماء الشعب والعلماء المدعوون من سائر الاقطار الاسلامية .

ذكرى هزت النفوس ، واحيت القلوب ـ فامتاز رمضان المبارك باشراقاتها مما لم يسبق له نظير فيما عشناه وعهدناه .

فقد لمعت آيات الكتاب المبين في الصدور ، ودوت رنات الوحي في اعماق المومنين ، وشعت الانوار في الاركان ، وتمنى كل مسلم لو تطول تلك الايام ويمتد زمان رمضان اكثر ـ فضلا عن الدروس السلطانية التي كان يراسها الحسن الثاني حفظه الله وعلاوة على المهرجانات الاخرى التي اقيمت كارهاصات الذكرى ؛ وما كانت تعج به المساجد والاندية من دروس ومحاضرات ؛ ولن لا ينسى التاريخ الكلمات الارتجالية التي فاه بها الملك المعظم حفظه الله ـ كاجابة عن تهنئة علماء الاسلام له بمناسبة عيد الفطر السعيد التي كانت كلها توجيهات ناهضة محركة تفيض صدقا وايمانا جاء فيها :

« جهادنا ـ هو العمل على ان يصير كتاب الله عملة خلقية وانسانية وقانونية » .

ولقد تفضل حضرة وزير التربية الوطنية اخونا الاستاذ السيد عبد الهادي بوطالب ـ فتحدث عن المهرجانات والذكريات التي اقيمت في رمضان (1387 ـ 1968) محللا ما احتوته من مفاهيم ومدلولات (بواسطة التلفزة) بما يشفي ويكفي .

الرباط : عبد الله الجراري

---

1) اخذ عنه الكاتب القرءان برواية ابن كثير ، واجازه بما اجيز به من طرف الاستاذ محمد المهدي متجنوش .

2) ولاحظ اثناء دروسه ملاحظات على وقفات الشيخ الهبطي المشار اليه في صلب الكلمة لا اطيل بذكرها .

3) يقول الله تعالى في سورة فاطر الاية 32 : « ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » ، الاية .

عيد الامل

للشاعر: المدني الحمراوي

ذكرى جلوسك فى أعماقنا وتـــر — من لحنه منبع الالهام ينفجـــر

فكل روح بها هامـت مدلهـــة — وكل فكر بما توحيــه يعتبـــر

عيد على أفقنا لاحت بشائـــره — للعرش والشعب فيه موقف عطـر

آمـــال أمتنـــا بــه معلقــــة — يصدق السمع فيه ما يرى البصـر

عرش مفاخره فى الدهر خالـــدة — حياته نعم للشعـــب تدخـــر

ولا كنعمته البيضـــاء فى حســن — فانه نعمة جلــى لهـــا خطـــر

جلت به نعمة سبحـــان واهبهـــا — انا بموقفه المشهـور نفتخـــــر

لولا شهامته كانــت كرامتنـــا — تحت النعال وكان الحق يندحـــر

لكنه أبـــدا سبـــاق أمتــــه — الى مفاخرها ما فاتـــه بشـــر

تحمل العبء فى حزم فقـام بــه — وسل عزما الى العلياء يبتـــدر

فكان ما أوقف الدنيا وأقعدهـــا — من منجزات له فى الحكم تشتهــر

طوى مراحل لم يحلم بها أحـــد — فكل ساعاته فى الكد تنحصـــر

وأسرع الخطو فى انهاض أمتــه — فلا تثبطه الاتعـاب والسهـــر

يحب أمته فاضـت قريحتــــه — وعن مشاكلها ما صده ضجـــر

ومن حضارتها الهـــام فكرتــه — ومن تواريخها لعقلـــه عبـــر

ومن تقاليدها يسقى مشاعـــره — وهمها همه ففيـــه ينصهـــر

أخ لها وأب فى كـــل نائبـــة — بفيض راحته فى العسر تنجبـــر

فمحضته ولاء كلـــه ثقـــة | وكله بعميق الحـب ينهمـر
اذا رأت شخصه فاضت مسرتها | وهنأت نفسها واهتاجت الفطـر
وان يسافر تكن أرواحها رفقـا | وان يعد فكأن الحشر منحشـر
بذكره رصعت أشعار عزتهـا | وباسمه تتغنى البدو والحضـر
وبين أضلعها صانـت أريكتـه | قلوب أمتـه لعرشـه أطـر
مفاخر الحسن الثانى اذا ذكـرت | فانها بحروف النور تستطـر
به العروبة والاسلام قد رفعـا | رأسيهما فبدا ما كـاد يندثـر
فعرشه لهما حصن اذا فزعـا | وانه مطمح الاحرار والـوزر
عرش على أسس التقوى قوائمـه | بسطوة الحق والاخلاص ينتصـر
ما كان معتديا يوما على أحـد | ولا تملكه بغـى ولا بطـر
من بيت خير الورى حماة حوزتـه | على مناقبهم فى الفضل يقتصـر
هم المصابيح لا يخبو لها وهـج | بهم تعطرت الاخبار والسيـر
بشرى لامتنا بعرش دولتهـم | فلن تخيب وآل المصطفى نصـروا
ميراث أسرارهم أفضى الى حسن | لا غرو ان خصه بالرفعة القـدر
الحلم شيمته والعدل سيرتـه | والعلم رائـده ونطقـه درر

مولاى عشت لشعب أنت مهجتـه | مؤيدا ومباركا لـك العمـر
وعاش شبلك فى ألطاف واهبـه | وحقق الله ما ترجو وتنتظـر

الرباط : المدنى الحمراوى

أبو عبد الله الهبطي

واضع وقف القرآن بالمغرب

للأستاذ سعيد أعراب

امتاز المغاربة — منذ قديم — بحفظ القرءان وتجويده واتقانه ، وعنوا عناية خاصة بقراءاته ، ومعرفة وجوه رواياته ؛ وسيطروا على هذا الميدان سيطرة تامة ، حتى لا يكاد يشاركهم فيها سواهم ، ولا سيما في العصور المتاخرة ، فقد كان في كل بلد مدرسة ، وفي كل مكان امام يرجع اليه .

وخلفوا ثروة هائلة ، اخذت جانبا كبيرا في المكتبة المغربية .

وللاسف ، فقد أفل نجم هذا الفن ، ودالت دولته ؛ والذي يحز في النفس ، ويبعث على الاسى والحسرة ؛ ان يضيع هذا التراث الضخم ، ولا يحظى بأي اهتمام من رجال الفكر واهل البحث .

وقد حاولت منذ مدة ، ان اضع فهرسا للمكتبة القرءانية بالمغرب ؛ وجردت من ذلك ما يشبه ان يكون معجما للقراء المغاربة عبر عصور التاريخ .

ولمناسبة مرور أربعة عشر قرنا على نزول القرءان العظيم ، وقد توج هذه الذكرى صدور « مصحف الحسن الثاني » في حلته القشيبة ، واخراجه البديع — احببت ان اتحدث عن امام من ائمة هذا الفن ، كرس حياته لخدمة القرءان ، فاصبح الامام المقتدى به في افريقيا كلها ؛ ذلك هو ابو عبد الله محمد بن ابي جمعة الهبطي السمات ، واضع وقف المصحف المغربي .

ولد أبو عبد الله الهبطي في حدود منتصف القرن التاسع الهجري ، بقرية اهباطة من قبيلة سماتة ، احدى قبائل شمال المغرب ، على بعد نحو 50 كيلو مترا من مدينة العرائش ، ونجهل كل شيء عن حياته الاولى ، فلا ندري اين تعلم ؟ ولا على من اخذ ؟ .

وجبال الهبط في هذا الظرف بالذات ، كانت مزدهرة بعلم القرءات وشيوخ الروايات ؛ وكل ما نستطيع ان نقول ، انه دخل الكتاب على عادة ابناء البادية ، فحفظ القرءان وجوده ؛ ثم رحل الى فاس ، فاخذ عن علمائها ومشايخها ؛ وهنا تطبق كتب التراجم بالصمت ، فلا تذكر من شيوخ الهبطي الا ابن غازي ، كشيخ له في القراءات ؛ والواقع ان الهبطي اخذ عن عدد وافر من رجالات الفقه والعربية ، والحديث والتفسير ، وعلم القراءات ، وربما كان ابن غازي آخر من اخذ عنهم من كبار شيوخ فاس ، كما انها لا تذكر من تلاميذ الهبطي ، الا ابا عبد الله محمد بن علي بن عدة الاندلسي ؛ وهم : — في الحقيقة — جم غفير لا يكادون يحصون كثرة ؛ فالرجل سلخ الشطر الاكبر من حياته في تعليم القرءان، وتلقين رواياته ؛ وقد طال عمره فألحق الاحفاد بالاجداد .

عاش ابو عبد الله الهبطي العصر الوطاسي ، وفاس لهذا العهد ، قد جمعت بين محاسن الشرق والغرب ، تعج برجال الفكر ، يتقاطرون عليها من كل حدب وصوب .

ويحدثنا في هذا الصدد ابو الحسن بن ميمون (ت 917) فيقول : « اني ما رايت مثلها ومثل علمائها في تلمسان وبجاية ، واقليم الشام باسره ، وبلاد الحجاز ومصر » . ويقول : انه ما راى مثلها ومثل علمائها في غزراة الحفظ لنصوص المذهب ونصوص كل علم من العلوم » .

وكانت علوم القرءان ، تكاد تطغى على كل علم ، فقلما تجد عالما ليس له حظ من علم القراءات ، بل كان هناك مختصون ، لا يزاولون سواها من العلوم ؛ وأبو عبد الله الهبطي من هذا القبيل ، فقد كرس حياته

لخدمة القرآن ، تفهما وتعليما ، فادرك فحواه ومغزاه، وعرف اسراره واحكامه ؛ فقضى في محراب القرءان خاشعا متبتلا زمنا ليس بالقصير ، يعيش انواره ومعارفه ثم طلع على الناس بمذهبه الجديد في الوقف، وقد بناه على مقاييس محدودة ، وقوانين مضبوطة ، وقواعد مدروسة ، ترجع في جملتها الى الاعراب والمعنى ؛ وربما كان بعضها خاضعا لفن العربية ، وبعضها لعلم التفسير ، والبعض الاخر لمدارك الفقه والتشريع ، او لوجه من وجوه القراءات ، او لاسرار وحكم اخرى ، قد لا يدركها القارىء العادي ، وانما يعقلها العالمون المختصون في هذا الفن .

وقد وجهت اليه انتقادات ، واثيرت حوله ادعاءات ، وارتفعت أصوات هنا وهناك ؛ ولكن ابا عبد الله الهبطي ، وقف كالطود الشامخ ، لا تؤثر فيه الزوابع ، ولا تنال منه العواصف ؛ وظل ينافح عن مذهبه ، ويناضل عنه بالحجة والبرهان ؛ حتى رست قواعده ، وطبقت مناهجه في الحواضر والباد ، وفي كل مكان وناد ، واصبح المذهب المعمول به في سائر جهات المغرب ، بل وفي افريقيا كلها ، بيد أننا نجهل الدواعي التي دفعت الهبطي الى وضع وقفه ، وحمل الناس على اتباعه ؛ وقد نزعم بان الذي حمله على ذلك، ما كان عليه الناس من انحراف في التلاوة ، وخطأ في الاداء ؛ يقفون على غير ما ينبغي الوقوف عليه ، ويصلون ما لا يجوز وصله ؛ وربما وصلوا آية الرحمة بآية العذاب ، وبالعكس ؛ فيفسد المعنى ، ويضيع الغرض الذي نزل من أجله هذا الكتاب الاقدس .

وقد يضطر احدهم الى الوقف ، فلا يدري كيف يقف ؟ ولا اين ؟ سيما وقد اشتهرت بين الناس في هذا العصر ، وقبله لازمان ـ صناعة الارداف في القراءات ، فيقفون وقوف اختلاس ويجرون الوصل مجرى الوقف ، حتى ان احدهم ليسقط سقوط المصروع بالجان . فراى ابو عبد الله الهبطي ان يضع لهم هذا الوقف ، كمراحل ينزل المسافر بها ، ويتجدد نشاطه من اجلها ؛ فحدد المواضع التي يقف فيها القارىء ، يدفع النفس الحار ، ويجلب عن النفس البارد ؛ وبذلك يندفع عنه التعب والحرج ، وتقع له الاستراحة الداعية للوقف ، ثم يستانف القراءة مما بعد الكلمة الموقوف عليها الى الموضع الذي يقف عليه ثانيا ؛ وهكذا الى ان يقف وقوف انقطاع ، وينتهي من القراءة . قد يكون ذلك لا على ان الوقف مما ينبغي تعلمه ، ولا يجوز للقارىء جهله ؛ وقد قال الامام الانباري في قوله تعالى : « ورتل القرءان ترتيلا » ، ان هذه الاية تدل صراحة على وجوب تعلم الوقف وتعليمه» قال علي (ض) الترتيل ، تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف . فهذا واجب ربما اهمله الناس ، فندب الهبطي نفسه للقيام به وجند في سبيله كل قواه .

بقي هناك سؤال آخر ، يجب ان نضعه على انفسنا ، وهو : ما هي الاسباب التي جعلت مذهبه ينتشر بهذه السرعة داخل المغرب وخارجه ؟ وقد كانت قبله مذاهب ، والفت في الوقف مؤلفات لم يلتزم الناس العمل بها لا قديما ولا حديثا ؟ . واذا رجعنا الى المصاحف القديمة بالمغرب ، لم نجد اية علاقة على الوقف وانما الموجود بها علامات الاوس الآى .

قد نزعم ايضا بان الروح المعنوية التي كان يتحلى بها الامام الهبطي ، والانتصارات التي سجلها على خصومه المناهضين له ، هي التي جعلت مذهبه ينتصر، ويحمل طابع الخلود ، فيتلقاه الناس بالقبول ، ويجري به العمل الى يوم الناس هذا .

ويلمح الى هذا المعنى ابو عبد الله محمد ابي عبد السلام الفاسي في كتابه المحاذي ، فهو بعد ان اورد قصة السنوسي مع الهبطي ، ومناظرته له قال : «وكان الهبطي من اصحاب الاحوال . . . فلم يسع السنوسي الا التسليم ، وكان ذلك سبب اقبال الناس على ما قيد عنه من الوقف » .

وكان ابو عبد الله الهبطي ، رجل علم وعمل ، وفضل وصلاح ، خيرا تقيا ، ورعا زاهدا ، فقيها فرضيا، متبحرا في علوم العربية ، عارفا بالقراءات ووجوهها . وقد حلاه في السلوة ، بالشيخ الامام ، العالم الهمام ، الفقيه الاستاذ، المقرىء الكبير النحوي الفرضي الشهير، الولي الصالح ، والعلم الواضح ، ثم قال : « وكان عالم فاس في وقته ، استاذا مقرئا ، عارفا بالقراءات ، مرجوعا اليه فيها ، وكان موصوفا بالخير والفلاح ، والبركة والصلاح ، ذا احوال عجيبة ، واسرار غريبة . . »

على اننا اذا رجعنا الى التاريخ نجد ان المغاربة نزاعون الى الوحدة بطبيعتهم ، فهم في الفقه على مذهب مالك ؛ وفي العقيدة على مذهب الاشعري ؛ وفي التلاوة على قراءة نافع برواية ورش ؛ فغير بعيد ان يختاروا مذهب الهبطي في الوقف .

توفي ابو عبد الله الهبطي سنة ثلاثين وتسعمائة (930) ودفن في روضة الزهيري بطالعة فاس .

واخطا بعضهم فجعل تاريخ وفاته سنة 963 ظنا منه انه هو الهبطي الصوفي ابو محمد دفين المواهف قرب شفشاون . كما توهم بعضهم انه الهبطي ابو عبد الله نجل الصوفي المذكور ، وكان قاضيا بفاس توفي سنة 1001 وهو دفين الزربطانة . ولا نعرف من آثار الهبطي مترجمنا – الا هذا الوقف الذي قيده عنه تلاميذه ، ولم يدونه في كتاب كما يتوهمه الكثيرون .

ولعل السبب في ذلك يرجع الى اهتمامه بالقرءان، واشتغاله بتعليمه ، واخذ الناس عنه ، فلم يهتم بالتاليف ، ولا باي علم من العلوم الاخرى . يرى عن ابي عبد الرحمان السلمي انه كان يحدث الناس بحديث عثمان بن عفان : « خيركم من تعلم القرءان وعلمه » ويقول هذا الذي اقعدني مقعدي هذا يشير الى كونه جالسا في المسجد الجامع بالكوفة ، يقرىء الناس القرءان ويقراه ، مع جلالة قدره ، وحاجة الناس الى علمه ؛ وبقي يقرىء الناس بجامع الكوفة اكثر من اربعين سنة ، وعليه قرا الحسن والحسين رضي الله عنهما .

وهنا يجب ان نشير الى خطا وقع فيه بعض المؤرخين ؛ فقد ذكروا ان الهبطي اخذ الوقف عن ابن غازي ، وعنه قيده .

ومنشا الخطا – فيما اعتقد – هذه العبارة التي وردت في نشر المثاني (ج 1 : 19) هكذا : « وهو (اي الهبطي) اخذ عن ابن غازي ، وعنه قيد الوقف » – اي عن الهبطي قيد الوقف بضم القاف وكسر الياء ، مبنيا للمجهول . وربما ذهب الوهم بالقارىء الى قراءته بفتح القاف والياء مبنيا للمعلوم – وهي قراءة غير صحيحة كما لا يخفى . ويؤيد ما ذهبنا اليه امور . :

1 – وردت نصوص توضح هذه العبارة بكل جلاء ، تجدها في شرح الدالية لابي زيد المنجرة ، والمحاذي لابن عبد السلام الفاسي ، والسلوة للكتاني، وسواها .

2 – هناك رواية نقلها غير واحد ، تذكر ان السنوسي ورد على فاس وناظر الهبطي في الوقف الذي اصطلح عليه ، ثم اذعن واخذ عنه ، كما اشرنا الى ذلك آنفا ؛ ومعلوم ان السنوسي توفي سنة (895) وهي السنة التي قدم فيها ابن غازي على فاس واستوطنها، ثم تصدر للاقراء بها فيكون الهبطي وضع الوقف ، وتناقله الناس عنه ، قبل تلمذته لابن غازي بزمان . واخذ الشيوخ بعضهم عن بعض ليس فيه غضاضة ؛ فهذا السنوسي اكبر سنا من الهبطي ، وقد اخذ عنه ، فهو من رواية الاكابر عن الاصاغر المشهورة في علوم الحديث .

3 – ان النسخ التي بين ايدينا من وقف الهبطي، كلها تحمل عنوان « تقييد وقف الهبطي – لبعض تلاميذه » .

فالتقييد ليس من صنع الهبطي ، وانما هو من عمل بعض تلاميذه .

وقد وقفت على نسخة مهمة بالمكتبة العامة للمدينة المنورة ، بخط مغربي ، من اوقاف رباط سيدنا عثمان تحمل رقم 620 .

عليها تعاليق لبعض القراء المغاربة ، كالقدومي ، وابي علي الزياتي ، وابي العباس الصغير ، وابي فارس الزياتي ، ومحمد بن يوسف وابي القاسم ابن القاضي ؛ وهذه التعاليق تلقي اضواء كاشفة عن المصادر التي اعتمدها الهبطي في وقفه ، كوقف الداني ، والنحاس ، وابي بكر الانباري ، وما الى ذلك مما يبين وجهة نظره في المواضع التي انتقدت عليه وبعضها لم تثبت روايتها عنه ، ولم توجد في النسخ المنسوبة اليه كما ، تذكر هذه التعاليق .

ومن الذين الفوا في الموضوع ، وتتبعوا المواضع التي بدا لهم فيها ضعف وجهة نظره – ابو عبد الله محمد المهدي الفاسي (ت 1109) في كتابه (الدرة الفراء ، في وقف القراء) ، ولم اقف عليه . وكذلك ابو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي (ت1214) في بعض مؤلفاته ، وقد قرات فصولا منها – وهذا الاخير ينصف الهبطي كثيرا ، ويقدره قدره . وقد انشد في هذا الموضوع : « كفى المرء نبلا ان تعد معايبه » ومهما يكن من امر فان الامام الهبطي ، له فضل كبير على المدرسة القرءانية بالمغرب ، التي ظلت ثابتة الاركان شامخة البنيان ، قرونا واجيالا ؛ وصارعت الزمان في عصور حالكة ، كان صرح الاسلام فيها متصدعا ، وصوت الحق بها خافتا ؛ فلم يزل القرءان – ولله الحمد – الشغل الشاغل لاسلافنا رحمهم الله – محفوظا في صدورهم ، مكتوبا في مصاحفهم ، يتعلمونه صغارا ، ويرعونه كبارا ؛ سواء في ذلك ، الرجال والنساء ، والسوقة والامراء ؛ وتلك منقبة يفخر بها المغاربة على من سواهم ، وصدق الله العظيم : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » .

ولنا عودة الى الموضوع في فرصة اخرى بحول الله .

تطوان : سعيد اعراب

لمحات من الاسهام العلوي
في خدمة العلم ورعاية العلماء

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

ان قصة العناية بالعلم والعلماء على عهد الملوك العلويين لشيقة تحفل بكل جديد مثير وتزخر بكل ثمين عذب ؛ ذلك ان شمس هذه الدولة الشريفة منذ ان اشرقت شمسها على ربوع المغرب وغمرت وهادها ونجودها ، والقائمون بها يمدون الظلال المعرفية الوارفة لتتفيأها الامة المتطلعة الى المجد والشموخ .

وليس هذا قولا تضافرت على خلقه الاستعارة والمجاز ، انما هو واقع حي تدعمه البراهين ، وتشهد له الحقائق ، فمن يستطيع ان ينفي وجود شخصيات عملاقة انطلقت في هذا العصر العلوي من قماقمها انطلاقة الصاروخ تبني المجد الادبي والعلمي ، وتبرز العبقرية الفكرية العظيمة امثال ابن ناصر المتوفى سنة 1089 هـ وعبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1091 هـ والامام اليوسي المتوفى سنة 1102 هـ وابن زاكور المتوفى سنة 1120 هـ وابن الونان المتوفى سنة 1187هـ وابن ادريس العمراوي المتوفى سنة 1264 هـ ، من يستطيع ان ينكر هذه الاسراب من المفكرين المتألقين الذين يمثلون اصالة الثقافة المغربية في اسمى مظهرها واروع صورها .

وليست العناية التي كان يوليها ملوكنا العلويون لكل ما يتصل بالعلم والعلماء من قريب او بعيد ترجع فقط الى شغفهم بنشر العرفان بين الرعية ، بل ترجع الى أن جلهم تسلح بوسائل الثقافة ، وخاض معامعها في جراة فبرز فيها ايما تبريز ، لذلك استطابوا عذوبة العلم وسلاسته فقدروا مكانة العلماء حق قدرها واسنوا بنفس راضية العطيات ، واغدقوا الصلات لانماء المواهب وتفتيق الملكات وشحذ العزائم .

وهناك اسماء تتألق في سماء العلم وتسمق وتعلن عن نفسها بنفسها من غير ان تحتاج الى اطراء مؤرخ ، فدونك المولى محمد بن عبد الله الخليفة العالم المتوفى سنة 1204 هـ الذي كان في العلم بحرا لا يجارى ، وفي التحقيق والمعارف لا يمارى على حد تعبير صاحب نشر المثاني (1) ، والذي رغم اثقال السياسة ومشكلاتها الف كتابه « الفتوحات الالهية » الذي طار ذكره كل مطار حتى بلغ المشرق فقرظه علماء ازهريون منهم محمد بن محمد الامين المالكي ، وكتابه « الجامع الصحيح الاسانيد المستخرج من ستة مسانيد » .

ودونك ايضا الخليفة المولى سليمان المتوفى سنة 1238 وقد وصفه صاحب الاستقصا بقوله : « واذا خاض في السنة والكتاب ابدى ملكة مالك وابن شهاب، واو تصدى في الفقه للفتيا والتدريس لم يشك سامعه انه ابن القاسم او ابن ادريس ، واذا تكلم في علوم القرآن انهل بما يغمر مورد الظمآن (2) »

وقد تفتق ذهن هذا الخليفة العالم عن آثار علمية من بينها « عناية اولي المجد بذكر آل الفاسي بن الجد (3) » ؛ ورسالة صغيرة تحت عنوان « جواز التجمير بالقسط في رمضان (4) » ، و « حاشية على شرح الخرشي لمختصر خليل (5) » .

---

1) انظر ص 271 ج 2 طبعة فاس .
2) انظر ص 172 ج 8 طبعة دار الكتاب سنة 1956 م الدار البيضاء .
3) طبع بالمطبعة الجديدة بفاس سنة 1347 هـ .
4) توجد نسخة منها بالخزانة الملكية رقم 5633 .
5) توجد نسخة خطية منها بالخزانة الملكية تحت رقم 1323

ودونك ثالثا المولى عبد الحفيظ السلطان العالم واضع منظومة في مصطلح الحديث واخرى (1) في كتاب « المغني اللبيب » ، وكتاب تحت عنوان « ياقوتة الحكام في مسائل القضاء والاحكام » ، وكتاب « العذب السلسبيل في حل الفاظ خليل » .

وهذا الحب والشغف والتعلق بالمعارف يبرز لنا جليا ايضا فيما كان يضطلع به السلطان المولى عبد الرحمن ابن هشام المتوفى سنة 1276 هـ من احياء لشعائر الدين والعناية بالثقافة الاسلامية ورعاية حامليها والمتعطشين الى الارتواء من موردها ، وليس يكشف لنا عن هذا الامر الا الظهائر التي كان يحررها في شان العلم ويقترح فيها النظام المجدي في تحصيلها والافادة منها افادة تعود بالخير العميم على المتلقي التواق الى كل ما يصقل عقلـه .

ومن بين هذه الظهائر التي تظهـر لنا الاهتمام البالغ بالعلم والمعارف ظهير اصدره الى قاضي فـاس المولى عبد الهادي مؤرخا في 12 محرم الحرام 1261 هـ نقتبس منه ما يلي نظرا لطوله :

« ولد عمنا الارضى الفقيه القاضي مولاي عبد الهادي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد بلغنا توافر طلبة العلـم على العادة وجدهم في الطلب غير انه قل التحصيل والافادة وذلك لمخالفة الفقهاء في اقرائهم عـادة الشيوخ ، واعراضهم عما ينتج التحصيل والرسوخ فان الفقيه يبقى في سلكة سيدي خليل نحو العشر السنين وفي الالفية العامين والثلاث اكثر ما يجلب من الاقوال الشاذة والمعاني الغريبة الفاذة وكثرة التشغيب بالاعتراضات وردها ، ومناقشة الالفاظ وعدها ويخلط على المتعلم حتى لا يدري الصحيح من السقيم .

الى ان يقول المولى عبد الرحمن :

« فبوصول كتابنا هذا اليك اجمع المدرسين وارشدهم لما فيه المنفعة العامة والافادة التامة ، وهو الاقتصار في التقرير على حل كلام المؤلفين وافهامه للسامعين المتعلمين مع التنبيه على ما فيه من خطا وتحريف من غيـر اكثـار هذر ولا تشغيب بترداد اعتراضات وطرر اذ المقصود هو حصول الفهم والافادة، والمناقشة في الالفاظ انما هي لغو وزيادة وليست لاهل التحرير بعـادة .

ويختم الظهير بقوله :

فينبغي حمل الطلبة على الاليق بحالهم من الدءوب والاطالة ، ومواصلة الطلب وترك البطالة والسلام (2) .

وفي غمار هذه الميزات مجتمعة كان لابد للشعر ان ينتفض انتفاضته الرائعة ليعبر اذ لامناص لـه من تعداد حسنات آتت اكلها وازهرت فأخرجت ثمـارا دانية القطوف .

فهذا الشاعر السيد محمد العلوي الشنقيطي يقول مادحا الخليفة المولى عبد الرحمن من قصيـدة طويلـة :

عمرت عمرت من عهد الشريعة ما
باض النعام بدور منه ادراس
داركتها بعدما مالت دعائمها
فاستحكمت واطمانت فوق آساس

وكذلك يهتف شاعـر فحل هو الوزير السيد محمد بن ادريس الكبير العمراوي راسما مناقب المولى عبد الرحمن في رائية طويلة النفس :

وقام بنصر الحق ، بالحق فاعتلى
به ركن هذا الدين واعتصم الثغر
ولم تلهـه عن لـذة الدين امـرة
ولا عن طلاب المجد خود ولا قصر

وغير هذا ، وغير هذا كثير وكثير مما لهج بـه شعراء العصر العلوي

وايضا يتجلى اهتمام ملوكنا العلويين بالعلم والعلماء في تلك المجالس العلمية الرائعة التي لم تكن تصرفهم عن حلاوتها تبعات الملك واعباء السياسة ، ولم يلههم عن عذوبتها زخرف الدنيا ؛ لانهم يعرفون مسبقا أن التماسك الحضاري والاضطراد التقدمي لا يتحقق الا على اساس العلم والعرفان ، وليس ادل على ذلك من أن السلطان المولى محمد ابن عبد الله استقدم الى حضرته كبار العلماء وخصص لهم وقتا معينا لطرح القضايا العلمية ، وكان ذلك بعد صلاة الجمعة ، وكان من مجالسيه امثال السيد محمد الغربي والسيد محمد المير والسيد عبد الرحمن بوخريص والسيد محمد بن عبد الصادق والسيد عبد الرحمن المنجرة والسيد علي بن ادريس الفيلالي

(1) طبعت بالمطبعة المولوية بفاس 1330 هـ
(2) الاتحاف ج 5 ص 118 – 119 – 120 – 121 لابن زيدان .

كما انه ــ يعني المولى محمد بن عبد الله ــ عمل على نقل علماء من انحاء اخرى الى مراكش وطلب منهم ان يقوموا بالتدريس في مساجدها ويحضروا مجالسه الحديثية ومن هؤلاء السيد احمد بن عثمان من مكناس ومن سلا السيد الطاهر بن عبد السلام ومن فاس السيد عبد الله المنجرة .

وهذه المجالس العلمية كانت المرحلة التمهيدية للمجالس الحديثية التي توالت فيما بعد لدى ملوكنا العلويين .

وانطلاقا من هذه اللفتات الطيبة المعذوذبة جرت عادة ملوكنا الامجاد ان يتخذوا اساطين الفكر المغربي شيوخا لهم ياخذون عنهم ويستنيرون بافكارهم ويقيموا ندوات حديثية يصطفون لها فحول المحققين من جميع اطراف المملكة مع الاضطلاع بكل ما يحتاجون اليه من النفقات وما يتبع النفقات من الحاجيات وتكون هذه الندوات خلال الاشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان

ولا غضاضة بعد هذه الجولة الخاطفة التي عرفنا فيها مدى تعلق ملوكنا العلويين بالعلم ان نستعرض اسماء لشخصيات تصدرت رئاسة المجالس الدينية في الحضرة الملكية زيادة في تبيان هذا الشغف المعرفي الذي تلبس شخصياتنا السلطانية .

في عهد الملك المولى عبد الرحمن تسلم رئاسة المجالس العلمية لسرد الحديث النبوي الشريف السيد التهامي بن حماد بن عبد الرحمن المطيري المكناسي المتوفى عام 1249 هـ

وفي نفس عصر المولى عبد الرحمن انتقلت هذه الرئاسة الى الفقيه السيد عبد القادر ابن احمد الكوهن المتوفى عام 1254 هـ

وفي عهد المولى الحسن الاول اسندت صدارة المجلس الحديثي الى الفقيه ابي العباس احمد بن سودة المري المتوفى عام 1321 هـ وكان اول درس تراسه عام 1295 ، وكذلك كانت لهذا العالم رئاسة المجلس في ايام المولى عبد العزيز

اما في ايام السلطان المولى عبد الحفيظ فقد تراس المجالس العلمية شيخ الجماعة ابو العباس السيد احمد ابن الخياط الادريسي المتوفى عام 1343 هـ

وفي اواخر هذا الاخير واوائل عهد السلطان المولى يوسف تصدر للرئاسة الحديثية الشيخ ابو شعيب الدكالي المتوفى عام 1356!

وعندما انتهت مقاليد الخلافة لامير المؤمنين سيدي محمد الخامس قدس الله روحه تكونت مجالس الحديث من العلماء الموظفين كالوزراء وغيرهم ، وكان يراسها وزير العدل او رئيس مجلس الاستئناف الشرعي .

واقتداء بالاباء والاجداد ارتأى نظر امير المؤمنين مولاي الحسن الثاني أن يقيم ندوات علمية رائعة في العشر الاوائل من رمضان المعظم يشارك فيها خيرة علماء المغرب والمشرق ويعالجون خلالها مواضيع اسلامية حساسة ، وفي ختامها يتفضل امير المؤمنين حفظه الله فيدلي بدلوه بين الدلاء مشاركة منه في هذه الندوات القيمة التي أصبح لها صدى بعيد وبعيد جدا بين العلماء والمثقفين .

واجمالا وتفصيلا فان العصر العلوي يتميز ــ منذ المولى اسماعيل ــ برعاية العلم وتقدير العلماء ، والتمسك بالسنة والعمل على نشر العلوم الاسلامية لبعث روح اسلامية حقة .

تطوان : محمد المنتصر الريسوني



للأستاذ محمد العربي الخطابي

بينت في عدد سابق(1) عناية اهل المغرب الشديدة بالمحافظة على القرءان الكريم منذ الفتح الاسلامي الى الان ، واشرت اشارة عابرة الى بعض مظاهر التخلف في ميدان العلوم القرءانية في الوقت الحاضر .

واحب في هذا المقال ان اتوسع بعض الشيء في تبيان مظاهر التخلف هذه وبوادر الانتعاش مع الاتيان بمقترحات ارى ان العمل بها قد يساعد على بعث العلوم القرءانية بما يتفق والعصر الحاضر .

كان للتدهور السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي اصاب المغرب وبلغ مداه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر واوائل هذا القرن ، كان لهذا التدهور اثر بالغ في انحطاط الحياة العلمية والثقافية وتفشي الجهل والبدع الضالة والابتعاد عن طريق السلف الصالح .

وقد كان حريا بالحركة الاصلاحية التي اختط منهاجها السلطان محمد بن عبد الله وخاصة في ميدان التعليم الديني ، كان حريا بهذه الحركة ان تؤتي نتائج طيبة لو استمرت واتيح لها ان تلتقي باطلالة السلطان الحسن الاول على الحضارة الغربية الحديثة التي حاول ان يستفيد من رقدها لولا ظروف معاكسة .

ومن حسن حظ المغرب ان اهله بقوا متمسكين بالقرءان الكريم محافظين عليه رغم جميع مظاهر التدهور التي سادت حياة البلاد . وهذه ظاهرة نلمسها في جميع اقطار العالم الاسلامي ، وهي ذات اهمية بالغة جدا لارتباطها الوثيق بانبثاق دعوة الاصلاح والتجديد وانطلاقها من معاقل قرءانية ومرامي سلفية . واليك مثلا الحركة الوهابية التي ظهرت في الحجاز في القرن الثامن عشر ، والحركة السنوسية التي انبثقت في برقة في اوائل القرن التاسع عشر ، ودعوة جمال الدين الافغاني ، ومحمد عبده ، والكواكبي ، ومحمد اقبال في المشرق ؛ وعبد الحميد ابن باديس ، والبشير الابراهيمي ، والعربي العلوي ، وعلال الفاسي ، والمكي الناصري ، وتقي الدين الهلالي ، في المغرب . ان تاريخ يقظة الشعوب الاسلامية مدين لرجال نبعهم الثقافي الاول هو القرءان الكريم .

بقيت الكتاتيب القرءانية المنبثة في حواضر المغرب وبواديه مهتمة بتعليم القرءان وتحفيظه مع تلقين اصول الرسم بطريق السماع والاستظهار ؛ وقلة العناية بالتجويد والتفسير والقراءات ، اذا استثنينا عددا ضئيلا جدا من العلماء كانوا يتجهون الى هذه الناحية من علوم القرءان .

وقد سمعت عن بعض الثقاة ان من الشيوخ الاجلة ، رحمهم الله ، من كان يعتبر تفسير القرءان علما قد انقضى اهله ، ولا يجوز لاحد من المتاخرين ان يشتغل به . ولعل ذلك كان منهم غيرة وحرصا على حفظ كلام الله من عبث التاويل والخوض في عصر تفشى فيه الجهل وتدهورت الاخلاق ، ولكن هذه الظاهرة ، كانت في نفس الوقت علامة الهزال الذي اصاب الحياة العلمية والدينية .

---

(1) « دعوة الحق » ، يناير 1968 .

وشاء الله ان يظهر، بعد فترة يسيرة من سقوط المغرب تحت قبضة الحماية الاجنبية ، رجال سلفيون مستنيرون دعوا الى التحرر والتعلم والنهوض على اساس من هدى القرءان ؛ واذا كانت دعوة بعض هؤلاء الرجال قد اصطبغت بصبغة سياسية وطنية ، بحكم حالة المغرب وظروفه اذذاك ، فان هذه الدعوة كانت فى عمقها اسلامية سلفية .

وكان التفسير من العلوم القرءانية التي اصابها هذا الانتعاش السلفي ، وتصدى له علماء من امثال علال الفاسي ومحمد المكي الناصري وتقي الدين الهلالي .

وقد انتعشت بهؤلاء الرجال القلائل الحياة العلمية والسياسية والاجتماعية ، بفضل الدروس التي كانوا يعقدونها فى المساجد ، والخطب التي يلقونها فى شتى المناسبات ، فضلا عن المقالات التي نشروها فى جرائد ومجلات ظهرت فى اوائل العقد الرابع من هذا القرن وما بعده .

وادت المدارس الوطنية الحرة ، التي تاسست فى شتى المدن ، قسطها الحيوي فى هذا المجال بما لقنته للناشئين من تعاليم القرءان ولغته ، فضلا عن العلوم الضرورية الاخرى .

وقد اتت سياسة « الظهير البربري » المعروف بنتائج عكسية ، فبينما كان يريد الاستعمار تفرقة المغاربة والقضاء التدريجي على الشريعة الاسلامية فى نواحي حيوية وعزيزة على بلادنا ، تجلت الوحدة الوطنية فى انصع مظاهرها ، وابدى المغاربة اعتصاما اشد بحبل الله المتين ، وبكتابه الكريم .

وكانت الحركة التحريرية الوطنية ، فى جوهرها، حركة اسلامية سلفية ، بحكم ثقافة قادتها الاولين ، وبحكم طبيعة الشعب المغربي ايضا .

واذا رجعنا الى الموضوع الذي يعنينا بالذات ، وهو « القرءان وعلومه » ، فاننا نجد ان هذه المدة القصيرة والمضطربة التي بينا بعض ملامحها قد امتازت بما ظهر خلالها ، من اهتمام بالتفسير والتجويد والرسم القرءاني ، وكانت هذه المواد تلقن فى كثير من مساجد المغرب ومدارسه الحرة . وساعدت المطبعة على دخول عدد من التفاسير الى المغرب ، وخاصة من مصر .

الا ان هذه الحركة الطيبة ، لم تكن مع الاسف شاملة عامة ، فقد كانت المدارس التي اسستها ادارة الحماية ، على قلتها تحاول بمكر وتحايل ان تبعد الناشئة المغربية عن دينها ولغتها وان تفصلها عن جذورها الاصلية بواسطة برنامج محكم ومدبر .

ولسنا ننكر ان القرءان كان من ضمن المواد التي تلقن فى المدارس الحكومية ؛ الا ان ذلك كان يجري باسلوب منفر وطريقة عقيمة تتنافى مع الاصول التربوية التي كان من المفروض ان تكون من الامور الجديدة التي تحملها معها « ادارة الحماية » .

لقد رتب المسؤولون فى ذلك الوقت كل شيء ترتيبا يجعل حصة القرءان واللغة العربية أبغض الحصص الى تلاميذنا !

وكانت هذه الظاهرة سببا من الاسباب الكثيرة التي نفرت طائفة كبيرة من الشبيبة المتعلمة من تراثهم الديني واللغوي والتاريخي ، فكان من ذلك ما نشاهده الان ، بعد حصول المغرب على استقلاله ، من ضعف اهتمام الشبان بالقرءان لجهلهم به وباسراره البيانية واللغوية وبما يتضمنه من تشريع وعبادات وما يدعو اليه من تامل وتدبر .

واذا كانت المدرسة « نموذج الحماية » تتحمل قسطا من المسؤولية فى ذلك ، فان قسطا آخر من التبعية يقع على جمود طرق التلاوة وانحطاط فن التجويد وانعدام التفاسير القرءانية المبسطة المطبوعة طبعا انيقا واضحا ، فضلا عن جمود بعض العلماء وتزمتهم وتمسكهم باساليب عقيمة فيما يلقونه من دروس وعظية فى المساجد . ذلك انه بالرغم من حركة التجديد والبعث التي تصدى لها بعض الرجال المصلحين ، وخاصة بعد صدور الظهير البربري سنة 1930 ، فقد بقيت الاساليب الوعظية الجامدة تسير فى خط متواز مع حركة التجديد . على ان الجمود كان يحظى بتاييد المسؤولين ، فى ذلك الحين ، وتشجيعهم فى مقابل العنت والمحاربة الشديدة التي لقيتها دعوة الاصلاح والتجديد والتحرر . واذا كان عالم مصلح جليل ، مثل الاستاذ علال الفاسي ، قد فاق ، على الصعيد الوطني ، كل العلماء الجامدين المتخرين ، من حيث التاثير وبعث الهمم والتوجيه ، فان المشاغل السياسية والحزبية ، وفترات النفي والتعطيل التي عاناها قد حدت بشكل محسوس ، من تاثير دعوة الانبعاث الاسلامي التي كان من قادتها الاوائل .

ومثل ذلك يمكن ان يقال بالنسبة لعلماء مجددين آخرين .

واني لاستطيع ان اجزم ان ادارة الحماية كانت تخشى حركة التجديد الديني والدعوة الاسلامية

السلفية اكثر مما كانت تخشى الحركة الوطنية السياسية . ومن هنا كان تشجيعها للجمود والتزمت باسم احترام الدين .

وفضلا عما ذكرته من اساليب التعليم الرسمي واغراضه ابان الحماية ، ورعاية « الجمود والتنويم الديني » ، فان الكتاتيب التي كان لها فضل كبير في المحافظة على القرءان الكريم فى المغرب ، بعيدة عن اساليب التعليم الحديثة ، وضعفت عنايتها بفن التجويد والتلاوة ، وانحصرت مهمتها فى تحفيظ القرءان الكريم مع اهتمام عرضي بالرسم القرءاني والوقف .

اما جامعة القرويين ومعاهد التعليم الديني في شتى مدن المغرب فقد انتعشت فيها الدراسات القرءانية منذ الاستقلال ، واصبح فيها « التفسير » على الخصوص من المواد الاساسية .

وتأسست فى عدد من انحاء المغرب جمعيات للمحافظة على القرءان الكريم ، وجعلت من ضمن اهدافها العناية بالتجويد وتشجيع حفظ كتاب الله .

ونظمت الدروس الوعظية فى المساجد ، وخاصة فى شهر رمضان المبارك ، وكان لتفسير القرءان مكان ملحوظ فى هذا الدروس .

وخصصت الاذاعة ، والتلفزة حصصا منتظمة لتلاوة القرءان الكريم ، وحصصا غير منتظمة للتفسير (واخيرا يبدو ان هذه الحصص قد انتظمت بالدروس المفيدة القيمة التي يلقيها أستاذنا الجليل الشيخ محمد المكي الناصري) .

ولا ريب ان حرمة القرءان الكريم ومكانته فى نفوس المسلمين كافة باعتباره كتاب الله ، اولا ، وتبعا حضاريا وثقافيا هاما ، ثانيا ، يتطلبان مضاعفة الاهتمام بهذا الكتاب المقدس وبعلومه . والذي اراه فى هذا الميدان :

— احداث « معهد للمقرئين » يكون عمله مزدوجا : 1) تلقين فن التجويد لحفظة القرءان الكريم الذين تتوفر فيهم بعض الشروط الضرورية : (اتقان الحفظ ، حلاوة الصوت ، مستوى ثقافي معين لا يقل عن الشهادة الثانوية) مع تلقينهم مواد التفسير والرسم القرءاني وعلم القرءات) . 2) اجازة المقرئين والاشراف على شؤونهم ، بحيث لا يتصدر للتلاوة سوى حملة اجازة هذا المعهد .

— احداث كرسي للعلوم القرءانية فى كلية الآداب . ولا تخفى صلة هذه العلوم القوية باللغة وفقهها والادب القديم وفنونه ، وبالتاريخ الاسلامي ايضا .

— تجديد دروس التفسير والعلوم القرءانية الاخرى فى جامعة القرويين وكلية ابن يوسف .

— العناية بنشر تفاسير مبسطة وتعميمها في المدارس الثانوية بصفة خاصة .

— نشر كتاب علمي ومبسط عن فن التجويد والوقف والرسم القرءاني والقراءات ، وتقرير دراسته فى المعاهد الدينية .

— احداث حصة لتفسير القرءان فى التلفزة ، على الا تتجاوز هذه الحصة عشر دقائق فى اليوم .

وقد كانت ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان الكريم مناسبة احتفل فيها المغرب احتفالا رائعا ، وظهر فيها تمسك هذا الشعب بكتاب الله العزيز . وعسى ان تكون هذه الذكرى العظيمة منطلقا جديدا لحياة جديدة تتجاوب فيها قيم الحياة العصرية مع القيم الاسلامية المثلى ، وتنبعث فيها حضارة مغربية أصيلة ذات ابعاد انسانية وروحية تستفيد من تقدم العصر ولا تتخلى عن جوهرها الاصيل المستمد من تعاليم القرءان وهديه .

• الرباط : محمد العربي الخطابي



من ذخيرتنا المدفونة

البحر المديد، في تفسير القرآن المجيد

للعلامة الصوفي سيدي أحمد بن عجيبة

للأستاذ حسن الوركلي

الذين قرأوا تاريخ المغرب تحت ظـل الحكـم العلوي ودرسوه سواء فيما هو متداول بين الايدي من كتبه او فيما لم يزل رهين الخط اليـدوي وحبيس رفوف خزائن حكومية أو خاصة ، الذين قرأوا هـذا التاريخ يعلمون العلم كله الدور الذي يدل على نضج الفكر ويشـي بخلوص النيات ؛ ذلك الذي نهض بـه ملوك الدولة العلوية الافذاذ في حلبة الثقافة والفكـر بوجه عام وفي مجال الجانب الاسلامي منها بوجـه خاص ؛ ويحسبنا أن ندل على أسماء بهية ، مشرقـة ، كان لاصحابها اليد الطولى في بناء صروح الثقافة والفكر بهذه البلاد ، من مثل مولاي رشيد ومولاي سليمـان والمولى محمد بن عبد الله ومولاي الحسن الاول والمولى عبد الحفيظ والمولى يوسف ومحـرر المغرب محمد الخامس تغمده الله برحمته وخلفه العظيـم الحسن الثاني نصره الله ؛ نقول : يحسبنا ان ندل على هـذه الاسماء ليعرف الجاهلون والمتجاهلون في الان عينـه الخطوط العريضة والظـلال الجليـة لتلك الصورة الرائعة التي انتهت الينا نتيجة طبيعية للجهد الـذي افرغه اولئك الملوك الافذاذ والسعي الذي بذلـوه في خدمة الثقافة عامة وجانبها الاسلامي خاصة ، فكانـوا بذلك أئمة يهدون بأمر الله تعالى ويسارعون الى فعـل الخيـرات .

واذا كان تاريخ شعب هو تاريـخ شخصياتـه المتفوقة الفذة ؛ لانها هي التي ترتاد الآفاق الرحيبة اول الامر ، ثم ترسم للناس المنهـج ، وتخطط لهـم الطريق المفضية بهم اليهـا ؛ اذا كان الامـر كذلك ـ وهو كذلك بالفعل ـ فان اولئك الملوك الذين المعنا اليهم من قبل هم الذين يشكلون اعصاب الصورة التاريخية لبلادنا وشرايينها ، وفي ثنايا تلك الصورة تطالعك عناية هؤلاء الملوك وخدمتهم الدائبة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ومصطفاه عليه افضل السلام متمثلة في ذلك الاقبال العظيم من طرف المشتغلين بالعلم على الكتاب والسنة حفظا ورواية ودراية ؛ الامر الذي ادى الى نبوغ شخصيات ـ على عهد العلويين الاشراف ـ في العلوم الاسلامية وبخاصة في علم الحديث وفي علم القرآن ؛ وفي طليعة المنصرفين الى القرآن تدريسا وتحليلا وتفسيرا صاحب كتاب « البحر المديد في تفسير القرآن المجيد » العلامة التصوفي سيدي احمد بن عجيبة . ونريد ، قبل الحديث عن هذا التفسير الممتاز ، أن نعرف بشخصية مؤلفه ؛ لانها ـ كما غيرها من شخصياتنا ـ ما تزال مغمورة ، غير معروفة ، تنتظر عناية الدارسين ، وترقب كرم الغيورين على علمائنا المنسيين وتراثنا الفكري المدفون ، ليكشفوا جوانبها ويبرزوها لجيلنا مثالا يتبع ، وانموذجا يحتذى .

وانـه لمن حسن حظنـا ان ابقت لنا الايام على فهرسته التي ترجم فيها لنفسه والم في صفحاتها بجوانب حياته المختلفة، فهي مصدرنا ومرجعنا فيما نكتب عن حياته .

هو أبو العباس احمد بن محمد ابن عجيبة الحسني العمراني ، كانت ولادته بقبيلة انجرة على مقربة من تطوان في غضون سنة 1160 هجرية .

ويجمع الذين (1) ترجموا له على غزارة علمه وسعة اطلاعه في المنقول والمعقول، كما يجمعون على ورعه وصلاحه وعلو كعبه في عالم التصوف والزهد.

نشأ عالمنا نشأة علمية، دينية، ففي سن مبكرة جعل يختلف الى الكتاب يقرأ القرآن الكريم ويستظهره ثم ما لبث ان اخذ يدرس المتون العلمية ويحفظها عن ظهر قلب، وما هي الا سنوات معدودات حتى ترك القرية الى القصر الكبير يشتغل بطلب العلم ويفنى في ذلك فناء عظيما، وفي سنة ثمانين او احدى وثمانين من القرن الثاني عشر قدم الى تطوان واقبل على حلقات الدرس ومجالس العلم يعب منها عبا ويتزود فيها بخير الزاد، وكان ممن تلمذ عليهم في تطوان الفقهاء المدرسون احمد الرشا وعبد الكريم ابن قريش ومحمد الورززي وعبد السلام بن قريش ومحمد الجنوبي.

ثم يمم الفتى الطالب وجهه شطر فاس منتدى العلم واهله، فاخذ العلم فيها عن اشهر علمائها يومئذ من مثل شيخ الجماعة محمد التاودي ابن سودة وفرضي وقته محمد بنيس والحافظ النحوي اللغوي الطيب بن كيران، وفي حلقات الدرس والتحصيل بفاس (تجلت فيه اليقظة وومض في مساعيه الدهاء واشراقة الذكاء، فلم يكن في الحلقات العلمية ذلك الطالب المهمل الضائع، بل مال الى اعلان مواهبه وكشف القناع عن مقدراته (2)).

كان شغف عالمنا بالدرس عظيما وكان تعلقه بالمعرفة فريدا، يدلك على ذلك قوله في فهرسته متحدثا عن فترة تعلمه بالقصر الكبير: « ثم فنيت فيه - اي العلم - فناء عظيما حتى اهملت نفسي ونسيت امرها (3) » وقوله عن فترة تعلمه بتطوان: « ثم لحقتني فاقة شديدة لانني استحييت أن اطلب معروفا من احد فبقيت كذلك مدة فكانت الوالدة ترسل لي الخبز من البلد ثم فتح الله بالخير الكثير، هذه سنة الله في خواصه كما قال الشاعر:

لا تحسب المجد تمرا انت آكله
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

لكن حلاوة العلم ولوعته غيبت عني مرارة الفاقة » (4).

وكان متمسكا بالدين، محافظا على اقامة شعائره خلال ذلك، فهو يقول متحدثا عن الفترة التي قضاها بالقصر: « فكانت اوقاتنا كلها معمورة بين مطالعة ومدارسة وعبادة » ويقول متحدثا عن فترة تعلمه بتطوان: « وكانت قراءتي والحمد لله كلها ممزوجة بالعبادة، لم نترك قيام الليل الا نادرا، وكنت اقسم الليل اثلاثا: ثلثا للنوم وثلثا للتهجد وثلثا للمطالعة، وكنت الفت الوحدة فما كنت أسكن الا وحدي للتفرغ للعلم والعبادة ».

وحينما عاد من فاس الى تطوان سنة 1191 هـ كان قد حصل على رصيد جيد من المعرفة، وتوفر على زاد طيب من الثقافة، يتمثل كل ذلك في حديثه في فهرسته عما حصله من العلوم الظاهرة والباطنة، ويتمثل في ذلك الاقبال الشديد الذي عرفته حلقاته العلمية بمساجد تطوان يوم تصدى للتدريس وجلس للتعليم، ويتمثل - اخيرا - في هذا الانتاج الضخم الذي تفتقت عنه قريحته والذي يصور سماته المعرفية وملامحه العلمية كأحسن ما يكون التصوير، وهذا ثبت باهم مؤلفاته: (1) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (2) تفسير الفاتحة « بشرحين بل ثلاثة احدها صغير فيه نحو كراسين والآخر كبير فيه نيف وعشرون كراسا (5) صغيرة، وآخر صغير جدا فيه نحو ورقتين » (3) ايقاظ الهمم في شرح الحكم، - مطبوع - وهو شرح رائع وممتاز لحكم ابن عطاء

---

1) ترجم له تلميذه ابو محمد السكيرج والعلامة عبد القادر الكوهن في فهرسته والعلامة الرهوني التطواني والشيخ عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس، كما ترجم له مؤرخ تطوان الاستاذ محمد داود في مختصره ومطوله، وكتب عنه اخونا الاستاذ محمد المنتصر الريسوني في سلسلته « شخصيات من بلادي » بجريدة الحسنى، وقيل لي بأن مستشرقا يعد عنه دراسة شاملة.

2) جريدة الحسنى، عدد 36 - السنة الاولى - جمادى الاولى 1382 هـ من مقال للاستاذ المنتصر الريسوني عن ابن عجيبة.

3) من فهرسته التي اطلعني عليها الصديق الاستاذ عبد القادر ابن عجيبة.

4) المصدر السابق.

5) اطلعني - مشكورا - الاخ الاستاذ عبد القادر بن عجيبة على نسخة مخطوطة من التفسير الكبير للفاتحة، وهو يقع في مجلد متوسط الحجم.

الله (4) كتاب في القراءات العشر « يشتمل على آداب القراءة والتعريف بالشيوخ العشرة ورواتها وتوجيه قراءة كل واحد منها ، فيه عشرون كراسة صغيرة » (5) كتاب في طبقات الفقهاء وذكر ارباب المذاهب والتعريف بهم والتعريف بمشاهير اصحاب مذهب مالك من زمانه الى زماننا هذا على ترتيب وجودهم كل قرن وحده الى وقتنا هذا ، ثم اتبعتهم بذكر النحويين والمحدثين والصوفية غير أن الصوفية لم تستكمل ذكرهم ». (6) ازهار البستان في طبقات العلماء والصلحاء والاعيان . (7) فهرسته ، وهي ترجمة حياته مكتوبة باسلوب خال من الصنعة البديعية الشائعة يومذاك على اقلام الكتاب . (8) كتاب في حقائق التصوف . (9) كتاب شرح الاجرومية « جمعت فيه بين النحو والصرف عبارة واشارة كصناعة التفسير » (10) تاليف في اربعين حديثا في الاصول والفروع والدقائق . (11) شرح الحزب الكبير للشاذلي . (12) شرح اسماء الله الحسنى « افردت لكل اسم بابا كما فعل القشيري في التحبير » (13) حاشية مختصرة على الجامع الصغير للامام السيوطي . (14) شرح همزية البوصيري وبردته . (15) تاليف في القضاء والقدر . (16) تاليف في الغيبة ومدح العزلة والصمت. (17) كشرف النقاب عن لب الالباب. (18) شرح الصلاة المشيشية . (19) قصائد وتوشيحات وازجال من الشعر التصوفي ، جمعت في ديوان مستقل ، بعضها في تفسير الملك والملكوت وبعضها في شان النفس والعقل والقلب والروح وما يتعلق بذلك .

واكثر هذه المؤلفات ، على قرب العهد ، ضاع ودرس ، ولم تظفر الايدي الا باقله ؛ على ان الاستاذ محمد داود في مختصر تاريخه (1) يذكر بانه وصف في مطوله خمسة عشر من تآليف ابن عجيبة وقف عليها بنفسه .

لقد امضى ابن عجيبة العالم الجامع بين الشريعة والحقيقة والظاهر والباطن ايام حياته بين درس وتحصيل وتدريس وتاليف وعبادة وزهد في متاع الدنيا الحقير حتى رجعت روحه الى ربها راضية ، مرضية في سنة 1224 هـ ، ورقد جثمانه في تربة مدشر الزميج من قبيلة انجرة .

*

لا تنتظر ان احدثك عن « البحر المديد في تفسير القرءان المجيد» قبل أن اصور لك شغف الرجل بالقرآن الكريم منذ نعومة اظفاره وولوعه بعلومه وتضلعه في علم التفسير خاصة ، ولقد رايت ، قبلا ، كيف كانت نشاة عالمنا قائمة على الدين مرتكزة على العلم ؛ ومن اجل ذلك كان اول لقائه بالكتاب الكريم يوم جيء به الى كتاب القرية ليقرا القرآن ويستظهره ، فكان هذا اللقاء فاتحة رفقة خيرة ومطلع صحبة طيبة بين عالمنا وبين كتاب الله الكريم ، وهكذا امضى سنوات ، وهو صبي يطوي الاعوام الاخيرة من العقد الاول ويجتاز عتبة عقده الثاني ، يداب على قراءة القرآن ويواظب على حفظه ، فلما انتقل من الكتاب في القرية الى مجالس العلم وحلقاته في تطوان وفاس اقبل بحب وشغف على دروس التفسير ، تلك التي كان ينهض بها علماء فحول من مثل القاضي عبد السلام بن قريش والعلامة محمد الجنوي والورع الزاهد سيدي احمد الزعري ومن اليهم ؛ وكانت حصيلته من علم التفسير عظيمة ، ففي باب « ذكر ما حصلناه من العلوم الظاهرة والباطنة » في فهرسته يقول بعد ان ذكر مجموعة من العلوم حصلها : « ومن علم الاديان علوم القرآن وخصوصا التفسير فقد فتح علي فيه بما لم يفتح على أحد غيري في زماننا هذا » ، وحينما رغب عن بهرج الدنيا واعرض عن متاع الحياة وحلقت منه النفس والفؤاد والروح جميعا في آفاق من الاشراق الالهي واجواء من الضياء الرباني كان القرآن رفيقه ، والرفيق قبل الطريق ، في تلك المسالك التي يمتزج فيها الجهد بالمتعة « فكنت لا اصبر عنه – اي القرآن – وكنت اقرا في الصلاة قائما، فاذا ضعفت صليت جالسا ، وربما ختمت في الشهر اربع عشرة ختمة ، ثم قراته باللوح فقرات رواية المكي والبصري وبدات السبع فلم ادركه وكنت لا اقرا في اللوح حتى اطالع التفسير وافهم المعنى فبقيت كذلك مدة ثلاث سنين او اربع » .

وانك لتستطيع ان تعرف مبلغ علم هذا العالم الجليل بالمعرفة القرآنية التفسيرية من خلال قراءتك للمقدمات العشر التي صدر بها كتابه في تفسير الفاتحة ، وهي في نحو ست وثمانين صفحة من القطع المتوسط ، ففيها صورة لاطلاعه الواسع على كل ما يمت للقرآن وعلم تفسيره بصلة ، ولولا اني اخشى الاطالة لاستطردت مصورا لك ذلك الاطلاع من خلال تلك المقدمات العشر .

وعلى اي حال فالنتيجة التي نريد ان ننتهي اليها من كل ما تقدم هي ان تلك الرفقة الطيبة الخيرة مع

1) مختصر تاريخ تطوان ، ص 300 من الجزء الثاني .

القرآن الكريم وتلك العناية البالغة بعلومه وثقافته ؛ كل ذلك اسفر عن عملين جليلين يعكسان الاسهام الجيد لابن عجيبة في مكتبة القرآن والتفسير ، أولهما تفسيره للفاتحة وقد تقدمت الاشارة اليه ، وثانيهما كتابه الممتع في التفسير المسمى « البحر المديد في تفسير القرآن المجيد » ، وهو بيت قصيدنا من هذا المجال .

هذا التفسير القيم يقع في اربعة مجلدات ضخام (29 × 19) ، وليس منه موجودا الا نسخ ثلاثة ـ فيما نعلم ـ لعل النسخة الاصلية هي التي توجد في ملك بعض الاشراف العجيبيين في قبيلة الزميج ، اما النسخة التي نعتمدها في هذا الحديث فهي التي يمتلكها الفقيه الاستاذ السيد عبد الرحمن الازمي، وقد اتاح لنا فرصة الاطلاع عليها فله جزيل الشكر، وهذه النسخة مكتوبة بخط مغربي تتفاوت نسبة جماليته من جزء لآخر واحيانا تتفاوت تلك النسبة بين صفحات الجزء الواحد لاختلاف النساخ ؛ ويعود تاريخ نسخها الى اوائل العقد الخامس من القرن الثالث الهجري . والجزء الاول يبتديء ، بعد مقدمة صغيرة ، بسورة الفاتحة وينتهي بسورة الانفال ، وقد فرغ مؤلفه من تبييضه ـ كما نقرا في آخر سطوره ـ في سادس عشر جمادى الاولى سنة ست عشرة ومائتين والف ، والجزء الثاني يبتديء بسورة التوبة وينتهي بسورة المومنين ، وقد فرغ مؤلفه من كتابته ـ كما هو مثبت في آخره ـ عشية يوم الثلاثاء سابع‌عشر صفر عام ثمانية عشر ومائتين والف ، والجزء الثالث يبتديء بسورة النور وينتهي بسورة حم وقد أنهاه مؤلفه بالكتابة في تاسع رمضان عام تسعة عشر ومائتين والف ؛ واما الجزء الرابع فيبتديء بسورة الشورى ويختتم بسورة الناس ، وفي آخره نقرا : « ... وبالله التوفيق وهو الهادي الى سواء الطريق ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ؛ كمل البحر المديد في تفسير القرءان المجيد بحول الله وقوته ، نسأل الله سبحانه أن يكسوه جلباب القبول ويبلغ به كل من طالعه او حصله القصد والمامول بجاه سيد الاولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيئين وامام المرسلين » ثم نقرأ بعد ذلك : « ... وكان الفراغ من تبييضه زوال يوم الاحد سادس ربيع النبوي عام واحد وعشرين ومائتين والف على يد جامعه العبد الضعيف الفقير الى مولاه احمد بن محمد ابن عجيبة الحسني لطف الله به في الدارين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين » ، واذن فهذا العمل الجليل المطبوع بطابع العمق في التحليل والنضج في العرض لم يكن وليد سنة او سنتين وانما كان وليد فترة من الزمن قاربت خمس سنوات ، انفقها المؤلف في رحلة بهية ، ممتعة في اعطاف القرآن ، يقرأه متدبرا ، متأملا ، ويعكس ذلك في صفحاته محللا ، مفسرا .

ولتاليف هذا التفسير قصة يحسن ان تروى ذلك ان عالمنا بعد خوضه في غمار التصوف ومصاحبة اهل الاذواق طلب منه شيخه « العارف المحقق البوزيدي الحسني عن اذن شيخه العارف الرباني مولاي العربي الدرقاوي الحسني ان اضع تفسيرا على فاتحة الكتاب يكون جامعا بين تفسير اهل الظاهر وتفسير اهل الاشارة من اهل الباطن ، يكون مستوعبا للكلام على حسب المقام ، ثم اذا فسح الله في العمر واسعفه القضاء والقدر كملت باقيته بالتفسير باعانة القوي المتين ، العالم القدير ، فأجبت طلبهما واسعفت رغبتهما رجاء ان يحصل به الامتاع ويعم به الانتفاع ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب (1) » وقد افسح الله في عمر عالمنا واسعفه القضاء والقدر فكتب تفسيره العظيم للقرآن الكريم .

ولقد عرف القرآن فيما عرف من الوان التفسيرات وضروبها تفسير رجال التصوف او اهل الباطن ، وهؤلاء فرقتان : احداهما تزعمت التفسير الصوفي النظري ، وهو في رأي أغلب الباحثين تفسير ينحرف بأهداف القرآن عن طريقها ويستمد من آياته مدلولات لم يقصد اليها الكتاب المبين ، واما الفرقة الثانية فهي التي عالجت التفسير الصوفي الفيضي او الاشاري ، وهو يقوم على استنتاج مفاهيم من الآيات « على خلاف ما يظهر منها بمقتضى اشارات خفية تظهر لارباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر الموارة (2) » ، والمفسر الفيضي او الاشاري رجل اخذ نفسه برياضة روحية فغمر اقطار نفسه اشراق الهي يريه ما لا يرى كل الناس ويبصره بما لايبصر كل الناس ؛ ومن ثم فهو يرى في آيات الكتاب من المعاني والاشارات والتلميحات ما لا يراه كل الناس ولا يدركونه ؛ ولكن المفسر الاشاري مع ذلك جميعه

1) من مقدمة تفسير للفاتحة .
2) انظر كتاب « التفسير والمفسرون » لاحمد الذهبي .

ملزم بأن يرى ؛ بل يؤمن بأن هناك قبل المعنى الفيضي او الاشاري معنى ظاهرا هو الذي يجب ان يفهم من الآية قبل غيره .

وانما سقنا هذا الكلام المقتضب عن التفسير الاشاري لنقول لك بأن البحر المديد تفسير اشاري ولنقول لك ايضا بأن صاحبه ابن عجيبة في طليعة المفسرين الاشاريين ان لم يكن أروعهم على الاطلاق؛ على اننا يجب ان ننبه الى ان تفسير ابن عجيبة ليس تفسيرا اشاريا محضا وانما هو يجمع بين المذهبين الظاهري والاشاري فيؤلف ، بذلك ، بين عبارة الظاهريين واشارة الباطنيين ؛ ومن هنا نجده في مقدمة تفسيره يؤكد بأن مهمة التفسير مهمة شاقة وعملية عسيرة ، لايقدم عليها الا « العالم التحرير الذي رسخت اقدامه في العلوم الظاهرة عربية وتصريفا ولغة وبيانا وفقها وحديثا وتاريخا ، يكون اخذ ذلك من افواه الرجال ثم غار في علم التصوف ذوقا وحالا ومقاما بصحبة اهل الاذواق من اهل الحال والا فكونه عن هذا الامر العظيم اسد واشتغاله بما يقدر عليه من علم الشريعة الظاهرة اتم (1) » ، ولقد اطلعناك على علم ابن عجيبة في المنقول والمعقول ؛ والمحنا الى زهده وتصوفه ، واقرأ هذه الكلمات لتعرف مكانته في عالم التصوف نظرا وسلوكا : « واما التصوف فهو علمي ومحط رحلي فلي فيه اليد الطولى والقدم الفالج ، حزت فيه قصب السبق على طريق اهل الاذواق فلله الحمد وله الشكر (2) » فابن عجيبة ، اذن ، هو ذلك العالم الذي يذخر من الكفاءات العلمية والتصوفية بلونيها النظري والتطبيقي أو السلوكي ما يؤهله للقيام بمهمة التفسير ، فهو — كما رأيت — عالم نحرير « رسخت اقدامه في العلوم الظاهرة وتنورت سرائره بالانوار الباهرة ، قد سلك الطريق واشرقت عليه انوار التحقيق (2) »

وفي المقدمة يتصدى عالمنا للتفسير الاشاري فيقول : « واعلم ان القرآن الكريم له ظاهر لاهل الظاهر وباطن لاهل الباطن ؛ وتفسير أهل الباطن لا يذوقه الا اهل الباطن ؛ لا يفهمه غيرهم ولا يذوقه سواهم ، ولا يصح ذكره الا بعد تقرير الظاهر ، ثم يشير الى علم الباطن بعبارة رقيقة واشارة دقيقة ، « فمن لم يبلغ فهمه لذوق تلك الاسرار فليسلم ولا يبادر بالانكار فان علم الاذواق من وراء طور العقول ولا يدرك بتواتر النقول » ثم يعرض بعد ذلك كلام بعض العلماء في التفسير الاشاري من مثل صاحب لطائف المنن وسعد الدين في شرح عقائد النفي وكلام الشيخ زروق رضي الله عنه عن نظر الصوفي وقيمة الاشارة ، ثم تصدى ، بعد ذلك ، بالشرح للحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم : « كل آية ظاهر وباطن وحد ومطلع » فقال : » فالظاهر لمن اعتنى بظاهر اللفظ كالنحاة واهل اللغة والتصريف ، والباطن لمن اعتنى بمعنى اللفظ وما دل عليه الكلام من الامر والنهي والقصص والاخبار والتوحيد وغير ذلك من علوم القرآن وهو نظر المفسرين ، والحد لمن اعتنى باستنباط الاحكام من وهم الفقهاء ، فهم ينتهون الى ما يدل عليه اللفظ وسيق لاجله دون زيادة عليه ، والمطلع لاهل الحقائق من اكابر الصوفية لانهم يطلعون من ظاهر الآية الى باطنه فيكشف لهم عن اسرار وعلوم وغوامض تتجلى لهم عند استعمال الفكرة فيها »

ولقد صرفت لحظات ؛ بل ساعات ملـدة ، معدودية ، اتصفح هذه الاجزاء الاربعة الضخام التي يتالف منها تفسير ابن عجيبة ، ولكن الساعات مهما طالت فهي لن تتيح دراسة متعمقة لمنهجية ابن عجيبة في تفسيره وانما الذي اتاحته لنا تلك الساعات هي تكوين خطوط عامة ، لا ابرئها من النقص ، للمنهجية التي اتبعها ابن عجيبة في تفسيره والتي نرجو ان نتفرغ لدراستها في مستقبل الايام بحول الله ، تلك الخطوط العامة لمنهجية ابن عجيبة تتجلى في انه يورد في اول كل سورة بعض الحقائق المتعلقة بها كأسمائها وعد آياتها ومكان نزولها ووجه مناسبتها لما قبلها ، حتى اذا فرغ من ذلك اخذ آية او آيتين أو اكثر ومضى يعالج جانبها النحوي واللغوي والتصريفي في غير ما اطالة ، ثم ينتقل من هذا ليفسر الآيات تفسيرا ظاهريا بعبارة سهلة واسلوب لا اثر للصنعة والتكلف فيه مما كان معروفا عهدئذ عند الكتاب المشارقة على الخصوص، وهو في أثناء تفسيره الظاهر قد يستشهد بالحديث النبوي الشريف وببعض الشعر الحكمي والزهدي؛ولسنا نجد عنده اطنابا في بسط بعض الآيات التي، ربما، تكون اكثر من غيرها اغراء بالاطناب مثل آيات الاحكام ، ولكننا مع هذا نلمس في تفسيره اطلاعه الفقهي ومعرفته بمذاهب اعلام الفقه ؛ فاذا ما انتهى من تفسيره الظاهر ذيل ذلك « بالاشارة » التي يضمنها المدلولات الفيضية والمفاهيم الاشراقية للآيات الكريمة ؛ وهو في ذلك كله

---

1) من فهرسته .

2) من مقدمته لتفسير الفاتحة .

كان وفيا لخطوط المنهج الذي رسمه لنفسه في مقدمة تفسيره حينما قال بانه سيقدم « في كل آية ما يتعلق بمهم العربية واللغة ثم بمعاني الالفاظ الظاهرة ثم بالاشارات الباطنة متوسطا في ذلك بين الاطناب والاختصار » وحينما قال في المقدمة ايضا بانه لايصح ذكر التفسير الباطني « الا بعد تقرير الظاهر ثم يشير الى علم الباطن بعبارة رقيقة واشارة دقيقة » ، واذن فهو لا يعالج التفسير بالطريقة الاشارية فقط على نحو ما فعل محمد بن الحسين السلمي في كتابه « حقائق التفسير » وما صنع ابو محمد الشيرازي في كتابه « عرائس البيان في حقائق القرآن » . واشارات ابن عجيبة ، على العموم ، لاتغرق في غرابة المعنى وغموض الفكرة والبعد عن مدلولات اللفظ القرآني وايحاءاته كما هو الحال بالنسبة لبعض اشارات المفسرين الذين عالجوا هذا اللون من التفسير ، ان الاشارات العجيبية حافلة ، فعلا ، بالغوامض والدقائق والرموز ، ولكنها في كل ذلك لاتبعد ، حين تبعد ، عن اللفظ القرآني الا بالقدر الذي تظل به مرتبطة بمدلول ذلك اللفظ وايحائه .

اما مصادر ابن عجيبة (1) في تفسيره فهي :«انوار التنزيل واسرار التأويل » للبيضاوي و « ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم » لابي السعود العمادي و « الكشف والبيان عن تفسير القرآن » للثعلبي وكتابي القشيري (2) في التفسير «التيسير في علم التفسير »و « الاشارات » ، وشيء من تفسير ابن جزي وحاشية شيخ الشيوخ عبد الرحمن الفاسي ؛ ويلاحظ ، مثلا ، انه لم يتأثر بمصدره البيضاوي فيما اخذ عليه من ذكر حديث عن النبي عليه السلام في آخر كل سورة في فضلها وما لقارئها من الثواب ، وهي احاديث اتفق العلماء على انها موضوعة .

ان مكانة تفسير ابن عجيبة بين التفاسير الكثيرة جدا مكانة عظيمة ومرموقة ، فهو — فيما نعلم — اول تفسير يجمع فيه صاحبه بين الظاهر والباطن فيوفق الى ابعد الحدود ؛ ذلك ان جل المفسرين عنوا بالظاهر، وبعضهم كان يعرض للاشارة بايجاز وبقدر من مثل النيسابوري والآلوسي ، وبعضهم الاخر اغرق في التفسير الاشاري ولم يلتفت للظاهر الا في بعض الاحيان كسهل التستري ، في حين صرف آخرون همتهم للناحية الاشارية ولم يلتفت ، بالاطلاق ، الى الناحية الظاهرية مثل ابي عبد الرحمن السلمي ، وعالج فريق آخر التفسير الصوفي النظري منه والاشاري ولم يتطرق الى الظاهر مثل مؤلف التفسير المنسوب لابن عربي . فابن اعجيبة ، بالنتيجة ، يكون — فيما نعلم — اول مفسر يكتب تفسيرا كاملا للقرآن الكريم جامعا بين الظاهر والاشارة ؛ افرغ فيه وسعه وبذل جهده حتى جمع له بين الحسنيين .

وفيما يلي نقدم انموذجين للاشارة العجيبية ، اولهما عن قوله تعالى من سورة الرعد : « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر ، يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون » الاشارة : « الله الذي رفع سماوات الارواح وزينها بنجوم العلم وقمر التوحيد ، واشرق عليها شموس العرفان واسرار التفريد ، ثم استوى باسرار ذاته وانوار صفاته على العرش وهو قلب العارف لانه سرير المعرفة ومحل بيت الرب ، وسخر شمس المعرفة وقمر التوحيد يجريان بالترقي الى محل التمكين وهو الاجل المسمى لهما ، يدبر امر السير والترقي ويفصل دلائل الطريق الموصلة الى عين التحقيق لعلكم بالوصال الى ربكم توقنون حين يكون ذوقا وكشفا ؛ والله تعالى اعلم (3) » .

وثانيهما عن قوله تعالى في سورة الناس : « قل اعوذ برب الناس ، ملك الناس ، اله الناس ، من شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، من الجنة والناس ، » الاشارة : « لا ينجي من الوسوسة بالكلية الا التحقق بمقام الفنا الكلي وتعمير القلب بانوار التجليات الملكوتية والاسرار الجبروتية حتى يمتليء القلب بالله .

1) ذكر بعض هذه المصادر في آخر تفسيره ، واشار الى بعضها في مقدمة من مقدماته العشر لتفسير الفاتحة
2) ذكر ابن عجيبة ان القشيري هو امام الطريقة الرمزية الاشارية في التفسير ، ثم قال : « ... وذكر ابن خلكان ان ابا القاسم القشيري صنف التفسير الكبير وسماه التيسير في علم التفسير وهو اجود التفاسير ، فهو تفسير آخر له غير المسمى بالاشارات ، وقد وقفت عليهما معا فالتفسير كتاب كبير في اربع مجلدات واما الاشارات فصغير في مقدار مجلدين والله تعالى اعلم » .
3) من الجزء الثاني .

فحينئذ تنقلب وسوسته فى اسرار التوحيد فكـرة ونظرة وشهودا للذات الاقدس كما قال الشاعر :

ان كان للناس وسـواس يوسوسهـم

قانت والله وسواسي وخناسـي (1)

وبعـد :

فان الفكر التصوفي اذا كان يضم فى خزائنـه القرآنية جـل ما كتب والف فى التفسير الفيضـي الاشاري فانه مما لايرضينا ان تظل مكانـة الاسهام المغربي فى تلك المكتبة شاغرة ؛ ومن اجل ذلك فاننـا لانتركها فرصة تفوتنا دون ان نلتمس من مولانا اميـر المومنين وحامي حمى الوطن والدين ان يسد ـ حفظه الله ـ الثغرة فى مكتبة التفسير التصوفي باصـداره امره الشريف بطبع « البحـر المديد فى تفسير القرآن المجيد » ؛ وبذلك يضيف مولانا امير المومنين ، حفظه الله ، الى حسناته فى سجل خدمته لكتاب الله وحديث رسوله (ص) وهي لاتعد ولا تحصى حسنة اخـرى تذكرها له ـ نصره الله ـ اجيال الاسلام فى الحاضـر والمستقبـل .

تطـوان ـ حسن الوراكلي

1) مـن الجـزء الرابـع .





اننا نعيش في جو قرءاني هذه السنة ، جو يعبق بشذى النفحات الالهية ، ويفيض على القلب والنفس باقباس من المعاني الربانية ، فالارواح منه في خشوع ، والقلوب في نشوة من قداسة الذكرى وجلال الحدث .

وانها لخطوة مباركة مثمرة هذه التي تخطوها الدولة المغربية ، في دعوتها الى احياء هذه الذكرى المجيدة ، وحث العاملين في الحقل الاسلامي في الداخل والخارج، على المساهمة فيها بالبحث والدرس .

وانه لمن غريب الصدف ، أن يكون هذا البلد المسلم ، الذي لم يصل الاسلام اليه الا بعد مشقة وجهد ، وبعد ان انتشر في بقاع نائية عنا من الارض ، وحتى عند ما وصلنا لقي من المصاعب والمتاعب ما يفت في العضد ، ويضعف من العزم ، الامر الذي كلف الفاتحين المسلمين الاولين لهذه البلاد تضحيات جساما ، بسبب الجهل والخرافة والروح القبلية الضيقة التي كانت مسيطرة على هذه البلاد ، اقول من غريب الصدف ان يكون هذا البلد الموجود في اقصى بلاد المغرب العربي ، هو الذي يدعو اليوم الى الاحتفال بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرءان الكريم .

ولكن لو تاملنا لوجدنا ان من وراء ذلك حكمة يشاؤها الله ، فان يلقى الاسلام تأييدا واسنادا من بلد يبعد بكثير عن موطنه الاصلي ، يظهر ان الاسلام قادر على ان يصنع المعجزات في اي شبر من الارض وصل اليه ، ولو بلغ المدى البعيد في المسافة والمناى . **وكلنا** يعلم ان الاسلام ظهر في مكة ، ولكنه لم يلق من التاييد بها مثل ما لقي في المدينة ، وكلنا يعلم كذلك ما كان يتصف به فقهاء الحجاز في العصور الوسطى من تساهل ديني ، اذا هو قورن بما عرف به فقهاء العراق من

تشدد في الدين ، يصل احيانا الى حد التزمت ، مع بعد المسافة بين الحجاز مهد الاسلام ، وبين العراق الذي كان قريب عهد بالمجوسية الفارسية ، بل كان لا زال لها فيه وجود وسلطان . وكلنا يعلم ايضا ان اجيالا من علماء الاسلام وزهاده ورجال التصوف فيه ، كانت من عروق غير عربية ، ومن الذين وصلتهم الدعوة متاخرة بالنسبة لغيرهم ، وينتمون الى اقطار تبعد عن مهد الاسلام بمئات الاميال . والمؤرخون يعللون هذه الظاهرة بعلل مختلفة ، كشعور حديث العهد بالاسلام بالحاجة الى الوقوف على قدم المساواة مع من بعد العهد باعتناقه الاسلام ، وقد يؤدي به ذلك الى التزمت ، ويمكن ان نضيف الى ذلك كون جماعة من الناس الداخلين في الاسلام مؤخرا ارادت التكفير عن ماضيها السيء ، عن طريق التشدد في التقيد بمبادىء الاسلام وقواعده .

ولعل ما عرف به المغاربة من قديم ، من اتباعهم لكتاب الله والتزامهم بجميع شرائعه ، ان يكون راجعا الى تلك العقدة التاريخية القديمة ، عقدة كونهم يعتبرون من الموجات الانسانية التي وصلتها دعوة الاسلام متاخرة ، فاذا كان العراقي والمصري والسوري

قد بلغته الدعوة قبلنا ، ومع ذلك يتشدد فى الدين فى تلك العصور ، فما ذا نفعل نحن وقد وصلتنا الدعوة بعده ، وبعد سلسلة طويلة من الجهود والاعمال العسكرية الطويلة المدى ، والتي استغرقت من الزمن نحو سبعين سنة ، كلها نضال وكفاح !! .

ايكون سبقنا اليوم فى الدعوة الى احياء هذه الذكرى ، راجعا الى تلك العقدة القديمة ، التي ربما كانت رواسبها ما زالت تعمل فى اعماق نفوسنا الى اليوم ! فمن المعلوم ان عقد التاريخ لا تموت ابدا ، وانما تبقى حية عالقة بوجدان القوم ، فى جميع مراحل حياتهم ، وكل ما هنالك انها تكمن فى اللاشعور او فى العقل الباطن ، لتتحرك متى توفرت الظروف الملائمة لاثارتها من جديد .

قد نكون متاثرين بتلك العقدة ، بيد اننا ينبغي الا ننسى ان هناك عوامل اخرى لا تخفى على الباحث ، كان من شانها ان دفعتنا الى هذا العمل ، فنحن قوم لنا ظروفنا واوضاعنا التاريخية والحضارية الخاصة ، الامر الذي زادنا يقينا بان الوسيلة الوحيدة للتقدم والنهوض ، هي التشبث بقواعد الاسلام وتعاليم القرءان ، التي افادتنا بتجربتنا كامة لها تاريخ حافل مجيد ، انها كانت وما تزال وستبقى دائما اساس عزنا ، ودعامة سيادتنا ، ومناط وحدتنا القومية . والعاقل من لا ينسى التاريخ ، ولا يفوته اخذ العبرة من الحاضر ، وقد اخذنا العبرة فعلا .

وعليه فالصوت الذي ارتفع هنا بوجوب الاحتفال بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرءان ، كان رد فعل ضد الضلال المذهبي الذي كان له سلطان على انحاء عديدة من الارض .

والمغاربة عندما يحافظون على دينهم ، ولا يريدون به بديلا ، من عامتهم الى خاصتهم ، لا يصدرون عن تعصب ، ولا عن جهل بما يجري فى العالم من احداث وتطورات ، وانما هم يفعلون ذلك لانه الامر الطبيعي الذي ينسجم مع تاريخهم ، ومع طبيعة تكوينهم الاجتماعي والسياسي والثقافي .

فالمغرب هو بلد الزوايا والربط ، وهو ملجا المالكية العتيدة ، وللمالكية فى المغرب قصة طويلة ، لها جانبها الفقهي ، وجانبها الاجتماعي ، وجانبها السياسي ايضا . ومواقف رجال المالكية فى تاريخ المغرب مسجلة بمداد الفخر على صفحات التاريخ . والمغرب هو البلد الذي قامت جميع دوله المتعاقبة على اساس الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة الى الاصلاح الديني والاجتماعي والسياسي ، على ضوء تعاليم القرءان . وهذا البلد الذي حمل راية الجهاد فيما يليه من البلاد شمالا وجنوبا ، وقدم ارواح ابنائه امتثالا لاوامر القرءان فى الدفاع عن حوزة الاسلام ، ومجاهدة اعدائه من الخوارج الجدد ، والمرتدين والمغيرين . فلا غرو اذا كان الوجدان الديني عند المغاربة قويا ، لا تنال من قوته الايام والاحداث .

ولسنا نزعم ان اسلامنا اقوى من اسلام غيرنا ، ولا ان ايماننا احسن من ايمانهم ، فهذا يتجاوز ما نستطيع الى ما نستطيع ، وانما نقول فقط : اننا مهما كانت احوال العالم المحيط بنا ، لابد ان نبقى مسلمين ، ومسلمين فقط ، لان ذلك هو ما يقتضيه منطق تاريخنا وشخصيتنا وكياننا الاجتماعي والسياسي والثقافي ، وعلى ذكر الكيان الثقافي ينبغي لنا ان نذكر جيدا ان الثقافة الاسلامية لها فى هذا البلد وجود عريق ، فالمغرب هو بلد الفقهاء منذ عصوره الاسلامية الاولى الى اليوم ، وهو الوارث الشرعي للفقه الاندلسي ، وللسلفية فى هذا البلد دعائم راسخة، وما زال لها فيه وجود يجمع بين التراث القديم ، ومعطيات الثقافة الحديثة . ولا يخفى على احد ان السلفية ليست تعصبا كما يزعم بعض البسطاء ، وانما هي كفاح وجهاد وعقيدة ودعوة الى الاصلاح ، كذلك كانت ، وكذلك تستمر اليوم ، لا فى المغرب وحده ، بل حتى فى بعض البلاد العربية والاسلامية .

والسر فى تماسك المجتمع المغربي ، بواديه وحواضره ، جباله وسهوله ، هو عقيدة الاسلام المهيمنة على الجميع ، منذ ان اصبح للاسلام دولة فى هذه الديار الى اليوم ، والتاريخ يثبت ان الفاتحين العرب الاولين لهذه البلاد ، لم يستطيعوا تثبيت اقدامهم فيها ، الا يوم تمكنوا من تحبيب الاسلام الى سكانها الاصليين ، ثم لم تكد تمر حقبة من الزمن ، حتى كان الجميع عربا وبربرا متاهبين لمعركة الجهاد والفتح ، فيما يلي المغرب من بلاد اسبانيا النصرانية ، ترفرف فوق رؤوسهم الوية الاسلام ، ومن يومئذ والاسلام جامعة المغاربة المتينة ، والقرءان ملاذهم الاوحد ، يرجعون اليه فى خاصة امورهم وعامتها ، وكم قام عندهم مقام الجيوش المظفرة ، والجحافل الجرارة ، فى اخضاع الثائر ، وتاليف النافر ، واقرار النظام ، فعندما تطل الفتن براسها ، وتكشر عن انيابها ، وتعصف النعرات بالرؤوس ، والعصبيات بالنفوس ، وتحتدم الاهواء ، وتزمجر الاحقاد ، وتقع الكارثة ،

ويعظم الخطب ، يذكر الجميع اخيرا انهم مسلمون ، ومسلمون لا غير ، فاذا ذكر الاسلام يحل السلام محل الحرب ، والوئام مكان الخصام ، وينادي المنادي ان حي على كلمة سواء ، تجمع الشمل ، وترتق الخرق ، وتأسو الجراح . شهد التاريخ مرارا على ما للاسلام من تأثير بليغ في نفوس المغاربة ، فهو روح وطنيتهم ، وعمدة زعاماتهم ، ومحور بطولاتهم ، واس مجتمعهم، باسم الاسلام كونوا الدول واسسوا الحكومات ، وحملوا راية الجهاد ، وكافحوا الاستعمار ، وحرروا الوطن ، وقاوموا الاباطيل ، وردوا كيد الغادر ، وحملة المغير ، طيلة عصور المغرب الاسلامي .

وكما توحد المغاربة بالاسلام والقرءان في القديم ، فهم يتوحدون بهما في الحديث ، وفي المستقبل كذلك ، ولعل حاجة المغاربة الى تقوية هذه الرابطة اليوم ، لا تقل عن حاجتهم اليها في اي وقت مضى . لاننا نعيش في عصر يعج بمختلف المذاهب والاراء والفلسفات ، منها البناء ومنها الهدم ، وبما ان الهدم اسهل من البناء ، فقد لقيت الهدامة منها رواجا كبيرا في كل انحاء العالم ، ونحن ككتلة بشرية تتأثر بمختلف التيارات التي يزدحم بها العصر ، لابد ان يصلنا حظنا منها احببنا أم كرهنا ، خصوصا وان وسائل الطباعة والاذاعة والتلفزة ، قد ضربت الرقم القياسي في سرعة نقل الاخبار العلمية والادبية والسياسية وغيرها .

قد يقول قائل : لماذا هذا الكلام الان ؟ ان الاسلام بخير في جميع الاقطار العربية ، والمسلمون هنا لا يختلفون عنهم هناك ، كلهم مسلمون ، لا يماري في ذلك احد ، وقد يزيد قائلا : ومن يجحد اسلام المغاربة حتى نتصدى للدفاع عن اسلاميتهم وعراقتها في تاريخهم ، ورسوخها في حاضرهم ؟ .

وقد بينت من قبل اني لا اريد بهذا الحديث تزكية المغاربة كمسلمين ، ولا ادعاء ان اسلامهم احسن واقوى ، من اسلام غيرهم ، ولكن الذي اريده والح عليه، هو اننا يجب ان نتخذ من الاسلام والقرءان درعا يقينا شر المذاهب الهدامة التي وجدت لها مرتعا خصبا في بلاد اخرى ، فالحق ان اصعب ما يواجهنا الان ، هو تحويل النظريات والمبادىء الاسلامية الى واقع معاش ، يطبع حياة الاسرة وحياة المجتمع ، وليس معنى هذا ان الواقع الذي نعيشه الان بعيد عن الاسلام من جميع نواحيه ، فللدين تأثير على حياتنا كمسلمين مومنين بالله ورسوله ، والوجدان الديني عندنا بخير ، الا ان الملاحظ هو كون طابع الخرافة ما زال مسيطرا على الاكثرية من المغاربة الذين ما زالت الامية ضاربة اطنابها بينهم ، على حين ان الاقلية المثقفة ثقافة اسلامية تعيش بعيدة عن تلك الاكثرية ، قاصرة جهدها على معاهد الدرس ، غير ملتفتة الى السواد الاعظم الذي يقع فريسة الخرافة ، اللهم الا ما كان من بعض المبادرات الفردية التي لا تكفي في هذا الصدد .

فنحن مقبلون او قل ما يجب ان نكون مقبلين على عدة اشياء : منها تصحيح الاوضاع الاسلامية في بلدنا ، فالكثيرون منا يفهمون الاسلام على غير حقيقته ، ويقعون تحت تأثير الخرافات والاوهام ، فعندما لا يتمكنون من اخذ معلوماتهم الدينية الضرورية من مصدرها الرئيسي ، يتجهون بعقولهم البسيطة الى المشعوذين والدجالين الذين يسيئون الى الاسلام عن عمد وعن غير عمد . والمغربي كمسلم يتصل بالدين اتصالا مباشرا ، ويشعر بحاجته الى اكتساب معلومات عنه في جل نواحي حياته ، ان لم نقل في حياته كلها : في صلاته ، وزكاته ، وصيامه ، وحجه ، ومعاملته لزوجه واولاده ، وابويه واخوته ، وفي حله لمشاكله العائلية والاجتماعية ، وكذا في بيعه وشرائه ، وسائر معاملاته المالية ، فهو مضطر اذن لان يعرف رأى دينه في كل هذا . وحينئذ اما ان يملأ ذهنه بالعلم الحق ان وجد اليه سبيلا ، واما ان يملأه بالخرافات اذا اعوزته الطرق المؤدية الى العلم الصحيح . فلنكن على يقين من انه لا يمكن ان يبقى خالي الذهن فارغ الراس تماما . فهو اذا لم يملأ راسه بالعلم ، عششت فيه الخرافة . والخرافة التي تلبس لبوس الدين مسيطرة على السواد الاعظم من المغاربة .

ومن تلك الامور التي نحن مقبلون عليها نشر العلم الذي هو اقوم سبيل للقضاء على الخرافة واستئصالها من جذورها . والعلم المراد نشره لابد ان يسير في اتجاهين يلتقيان في آخر الشوط . الاتجاه الاول هو اتصال العلماء بالطبقات الشعبية ، لتصحيح افكارها عن الاسلام وحقائقه وحدوده ، وذلك بوضع خطط منظمة تكفل نجاح المهمة ولا تعرضها للفشل . فنحن لحد الان نرى ان التصدي لهذا العمل يوجد اليوم في نطاق ضيق من جهة ، وغالبا ما يوكل لاختيار الافراد ومبادرتهم من جهة اخرى ، وهذا لا ياتي بالنتائج المطلوبة ، لكونه يفتقر الى وضع تخطيط دقيق، يكون من شأنه ان ياتي بالنتائج المرجوة .

ويحتاج هذا العمل الى تخصيص مبالغ مالية لهذا الغرض ، والى تاليف لجان للسهر عليه ، على ان

يختار اعضاؤها من الناس المقتنعين بقيمة هذا العمل الذي يناط بهم ، المؤمنين باهميته وجدواه ونجاحه في آخر الامر ، ثم لابد من التفكير في اختيار العناصر الصالحة لاداء هذه المهمة ، من ذوي الثقافة الاسلامية، وبلادنا غاصة بهم والحمد لله . فاذا تهيأ لنا ان نجد ذوي الاستعداد الحسن للقيام بهذه المهمة ، كان من اللازم ان يمروا بتدريب يستغرق سنة او سنتين ، يكتسبون خلاله قدرة على تبسيط نظريات الاسلام للعامة بطرق جذابة سهلة وميسرة . ومن الضروري حينئذ ان توضع كتب دينية قريبة المنال ، سهلة المأتى ، لتكون في متناول من يظهر استعدادا للقراءة الاولية من عامة الشعب ، اما الابنية التي ينبغي ان تخصص لهذا الغرض ، فاعتقد انها موجودة عندنا ، فهناك المساجد ، وهناك قاعات المحاضرات ، وهناك المدارس التي تفرغ من تلاميذها يومين في الاسبوع ، زيادة على العطل القصيرة وعطلة الصيف الطويلة ، بحيث يمكن شغلها بهذا الامر خلالها .

واما الاتجاه الثاني ، فهو الزيادة في نشر التعليم، **ونحن نذكر لدولتنا العلوية انها جادة في نشر العلم، بين طبقات الامة ، وان عدد الاطفال الذين يلتحقون بمدارس الحكومة يزداد ارتفاعا سنة بعد اخرى ، من الاستقلال الى اليوم ، بالرغم من المصاعب الموجودة في الامكانيات المادية والادبية ، ولكن كم نود ان تقوى هذه الحملة ضد الجهل وتشتد ، لتصبح شغلنا الشاغل في هذه المرحلة من تاريخنا .**

ومن تلك الامور التي نحن مقبلون عليها او يجب ان نكون مقبلين عليها تنقية حياتنا الاجتماعية من الاشياء والمظاهر المنافية مع مبادىء ديننا الحنيف ، ليحل محلها واقع اسلامي تتجند سائر القوى الخيرة العاملة ، للسهر على جعله حقيقة ماثلة للعيان . فالراي عندي الا سبيل الى تكوين واقع اسلامي الا بعد المرور بعملية التنقية . فانت اذا اردت ان تبذر بذورا في تربة، لابد لك من ان تنقيها مما قد يشوبها من طفيليات واشواك واحجار ومواد غير صالحة ، وكذلك الامر فيما يتعلق بالواقع الاجتماعي الذي نعيشه ، لابد من المسارعة الى تنقيته من الموبقات اولا ، قبل الشروع في تشكيل واقع اسلامي صحيح . وهذه التنقية يجب ان تشمل ناحيتين : يجب ان تشمل النفس ، والواقع الاجتماعي . واذا كانت تنقية النفوس عملا صعبا نظرا لتوقفه على ضرب من الشجاعة الادبية الفردية تعتمد على الضمير والعقيدة ، فان تنقية الواقع الاجتماعي ميسورة نسبيا ، نظرا لكونه ملموسا ومشهودا ، وخاضعا للمراقبة والراي العام .

وهذا هو النهج الذي بدا به الاسلام ، وهو النهج الذي يجب ان نبدا به اليوم ، الاسلام وجه عنايته اولا الى تنقية النفس العربية من ادرانها ، والمجتمع العربي من خرافاته واوساخه ، ولذلك كانت سور القرءان المتعلقة بتصحيح المعتقد من اوائل ما نزل من القرءان، فلما رسخت عقيدة التوحيد وانكشفت الخرافة على انها خرافة ، ونسفت قواعد المجتمع الجاهلي ، وازيلت الالغام من طريق الاسلام الواضحة ، وضعت في المدينة اسس المجتمع الاسلامي الجديد ، ليحل محل ذلك المجتمع الجاهلي الزائل . التنقية اولا ، ثم البناء ثانيا. وبغير هذا النهج ، نبقى غير قادرين على تحقيق الفرض المنشـــود .

وعملية تنقية المجتمع من المساوىء المتعارضة مع قواعد الاسلام ، ينبغي الا يقتصر فيها على مقاومة المظاهر غير الخلقية ، فهذا على ما له من قيمة ، ليس من شأنه ان تحقق ما نصبو اليه من حياة اسلامية صحيحة ، التنقية يجب ان تكون من الجذور ، من الاساس ، والاساس هو اساليب التربية المتبعة حتى اليوم ، التربية بمعناها الخاص ومعناها العام ، فأبناؤنا لا يربون في البيوت تربية اسلامية ، ومجتمعنا لا يربي الفرد بعد ان يحتضنه تربية اسلامية ، اللهم ما كان من تربية تقوم على اساس المصادفة اكثر مما تقوم على اساس القصد والتوجيه . والمجتمع يربي الفرد عن طريق الصحف والمجلات وسائر اجهزة الثقافة ووسائل الاعلام ، وكذلك عن طريق القيم السائدة فيه وعن طريق ما يتمسك به من عادات وتقاليد وفنون ومعارف ، وما هو من هذا القبيل . وكل هذه الوسائل التربوية يجب ان يعاد النظر فيها واخذها بما يتلاءم مع وجهة الاسلام ، والا فنحن غير قادرين على تنظيف النفس والمجتمع تنظيفا جذريا .

واذا كان العالم العربي كله يعاني من ازمة القيم ، فنحن ناخذ حظنا من هذه المعاناة ، ولكنه حظ لم يصل الى خطورة الحظوظ التي اخذت منها بلاد عربية اخرى، فصحافتنا الادبية نظيفة ، خالية من الافكار الملحدة التي ظهرت في بعض مجلات الشرق العربي وصحفه ، والكتب المنشورة في بلادنا خالية من الزندقة الفكرية ، على حين أن مطابع الشرق تطلع علينا بين حين وآخر بكتب كلها زندقة والحاد . ويمكن للباحث ان يطلع على كتاب (ثورة على الفكر العربي المعاصر) لمؤلفه :

محيي الدين محمد ، كنموذج لهذا النوع من الكتب الهدامة المقرضة .

ولكن بالرغم من ان حظنا من ذلك يسير ، فأزمة القيم لا تخفى على الباحث في اوساط الشباب المغربي، فلئن لم يكن لها من وجود في الصحافة الادبية المغربية ، فلأن هذه توجد في ايدي امينة مخلصة تقف حاجزا دون الافكار المنافية للاسلام ، ان تتسرب الى حياتنا الابية ، وان كان الامر قد يجوز عليها احيانا . فعندما تغشى اوساط الشباب وتبادلهم الراي وتراقب سلوكهم في الحياة الاجتماعية ، فانك تلاحظ ازمة القيم التي يتخبطون فيها ، ومما جعل من الاراء المسيطرة عليهم ازمة ، كونهم يعيشون داخل مجتمع اسلامي متمسك باسلاميته ، وينتمون لدولة مسلمة ينص دستورها على انها دولة مسلمة ، على حين ان افكارهم تتنافى مع التزاماتهم كمواطنين مسلمين في وطن مسلم ودولة مسلمة .

هذا الشباب لا يمكن اصلاحه بالنصح والارشاد، او بالحيلولة بينه وبين الثقافات الآتية من هنا وهناك ، او بتقريعه ولومه ، وانما ، وانما يكون الاصلاح بوضعه في اطار حياة اسلامية يحميها القانون الاسلامي والرأي العام المسلم ، وانا ضامن لك انه بعد مرور بضع عقود من السنين سيجد الجيل المغربي المقبل نفسه اسلاميا لا يعرف غير القرءان والاسلام له هدفا وغاية .

فاس : عبد العلي الوزاني

همم الملوك ...

همم الملوك اذا ارادوا ذكرها
من بعدهم فبالسن البنيان

ان البناء اذا تقادم عهده
اضحى يدل على عظيم الشان



لعل من اهم الامور التي تميز الدولة العلوية عن بقية الدول التي تعاقبت على الحكم في المغرب الاقصى ، واجل الخصائص التي انفردت بها دون غيرها من الامارات والممالك ، خدمتها للعلم والمعرفة بصفة عامة ، واشتغالها بالثقافة الاسلامية ، بصفة خاصة ، واقبالها على علوم القرآن والحديث بوجه أخص . فقد تمنيت هذه الدولة العظيمة بملوك أعلام ، وأمراء جهابذة في البيان والعرفان كما زخرت بالمآثر الخالدة من معاهد ومدارس ومساجد وزوايا كانت عنوان اهتمامات السلاطين السابقين والدليل على العناية التي يوليها ملوك الدولة العلوية وامراؤها في سبيل الدعوة الى الله وترغيب الرعايا في الاشتغال بالتعليم والتحصيل .

واذا كانت هذه الحقيقة بعيدة عن اذهان بعض المتطفلين على ميدان العلم والمعرفة ، وبعض أنصاف المثقفين الذين لم يستطيعوا اكمال تكوينهم وتحصين معلوماتهم وتركيز معارفهم فانها — والحمد لله — لا تغيب عن العلماء المتضلعين بالثقافة المتينة الحق والمتطلعين للمزيد من البحث والتنقيب . ومما لا ريب فيه ان افتتاح الخزانة الملكية الذي ينتظر تحقيقه في الايام القريبة المقبلة سيكون مناسبة سانحة لهؤلاء الذين يرغبون في الاطلاع على هذه الحقيقة لانه سيضع امامهم البراهين القاطعة والحجج الساطعة على الاهتمام الذي كان يحظى به العلم من طرف ملوك الدولة العلوية خلال القرون الماضية واثناء العقود المتأخرة .

فمن سلطان هائم بالعلم ، شغوف برجاله كالمولى اسماعيل الذي لم تشغله الفتوحات المظفرة عن الاجتماع بالعلماء واستدعائهم لحضرته والذي حدثنا التاريخ عن الاعتناء الفائق الذي كان يخص به علامة المغرب اليوسي حيث قربه سنة وتابع مناظرته لعلماء فاس وغيرهم ، الى مليك عالم يؤلف بنفسه ويشتغل بالبحث والتدريس ويتطلع الى قضاء اوقاته في مناظرة العلماء ومطالعة الفتاوي وتحديد المفاهيم كالمولى محمد بن عبد الله الذي خلف لنا آثارا علمية جليلة اعظمها كتاب « الفتوحات الالاهية في أحاديث خير البرية » الذي تم طبعه بالمطبعة الملكية في عهد جلالة الملك الراحل محمد الخامس ، والمولى سليمان الذي كان شديد الاهتمام بشؤون الدين يعلي مناره ، ويثبت اركانه والذي ترك تآليف قيمة عن « المواهب » وغيرها من الكتب الاسلامية والذي حفزته محبته للسنة وتقديره لها الى الاعتقاد الجازم ببعض مظاهر الحركة الوهابية الى قائد ثابت جعل همه في تقريب وسائل العلم والمعرفة الى الناس وحبب اليهم العلوم على اختلاف مشاربها وطرقها وهيأ الاسباب للعلماء لاخراج مؤلفاتهم من الظلام الدامس الى حيز الوجود كالمولى محمد بن عبد الرحمان الذي يرجع له الفضل في ادخال آلة الطباعة الى بلادنا والذي كان السباق في ميدان التفتح الفكري والاستفادة من تجارب الشعوب الاخرى .

ويسجل التاريخ بمداد الفخر لهذا الملك العظيم عنايته بكل الوسائل التي ساعد نشر العلم ، فقد بلغه،

حسب بعض المؤرخين ، ان السيد ابن الطيب الروداني قد ادخل معه من البلاد الشرقية مطبعة تيسر طرق النشر وتسهل اخراج الكتب من نطاق المخطوطات الى ميدان المطبوعات ، وقد راى المولى محمد بن عبد الرحمن ان هذه الآلة ستكون فائدتها عظيمة وسترجع على الثقافة المغربية بالخير العميم بل دفعه شغفه بالعلم وهيامه بالمعرفة الى حيازة هذه المطبعة وجعلها تحت تصرفه ظنا منه انها اذا كانت تحت سلطة المخزن ستكون اكثر نفعا من بقائها تحت يد احد المواطنين يتصرف فيها كيف يشاء .

وقد اخذت هذه المطبعة تعمل عملها بادىء الامر في مكناس ثم تحولت الى فاس كما نص على ذلك اخونا العلامة المؤرخ الثبت سيدي محمد المنوني في الدراسة المتينة التي حررها في هذا الموضوع ، وكما اشار الى ذلك شيخنا العلامة محمد المختار السوسي في موسوعته المعروفة باسم « المعسول » .

ومن هؤلاء الملوك العلماء العاملين تقف امام انظارنا شخصية فذة هي شخصية السلطان المولى عبد الحفيظ طيب الله ثراه . فقد وقف بنفسه على طبع مؤلفات عديدة كان من الممكن ان تعبث بها يد الحدثان وتقضي عليها عوادي الزمان ولكن هذا الملك العالم تداركها بفضله وتولى حفظها من الضياع واخراجها الى عالم الوجود . فلمن يرجع الفضل في اخراج كتاب « احكام القرآن » لابن العربي ؟ ومن يا ترى زين خزائن العلماء « بالبحر المحيط» لابي حيان و « مشارق الانوار » ذلكم المؤلف الجليل الذي وضعه القاضي عياض والذي كان اخواننا في المشرق العربي والعالم باسره يتطلعون الى اقتنائه والاستفادة من درره ونفائسه حتى قال فيه بعضهم :

مشارق أنوار تبدت بمغرب

ومن عجب كون المشارق بالغرب

و « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » لابن رشد وهو الكتاب القيم الذي كان كبار الفقهاء والباحثين يتلهفون شوقا للحصول عليه والارتواء من حوض منافعه والاغتراف من معين معارفه ؟ ومن نظم لنا « مغني اللبيب » لابن هشام في رجز لطيف العبارة قوي الاشارة تلقفه علماء آخرون لشرحه حتى يعم نفعه ، وتحصل الفائدة للجميع ؟ انها اعمال ناطقة بعظمة مولانا عبد الحفيظ العلمية ومعربة عن مدى اهتمامه بالثقافة والفكر فقد خلف هذا الملك العظيم اثارا جليلة تتحدث عن مكانته وتخلد عهد حكمه ، كما ترك علوما لا تحصى ووقى من التلف والتلاشي مؤلفات جليلة لا تستقصى افلا يحق للعلوم الاسلامية ان تفخر بملك عالم ينظم « الشمائل المحمدية » « والجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع » ويؤلف « ياقوتة الحكام » في مسائل القضاء والاحكام » افلا يجدر بعلوم القرآن والحديث ان تتيه بسلطان هائم بانواعها المشرقة وفنونها الوضاءة يحضر مجالس التفسير ويترأس دروس الحديث ويناقش العلماء بحضرته ويناظرهم ويذكي فيهم جذوة البحث والتنقيب ؟ فالله المسؤول ان يجازيه على ما قدم من جليل الاعمال وبديع الفعال .

اما عن تطلع هؤلاء الملوك الى العلم ورغبتهم في ان تكون امتهم تسير في ركب الحضارة والرقي وخوفهم من ان تتردى بلادهم في هاوية الانحطاط والحضيض فهو مما لا يخفى على احد . فقد تعرضنا سابقا الى اهتمام المولى محمد بن عبد الرحمن بآلة الطباعة والاستعداد الذي ابداه للانفاق عليها لانه كان يعلم حق العلم ان الطباعة تعد بمثابة اللبنة الاولى لكل هيكل علمي يراد بناؤه وكل رقي فكري يرام الوصول اليه .

ويحدثنا التاريخ في هذا الشأن عن ملك عظيم آخر كان يتمنى ان يرتفع مستوى امته ويعمل بجد واجتهاد لاخراجها من العزلة والانكماش الذين استعذبتهما امته واستطابت ظلالهما دولته ، فقام يشيد بنيان العلم من الاساس ويبني دعائم المعرفة في بلاده على غرار ما كان يراه عند الامم والشعوب الاخرى .

وما هذا الملك الهمام الا المولى الحسن الاول الذي تاقت نفسه الى العلم والمعرفة ، ورام ان يجعل من امته خير امة في هذا الميدان ، كان المولى الحسن الاول بعيد النظر مدركا لاسباب التطور والنمو ، خبيرا باسرار التقدم فقد اراد أن يبدأ الاصلاح من الاساس الاول بدلا من الشروع فيه من اعلى القمم لانه كان يرى ان امته لن تستطيع ان تساير ركب الحضارة الجديدة الا اذا غيرت اساليبحياتها ، كما كان يدرك انه لن يتاتى لمملكته الانضمام في النهضة الحديثة الا اذا حورت عقليتها وما بنفسها غير انه كان يوقن حق اليقين ان لا سبيل الى ذلك الا اذا اخذ المواطن المغربي باسباب هذه الحضارة وتشربها من ينابيعها ، فاخذ — قدس الله سره — يؤسس بعثات الطلبة ، ويوجهها الى الدول المتقدمة لترتوي من معين العلوم الجديدة ، وتغترف من ينابيع المدنية القائمة في الركن المتحضر من العالم ، وتكيل من الثقافة العصرية بالمكيال الاوفى . وهكذا

توجهت البعثات المغربية الى أوربا فى نفس الوقت الذي وصلت فيها الى هذا الجزء من الدنيا الوفود الطلابية اليابانية .

وقد أراد الله سبحانه ، لحكمة لا يعلمها الا هو، أن تتزود هذه البعثات بالعلوم العصرية الضرورية وان ترجع الى بلادها راضية مرضية لتجد المولى الحسن الاول قد غادر هذه الدنيا الفانية والتحق بالدار الباقية وتجد ان الايادي الاجنبية اخذت تعيث فسادا فى هذه الديار وتعمل جهد المستطاع حتى تظل بلادنا تغط فى نومها الثقيل وتبقى جامدة تجتر التقاليد الفاسدة البالية والعادات المضرة الغاوية حتى يبقى المجال مفتوحا لعبثها وكيدها لتصل الى القبض على زمام الامور فيها تحت شعار التقدم والحضارة واحتكار السلطات وابعاد ابناء البلاد عن مقاليد الحكم . وهكذا تحقق للمستعمرين الاولين ما ارادوا . فقد استولوا على البلاد وطردوا العناصر الصالحة ، وجعلوا مكانها بعض شذاذ الآفاق الذين كان همهم الاول والاخير أن لا تفيق هذه الامة من سباتها ولا تستشعر خطر الغزو الاجنبي والاحتلال الاوربي حتى يكون مكرهم قد تحقق وحديثهم اتقنت وحتى يصير من الصعب على بلادنا أن تنهض من الكبوة وتطلع من الهاوية .

لقد رجعت هذه البعثات من أوربا مزودة باحداث العلوم كما عادت الى وطنها وهي متحمسة للاضطلاع بالمهمة النبيلة التي طوقها بها الملك الحسن الاول ولكن هذه البعثات لم تجد لا فى الحكام ولا فى الاوساط الاجتماعية من يهتم بها ويفسح لها المجال لمزاولة خبرتها ونشاطها . فانقلب حماسها يأسا واستعدادها خمولا وتحفزها خيبة. وهكذا رضيت من الغنيمة بالاياب وحمدت الله على هذا المنقلب .ولعل من ضروب التحسر والاسف ان يصبح الطبيب من هؤلاء العلماء الذين تسلحوا بالعلم الحديث خبازا او جزارا أو يمسي القائد العسكري الذي اطلع اثناء دراسته على خبايا الستراتيجية الحربية نجارا أو تاجرا رغم انه لم يكن مؤهلا للقيام بهذه الصناعة وهذه المهنة ؛ ولكن عوامل التأخر ومكايد الخصوم تفعل بالدولة والاشخاص ما تريد وتسخرهم كيف تشاء وتحول بينهم وبين ما يصبون اليه

وكيف لا يحصل مثل هذا الوعيد وقد كتب القدر على أمتنا أن تبتلى بالاستعمار وتصاب بالانكسار والخسران .

وقد شاء الله ان لا تدوم بلادنا فى هذه الكبوة اذ سرعان ما سرى الوعي الوطني فى النفوس فتحركت الهمم واستيقظت المشاعر فتغير مجرى الحياة فى بلادنا ، وانطلقت الامة المغربية تستعيد أمجادها ، وتحيي ما درس من آثارها وتخطو خطوات موفقة فى سبيل اصلاح احوالها ورفع مستواها الثقافي والاجتماعي .

وقد كانت هذه الانطلاقة المباركة ثمرة جهاد ملك علوي صالح هو سيدي محمد بن يوسف الذي قام بتشييد معالم الدين ويؤسس المعاهد والمدارس ويسعى لاحياء كل غابر من تراثنا وكل دارس من رسوم حضارتنا . وهكذا لم تمض على المملكة المغربية فترة من الزمن لم تتجاوز ربع قرن حتى أخذت أمتنا تستعيد مكانتها وتضع خطط الاصلاح والتقدم بايدي ابنائها. واذا كان الجزء الاكبر من عهد جلالة الملك الراحل محمد الخامس قد مضى فى محاربة المستعمرين ومقاومة الاحتلال الاجنبي ؛ فان هذا الملك المقاوم استطاع ان يوحد صفوف الامة وينفخ فيها روح المقاومة ويذكي فى نفوس ابنائها الرغبة فى العلم والمعرفة ادراكا من جلالته بأن هذه الامة لن تستطيع استرجاع مجدها وعظمتها الا اذا اقبلت على العلم ، وتسلحت بسلاح المعرفة الحديثة والثقافة العصرية .

وقد عرفت علوم القرآن والحديث ، فى عهده ، ازدهارا منقطع النظير لانها وجدت فيه المومن الصالح الذي يتفقد معاهدها بالتجديد ويتعهد معالم الدين بالاصلاح الضروري لنهضتها . فبالاضافة الى المساجد التي لا تحصى ولا تعد والتي شيدت بفضل عزيمته القوية وحزمه المكين والمعاهد الدينية التي لا حصر لها ولا عد عمل جلالته على اصلاح جامعة القرويين ، موئل الثقافة الاسلامية فى هذه البلاد ، وحصنها الحصين ، فقد أسس لها لها مجلسا علميا يضم خيرة العلماء وجعل على راسها مديرا حازما جمع بين الثقافة الاسلامية والتكوين العصري حتى يسهر على ادخال التغييرات المناسبة على برامجها وطرق التدريس ، وحتى تتمكن هذه الجامعة العتيدة من النهوض من كبوة الخمول والجمود التي كانت تتردى فيها وحتى تصير مثال الجامعات الاسلامية الموجودة فى كبريات العواصم بالعالم الاسلامي ، وحتى يقبل عليها الطلبة المسلمون من جميع الاصقاع كما كان شأنها فى الماضي . ولقد عبر جلالته بنفسه عن هذه الرغبة التي كانت تختلج فى اعماقه عندما حضر الى فاس لرياسة الحفلات التي اقيمت بمناسبة مرور احد عشر قرنا على تأسيسها وقد ساعدني القدر فحضرت هذه الحفلات وشاركت بالقاء قصيدة فى هذه الذكرى فاستمعت الى

جلالته يلح على تحوير برنامج هذه الجامعة وادخال مواد جديدة في حصص التدريس بها حتى تجمع بين طابع الاصالة الذي ظلت تحافظ عليه طيلة احد عشر قرنا وبين روح التجديد التي يتعين ان تنفخ فيها حتى تستطيع ان تخرج علماء واعين لمسؤولياتهم الاجتماعية وتبعاتهم الوطنية .

وكان جلالة محمد الخامس يسهر بنفسه على تربيه الشعب تربية دينية كما كان يترأس بنفسه الحفلات التي تقام بمناسبة الاعياد الاسلامية الكبرى والليالي العظيمة الخالدة . فقد كان جلالته يحيي ليلة القدر وليلة المولد النبوي الكريم كما يحضر صلاة الجمعة في موكب رسمي تهفو لمنظره قلوب المومنين وتزهو بعظمته وجلاله نفوس المواطنين ، وقد بلغ من اعتناء جلالته بالدين وحرصه على اعطاء المثل الاعلى لشعبه ان كان يترأس بنفسه صلاة الجمعة ويخطب في جماهير المسلمين ويؤم بهم تقديرا منه للمنصب السامي الذي يجعل منه اميرا للمؤمنين وراعيا للملة والدين .

ولعل من واجب الاعتراف بالواقع ان نؤكد ان دور جلالة محمد الخامس في هذا الميدان لم يكن بالسهل اليسير لانه كان يعيش في ظرف كثر فيه الازدراء بالدين وقويت فيه شوكة الملحدين والمرتدين كما كان يواجه عصرا اراد الماديون ان لا يبقى فيه اثرا لمظاهر الروح، وحاولوا ، عبثا ، ان يكون السلطان فيه للحرية الدينية التي كانت ترتدي لباس الاباحية والتي كان يتستر وراءها بعض الضالين المضلين .

ولقد غادر محمد الخامس هذا العالم مطمئن البال ، هادىء النفس ورجع الى ربه راضيا مرضيا لانه خلف وراءه شعبا مومنا ، وراعيا امينا ، ورائدا صادقا هو جلالة الحسن الثاني الذي جمع ، بفضل التكوين الذي وفره له والده ، بين الثقافة الاسلامية الاصيلة والثقافة العصرية الحديثة والذي استطاع ان يوافق ضمن اهتماماته ومشاغله بين الدين والدنيا في توازن محكم وتعادل محمود لم يحقق فيه اي جانب الغلبة على الآخر .

منذ تربع صاحب الجلالة والمهابة الحسن الثاني ايده الله ونصره على عرش اسلافه المنعمين اخذ يهتم بشؤون الدين ، وينكب على دراسة المشاريع التي يمكن بواسطتها تعزيز شأن الاسلام وتقوية جانبه وخدمة علومه .

وقد خرجت هذه المشاريع البناءة الى الوجود فكانت صورة لمشاغل جلالته وعنايته الفائقة بالدين ورجاله ، فقد فكر ، اولا ، في احياء الدروس الحديثية التي كانت تنظم في عهد اجداده المقدسين والتي لم يستطع محمد الخامس احياءها في عهد الاستقلال نظرا للاهتمامات الكبرى التي كانت تستحوذ عليه وتسيطر على فكره . وقد لعبت هذه الدروس دورا كبيرا في توعية المواطنين الذين توصلوا بفضلها ، الى ادراك الافاق التي تتوفر عليها الثقافة الاسلامية والحيزالكبير الذي يشغله التفكير في الاسلام والعلوم المتنوعة التي يزخر بها القرآن الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد نفخت هذه الدروس في روح المواطنين بصفة عامة والمثقفين منهم ، بصفة خاصة ، الاهتمام بالدراسات الاسلامية والاقبال عليها . وقد ساعد على ذلك افتتاح دار الحديث الحسنية التي ما اعتقد انه كان في امكان ان تحصل على النجاح الذي لقيته من توافد الطلبة عليها وحسن استعداد العلماء للتدريس فيها لولا ما ظهر من قيمة العلوم الاسلامية ومن اكبار جلالة الملك للمتفضلين فيها . وقد نال القرآن من جلالة الملك الاهتمام اللائق به كمورد اولي للثقافة الاسلامية فتاسست مدارس للمقرئين كانت جوهرتها وزينتها مدرسة القراءات السبع التي اسست بشمال المملكة كما نظمت مباراة في التجويد كان لها احسن الوقع في نفوس المواطنين وان كانت تستدعي ملاحظات مختلفة تتعلق بطريقة تنظيمها وتمييز المشرفين عليها . وشمل الاهتمام بعلوم الدين طبع عدد كبير من المؤلفات الاسلامية الجليلة كترتيب المدارك للقاضي عياض والتمهيد لابن عبد البر وغيرها من المخطوطات النفيسة التي كانت تزخر بها الخزانات في المغرب والخزانة الملكية العامرة . وقد توجت هذه المنشورات باصدار مصحف الحسن الثاني الذي جاء ليسد فراغا كبيرا كان يشعر به كل راغب في التبرك بتلاوة القرآن الكريم والتفكير في الذكر الحكيم .

ولعل اعظم فتح عرفه الاسلام في هذا القرن هو القرار الذي اتخذه صاحب الجلالة بفرض الصلاة في المعاهد والمدارس واجبار الطلبة والتلاميذ واساتذتهم ومربيهم على اداء هذا الركن العظيم في الاوقات المحدودة واقامته على الوجه الاكمل . وان املنا هو ان يبقى هذا الامر المولوي السامي ساري المفعول وان تظل وزارة التربية الوطنية تسهر على تطبيقه حتى لا يغفل عنه مع مر الايام وكر الاعوام .

وان من دواعي الفخر ان يتصدى جلالة الملك وهو المثقف الواعي لمظاهر الحضارة المقدر لمختلف

جوانبها المادية والمعنوية ، لتناول الحديث عن الاسلام فى كل مناسبة ومحاولة تقريبه الى الافهام وغزو قلوب الزائغين المترددين حتى يعودوا الى حمى الديـــن ويفزعوا الى ربهم مومنين مسلمين فقد اعطى جلالته بذلك المثل حتى يقبل العلماء على اداء رسالة الدعوة بكل طمانينة وحتى لا يظل المثقفون ثقافة اسلاميـــة وجلين خائفين من ازدراء المنكرين وتردد الملحدين .

وعلى كل حال فقد واصل جلالة الملك ، حفظه الله العمل الذي كان يقوم به اجداده المكرمون فى سبيل نشر الدين وخدمة العلوم الاسلامية مستعملا فى ذلك طاقته الفكرية الهائلة ومستغلا مواهبه المتعـــددة لتعزيز جانب الثقافة الاسلامية فى هذه الديار ضاربا بذلك خير المثل لجميع الذين تقع على عاتقهم تبعـة الدعوة لهذا الدين وموافقا فى جميع خطواته السديدة، بين جانب الثقافة الاسلامية الاصيلة وجانب الثقافـة الحديثة العصرية ومؤكدا فى كل مناسبة بان هـــذا الجانب لا يقل اهمية عن ذاك وان خيـر الافـــراد والشعوب من استطاع ان يمزج بينها مزجا محكما لا ضرر فيه ولا ضرار .

وخلاصة القول فان ملوك الدولة العلوية الذين تعاقبوا على الحكم فى هذه البلاد لم يالوا جهدا فى خدمة العلوم الاسلامية كل حسب استطاعته ووفق طاقته . واذا كان البعض منهم قد اكتفى بتشييد المساجـــد والمعاهد فان الآخرين وضعوا خير المشاريع واجلها لنشر هذه العلوم كما وجد من بينهم من رمى بنفسه فى هذه المعركة معتمدا على ثقافته للكتابة والتاليـــف والتدريس ومن وقف نفسه على طبع هذه المؤلفـات وتيسير وسائل الحصول عليها على العلماء والطلبـة وذلك اضعف الايمان .

الرباط : عبد اللطيف احمد خالص





بمناسبة حلول عيد العرش السعيد اتقدم بهذه القصيدة مشاركة متواضعة في هذه الذكرى المجيدة .

تاه الزمان بعرشك المزدان ... وتشرفت بك وحدة الاوطان

تاه الزمان بعيد عرشك زاهيا ... يمشي الهوينا مشية النشوان

فقد اكتست حلل البهاء بلادنا ... وتبرجت بجمالها المزدان

وبدت عواصمنا عرائس تزدهي ... بحليها وبحسنها الفتان

في كل قلب فرحة ومسرة ... وبكل بيت حفلة وتهاني

هذي جموع الشعب ضاق بها الفضا ... من كل صوب اقبلت ومكان

قد اعربت عن حبها وولائها ... للعرش والحسن العظيم الثاني

عرش يفيض على البلاد جنوبها ... وشمالها باليمن والاحسان

شرفت بلاد المغرب الاقصى به ... وتنعمت في منعة وامان

عرش تفيأت البلاد ظلاله ... فحنا عليها وهو نعم الحاني

عرش وشعب ساميان الى العلى ... في صالح الاوطان ملتحمان

ملك تفانى فى مصالح شعبه ... ففداه شعب مخلص متفان

ملك عظيم الشأن سام مجده ... يسمو عن الاشباه والاقران

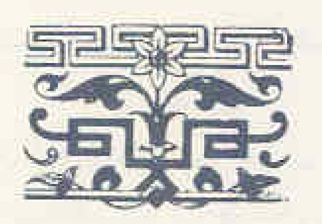
ملك تفرد بالمحامد ماله ... في فعله وصفاته من ثان

العرب تشهد والاعاجم انه ... ملك الزمان خليفة الرحمان

الشعب يشهد والبلاد بفضله — وهما لعمري عندنا عدلان
اعلى المدارس والمساجد رافعا — اعلامها مرصوصة الاركان
قد حرر الاوطان من ظلم العدا — قهرا وحصنها من العدوان
وقضى على المستعمرين محققا — نصرا تقر بمثله العينان
واقام جيشا في البلاد بمثله — تعلو وتفخر امة العربان
امعلم الاجيال استاذ الورى — حسن البلاد محرر الاوطان
شمخت بك الجوزاء اذ جاوزتها — ولانتما في الافق جوزاوان
وتغنت العلياء في آفاقها — بثنائك الممتد في البلدان
واعتز عصرك في العصور مساميا — ومفاخرا بك سائر الازمان
للمغرب الاقصى بعرشك عزة — وله بك الشرف العظيم الثان
هذي مدارسنا تشع بنورها — مملوءة بالشيب والشبان
تجلو الظلام بنورها وبهديها — علما وتشفي غلة الظمآن
انت الحكيم الفيلسوف المرشد الد — اعي المعلم ناشر العرفان
في الاشتراكيين نهجك واضح — من حاد عنه هوى الى الخسران
تغني الفقير ولست تفقر مثريا — هيهات بل تغنيهما في آن
ذو الفقر محظوظ لديك وذو الغنى — اخوان في جدواك مشتركان
المغرب الاقصى سيصبح جنة — في كل شبر منه عشر جنان
مليون هكتار تشكل آية — من معجزات العاهل السلطان
هذي المشاريع العديدة انها — خير الشهود واصدق البرهان
هذي السدود الشم قد اسستها — نعم المؤسس انت نعم الباني
غمرت مواهبك الخلائق نعمة — وهمت على الاوطان منك يدان
فجرت خيرات البلاد فامطرت — بنعيمها المتصبب الهتان
وهمت فيوضك في البلاد تعمها — وطغت على الاوداء والكثبان
وبلغت حدا في المكارم قاصيا — ينحط فكري دونه ولساني
الدهر دونك همة وعزيمة — فاحكم فانك قدوة الاكوان
جلت صفاتك ان تحيط بكنهها — كلمات مدح رصعت ومعان
لم الف تعبيرا بمدحك وافيا — لاقوله فشرعت في الهذيان
الصمت ابلغ في مديحك سيدي — والقول عن تعداد مدحك وان
انت الذي ان قلت حيرت الورى — ببلاغة واخذتهم ببيان
واذا سكت شغلت فكرك باحثا — في الجد في التشييد في البنيان

واذا سلكت نهج محمد	واذا نطقت نطقت بالقرآن
شنقيط شيعتك الابية انها	تسعى لوحدة هذه الاوطان
انا لنقسم باسمك الحسن الذي	هو في الاسامي جامع الايمان
لنوحدن شمالنا وجنوبنا	بكفاحنا وبقوة الايمان
ستعيد وحدتنا وماضي مجدنا	في ظل عرشك وهو خير ضمان

لشاعر الوحدة محمد الكبير العلوي





انهـا فرحـة عيـد الحسن الثانـي العظيـم
لوحـة تستوقـف التاريـخ بالطبـع الكريـم
ها هنـا نسعى جميعـا في صراط مستقيـم
مجـدنـا وهـو جديـد وطد المجـد القديـم
كـم بنينا من سـدود تضمن الخيـر العميـم
وبعثنـا مـن نهـوض ونشـرنـا مـن علـوم
هـذه بـادرة العليـاء والمجـد الصميـم
نحـن للدنيـا وللديـن على الحـق تقـوم
نحـن بالقـرءان فـي الكـون شمـوس ونجـوم
ولنا في الضـاد عـز ، اذ بهـا العـز يـدوم

* * *

في ظـلال الاطلس الحـر جنـان وعـرائـس
وعيـون صـافيـات ، وجمـال متجانـس
فـي ظـلال الاطلس الفـض كنـوز ونفائـس
قـد روى التاريخ حلـوا في المغانـي والمجالس
ومضى الدهـر ومـا زال علينـا خير حـارس
وسمـا في كبـريـاء ، يخذل الخصم المشاكس
ايهـا الاطلس يا نبعـا من النـور المؤانـس
انـت احـرى بـلاد ، ليس فيهـا متقاعـس
بـل اسود حرسوا العرش ، وفاقوا كـل فـارس
في ظلال الحسن الثاني ، وفي امجاد (خامـس)

الرباط ــ محمد بن محمد العلمي



جدير بفعلك ان يشكرا   وحق لشعبك ان يفخرا

اذا ما صنعت لنا شرفا   تشيد في اثره مفخرا

وان انت اكسبتنا وطرا   تضيف الى مثله وطرا

تريد لنا ان ندوس السها   وان نطا الكوكب النيرا

وترجو لنا الصدر فى زمن   يعاف التأخر والقهقرى

فجندت امتنا للنضال   واكسبت هذا الحمى مفخرا

وحققت آمالنا في العلى   واجليت عن ارضنا العسكرا

يتيه بك الدهر اذ علقت   يمينك في جيده الجوهرا

وتاجك انواره سطعت   تنير القلوب وتهدي الورى

وعرشك وحدنا للعلى   وآخى العروبة والبربرا

وملكك في ظله سعدت!   بلاد الاشاوس اسد الشرى

وعصرك بالفن مزدهر   وفي عهدك العلم قد اثمرا

واعمالك الغر قد عظمت   وفاقت من العدد الاكبرا

فليست تحد منافعها   وليست تعد ولن تحصرا

احبك شعب يريد العلى   وبايع في شخصك الخيرا

وبايع فيك الجدير الذي   يقود المواطن والعسكرا

سهرت على أمة اخلصت   وغيرك من يستلذ الكرى

راينا المناكر قد غيرت   وكنت الذي غير المنكرا

وحاربت من قد أسا للحمى — والقمت من قد بغى حجرا
هزمت برايك من سولت — له النفس بالغدر نهب الثرى
وقلت لهم ارضنا تفتدى — وليست تباع ولا تشترى
بلاد اذا ما دعت للنضا — ل نريق على تربها الاحمرا
ونسترخص الروح في عزها — وما عرفت اسدها القهقرى
نسير بها دائما للامام — ونرفعها فوق هام الذرى
لقد اورثتنا الاصول الدفاع — وعلمنا المجد ان ننفرا
غرست لنا صالحات الامور — وها هو ذا الغرس قد اثمرا
وعلمتنا نفع مغربنا — وان نتقن العمل المثمرا
وحسبك أن قد ملكت القلوب — فكنت لها السمع والبصرا
واطلنا الحر مبتهج — يباهي بك الشمس والقمرا
وتهتف باسمك صحراؤنا — وتدعو لك الله ان ينصرا
رأتك فذكرتها حسنا — من الشرق جاء ينير القرى
يشد الرحال لخير البلاد — ويهجر ينبوعه الاطهرا
فابصرت الفرع في أوجه — يشابه في مجده العنصرا
وهبت تقبل من قد اتى — يحقق للامة الوطرا
وارقصها ان تراك بها — تدشن في ارضها مفخرا
فاضحت تزغرد من طرب — وحركت الدف والمزهرا
تحيي الذي زارها منقذا — يحول فيها الحصى جوهرا
وعدت فانجزت ما قد وعدت — واحييت بالعزم ما اندثرا
وقدمت للشعب معجزة — تكون من اصغر اكبرا
وخيرته بين كأس تراق — وسد عظيم يروي الثرى
وأرشدته فاستبان الصواب — وضحى له الشاي والسكرا
اذا ما قضيت له وطرا — تحقق من بعده وطرا
اردت لنا السد فانطلقت — سواعدنا تحمل الحجرا
وجئت تدشن ما قد وهبت — لنجني من فعلك الثمرا
اتيت لصحرائنا منقذا — تصير قاحلها اخضرا
وتجعل من أرضها جنة — تروق البصائر والمبصرا
تمر بها نفحات العبير — تناغي العصافير والجؤذرا
اذا كنت يا (زيز) فيما مضى — تكن الخراب وتمحو القرى

فقد جاءك الحسن المرتضى ... ليجعل من مائك الكوثرا

يحق لمن كان ذا فعله ... لموطنه الحر ان شكرا

فشكرا ابا امة برزت ... تمتع في وجهك النظرا

وتسأل رب السما ان يطيـ ... ـل لعاهلها المصلح العمرا

وان يحفظ الله اسرته ... لخير البلاد ونفع الورى

ويحفظ للعرش شبل الحمى ... وليا لعهدك يرقى الذرى

فاس : محمد بن علي العلوي



العرش والتنزيل فى احياء — قم خاشعا للذكر فى الارجاء

أعظم بذكرى العيد والقرآن — رمزان من نور ومن ضياء

سبحان من بالدين والعرفان — أعلى لواء العرش فى العلياء

حق الثنا يا رب للايات — العيد والذكرى والف دعاء

نور الهدى عم الورى ببهائه — فى جلال يوم حافل بعطاء

عمت بشائره الفضا مذ أشرقت — هذى الملائك والملا فى لقاء

هبوا لبعث الدين والفرقان — ذا العيد بالذكر وبالاسماء

الدين والدنيا لنا صنوان — فكذا شعار الملة السمحاء

لله يا ذكرى ويا عيد فكم — أيامنا سعد وكم من رجاء

نور على نور وعيد مشرق — يهدى الالاه بنوره المترائى

من عهد طه محمد خير الورى — شرفا وآله زمرة الفضلاء

والوحى بالتنزيل ما زخرت به — آياته من رحمة وشفاء

ما أشرقت شمس علينا ولالات — نارا ونورا مثل ذا الضياء !

مولاى أقلبت البشائر والمنى — فى جلال عيد ساطع لالاء

أشرقت والعرش العظيم هلالـــه ... بدر ينير كواكبـــا فى فضــــاء
بالعيد فاهنأ أنت للعرشـــ عيـــده ... والعرش حصن فضيلة وبقــــاء
ما زلت بالاعياد عـــزا مكرمـــــا ... مر السنين مجـــدد الارجـــاء
ومصادق الاجيال أنت تصونهـــــا ... ما لاح نجم فى أديـــم سمـــــاء
وافت اليك قلوبنا تطوى الفضـــــا ... خفاقة فى غمـــرة الاطـــــراء
أشرقت من أفق الفخار وجئت من ... أصل الجلال وغـــرة الشرفـــاء
خاضوا البطولة ما استكان دفاعهم ... عن حوزة بالـــذود والاحيـــاء
صانوا الفضائل للوجود وللنهـــى ... لنوال مجـــد فى ذرى العليـــاء
فعلوت شأوهم وكانوا ســـــادة ... جلت محاسنهم عن كـل ثنــــاء
كنت الامير المرتضى لمحمـــــد ... خل الوفاء ورائـد الشهــــداء
وابـــن البطولـــة يافعـــا فمتوجـــا ... رمز الفخار منـــاط كـل عـــلاء
سادت بفضلكم البلاد جميعهـــــا ... وتفاخرت طرا بنيـل رجـــاء
أيقظتها من نومهـــا فتنبهـــت ... لما أنطت مصيرهـــا ببنـــاء
وأعدت بالنظم القويمـــة مجدهـــا ... فسمت بهمتكم الـــى الجــــوزاء
وسرى التقدم فى ربوع ترابهـــا ... من نفح كدك مثل مـــوج ضيـــاء
فتيامنت مر السنيـــن بنهضـــــة ... ميمونة اسستها عـــن صفـــاء
انقذت هذا الشعب من عثراتـــه ... وحفظته مـــن جولة الاعــــداء

مالى أحدث أنفسا عن ذا الـــذى ... للنفس كان شرارة من سنـــاء ؟
بيض الايادى والانامل بالنـــدى ... تضفو فتنعش مقترا بسخـــاء
ما زلت ترعى بالنفيس رعيـــة ... حفظت لكم عهدا ودوم دعـــاء
الحلم شيمة بيتكم والحلـم لـــو ... شئتم لكان لخالـص الاهـــواء
دم للفضيلـــة للمكـــارم للعلـــى ... تحمى الحمى فى الريف فى الصحراء
طب فى الورى نفسا فانت زعيم جيـ ... ـل ونحن جند كرامـــة وابـــاء
فاذا الملوك تصاعدت أعمالهـــم ... نهض الشعوب من الكرى لبنـــاء

يا حامى الاسلام يا من فى الـــورى ... أعليت شان الملـــة الغـــراء
وضربت امثال النزاهة والتقـــى ... بين الملوك وسائـــر الكبـــراء
وكسوت دين الله ابهى حلـــة ... ضاءت بها الاكوان أى ضيـــاء

وجعلت للاخلاق كل حصانة   كى لا تضيع بنفثة الجهلاء
وحميت بالمثل القويم شبابنا   من كل مصطنع دخيل ناء
وحبوت بالعز الاصيل عدالة   ورجال علم عامل وقضاء
فوهبت شعبك من نبوغك تارة   ومن التقى اخرى ومن انشاء
فالمكرمات الخالدات كتبتها   والتضحيات بذلتها بوفاء
كم من أمان غاليات حققتها   أرضيت شعبا حافظا للولاء
فالضاد تشكر ما لكم من منة   بلغت بها شرفا عنان سماء
وكتبت للعلم الحياة بمجمع   اسسته بدعائم الاحياء
وافت اليه طلائع من مشرق   عضدوا جهابذة من العلماء
فتنوا الى الذكر الحكيم وفيهم   كنت الهدى علما بغير مراء
ابدعت فى الاعجاز علما وحكمة   وشأوت ابهى النور أى بهاء
وسموت بالفكر الاصيل وبالحجى   فكذاك كنت منارة الاراء

لله اذ سعد الزمان بليلة   وبسنة احييتها بنداء
تنزيل طه لذكره تجديد   الله حافظه لدوم بقاء
ناديت للذكرى فهامرت بنا   عشر واربع هيا للاحياء
جددتها فضلا بما عبقت به   آثار دوحتكم بلا احصاء
فى الليلة العظمى وما حفلت به   من رحمة وشفاعة وجزاء
عنت الوجوه لمحفل ضم الهدى   الروح والملك استوى فى سماء
عم الضياء بمجمع دعواته   كم رددت فى الارض من أصداء
أوفيتمو عهدا لآل محمد   طوبى لكم يا صادق الانباء
فالارث عن شرف وحبل شريعة :   بالدين فاعتصموا بلا اغواء
والذود عن ملة ونهج كرامة   فالعرب لا ترضى بيوم شقاء
لهفى على أرض العروبة داسها   صهيون يا للصدمة الهوجاء !!
لابد من يوم نعود لاخذ ثأ   ر ، لا محال ، فاليوم يوم فداء
هيا الى التحرير فى أرض الكتا   نة فى الخليج معاقل الشهداء
فى الضفتين وفى القنال سنلتقى   وبحيرة ، لابادة الاعداء
هيا لغسل العار لا ترضى بنكـ   ـسة غدر يوم الهجمة الشعناء
مهلا فلسطين فلا هود يجو   ب فى أرض ايوب وفى سيناء

عودوا (للاردن) ما استكان كفاحها … والقدس نسقى أرضها بدمـــــاء
عودوا لاولى القبلتين وثالث الـ … ـحرمين يسعد يومنـا بلقـــاء

عودوا لهدى محمد ، حق الهدى … وبحبل دين تمسكوا لنجـــــاء
يا رب قو العزم واشدد ازرنـــا … واحفظ امامنا رمز كـل عـــلاء
والهم شعوب العرب كل عزيمـــة … لبنـــــاء وحـــدة أمـة وابـــاء
بالصدق والايمان نحمى سيرتنـــا … لا حول فى خلف وفى بغضـــاء
للذب عن ملة ومجد عروبـــــة … ولغارة تصلو العـــدى لجـــلاء
فبمثل ذا يرضى الرسول وسبطه : … الصف صـف مناعـة ومضـــاء
فى موكب الحسن العظيم وركبـه … نمضى ولا نبغى بديـل عطـــاء
يا باعث الاســلام يـا ربانــه … نحن الفدا فى اليســر والضـــراء
فالعرب ان ساروا على هدى الرسو … ل ونهجكم فالنصر تلو النـــداء
انا وراءك سائرون مـدى الزمـــا … ن فـدم ودام العــرش فى لالاء
لا زلت فى هذا الجلال منعمـــا … بولى عهدك رمز كــل هنـــاء

مكناس : الحسن الحجوى



للأستاذ محمد ادريس العلمي

من المعروف من كتب التاريخ ومن الطابع الذي بقي لحد الآن يطبع حياة المغرب والمغاربة ان هاته البلاد قامت دولتها على الدين وعلى المحافظة على القرآن الكريم وتعاليمه الحية رغم تعاقب السنين وتعدد مشاكل الحياة وتعقدها ، واذا كان المرابطون استطاعوا ان يؤسسوا دولة تضم ما بين حدود مصر وجزيرة الاندلس وما بين مناطق البحر الابيض المتوسط الى تخوم افريقيا الجنوبية والغربية بفضل احتفاظهم على نشر القرآن وعلومه .

واذا كان الموحدون الذين جاءوا بعدهم انما نجحوا في دعوتهم بفضل تجديد ما اندثر من تعاليم القرآن وعلومه على يد المهدي بن تومرت وعبد المومن ابن علي وبنيه . واذا كانت الدول التي تعاقبت بعدهم من مرينيين وسعديين لم تغفل هذا الجانب الحيوي من حياة المغرب الاجتماعية فان العلويين برزوا في هذا المضمار ابا عن جد وملكا عن ملك وخصوصا في عهد الملك الصالح المصلح محمد الخامس طيب الله ثراه .

هاته الشخصية الفذة التي لم يمنعها ما جد في مطالب الحياة وتكاليفها وضغط الثقافات الاجنبية والحركات الهدامة التي كانت تلقى تأييدا كبيرا من طرف المستعمرين واذنابهم المنبثين في كل مكان – (اقول) لم يمنعها كل ذلك عن ان تسن للبلاد نظاما دينيا ياخذ احسن ما عند الامم في جميع مجالات الحياة العصرية ويحافظ ايضا على الروح الدينية المثلى ، ولذلك كنا نراه دائما في صراع مع المستعمر ومع الذين يجهلون كل شيء عن تعاليم الاسلام وعن الفكرة التي نزل من اجلها القرآن وهي تكوين امة مسلمة قوية تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتومن بالله وحده .

نعم منذ أن تقلد زمام السير بالمغرب ورعاية شؤونه العامة والخاصة المادية والادبية وهو يفكر ويبحث ولا يدع فرصة تمر دون ان يحقق مغنما جديدا لامته وبلاده متدرعا بالصبر الجميل وسالكا طريق الحكمة والدعوة بالتي هي احسن امتثالا لاساليب الدعوة التي بداها جده المصطفى صلى الله عليه وسلم والمستوحاة من تعاليم القرآن ومن الآية الكريمة « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين » .

لقد درس اساليب الاستعمار في الاقتصاد والسياسة والاجتماع وفي كل شيء شيء ، وكان يخلو الى نفسه دائما ويتأمل ماذا يراد بالمغرب وما يبيته الاستعمار الغاشم لاهله وبنيه ، وكان دائم التفكير في ذلك كله ، يخاطب احباءه واصفياءه ويبين لهم انه لا يدع الفرص تسير ولا يهدا له بال حتى تسعد بلاده ويسعد اهله وتدرك مطالبها وتسير على نهج سلفها الصالح رضوان الله عليهم .

وقد دعاه تفكيره الديني المتجدد المنبعث من اعماق قلب مومن متيقظ شاعر بالمسؤولية الدينية والدنيوية ان يفكر في التعليم الديني ويجدد لجامعة القرويين التي تحتضنه شبابها ويطورها وفق الحياة الجديدة حتى تكون دائما في مستوى رسالتها الخالدة .

وهكذا كان يجتمع بالمفكرين والعلماء في كل حدب وصوب ويعرفهم بما عزم عليه ويبين ان روح الاختيار وعدم التقيد بنظام في الدراسة بالكلية القروية لا يمكن ان ياتي بالنتائج المتوخاة وان العالم كله يسير وفق نظام وتخطيطات محكمة في جميع شؤونه واننا مقبلون على الاحتكاك بالامم والشعوب على اختلاف طبقاتها وتعدد نظمها واختلاف اجناسها وعقائدها واديانها . وذلك يدعو بالطبع الى تجديد السلاح الذي نتسلح به دائما حتى لا نغلب على امرنا ونسقط فريسة لاهل البغي وانصار الضلال ؛ فكانت صرخته تنفذ الى اعماق قلوب جميع طبقات الشعب وتلقاها الامة عن بكرة ابيها ، وقد اقبل الشباب والكهول والشيوخ على النظام الجديد للجامعة القروية هذا النظام المحكم الذي استطاع ان يخرج للمغرب علماء مقتدرين استطاعوا ان يحافظوا للامة على تعاليمها رغم المناورات والدسائس والمقاومات العنيفة التي كانوا يتلقونها من خصومهم المستعمرين والمتاثرين بروح الاستعمار والحركات الالحادية الهدامة .

ولا يتسع المجال هنا للتحدث عن هذا النظام وما كان يحتوي عليه من اسلاك يمكن اجمالها في اطوار ثلاثة ابتدائي وثانوي وعالي ذو شعبتين دينية وادبية وكل طور اختير له مدرسون وخططت له التخطيطات ووضعت له المناهج التي كان يشرف على وضعها مجلس يسمى بالمجلس العلمي يحتوي على كبار علماء المغرب وترأسه شخصية انتهت اليها المشاركة في المعقول والمنقول وعركت الحياة وعركتها ومارست الدراسة والتدريس اجيالا وقد دعاه التفكير في تنظيم جامعة القرويين الى التفكير ايضا في النواة الاولى التي تغذي كلية القرويين وتزودها بالعناصر الصالحة : انها الكتاتيب القرآنية المنتشرة شرقا وغربا وجنوبا وشمالا في المدن والقرى والجبال والسهول وفي كل نقطة من بلاد المغرب الفسيحة لان القوم كما ذكرنا متدينون بطبيعتهم ولا يمكن لمدشر ولا لقرية بل ولا لعائلة ان تعيش بدون مؤدب يرعى شؤون ابنائها ويهتم بتربيتهم وتعويدهم على احسن الخصال واجمل الفعال ويزرع في افكارهم الطيبة البريئة الطاهرة الشاملة لجميع ما يحتاجه الانسان من مهده الى لحده وبل وحتى بعد هاته المرحلة حتى يلقى ربه ويشمله بعنايته ورحمته ويكتب له السعادة والعيش في النعيم في جنات عالية قطوفها دانية .

ولما رأى محمد الخامس طيب الله ثراه ان عاية الاستعمار وخططه ترمي الى القضاء على اللغة العربية وعلى القرآن الكريم الذي يحفظها بين دفتيه والاساليب والطرق التي شرعها للوصول الى اهدافه الخبيثة وجه عنايته الى رعاية التعليم القرآني حيث جعل امره سواء في المدارس والكتاتيب موكولا اليه وحده ولا يمكن لادارة المعارف التي كانت تشرف انذاك على التعليم العمومي ان تتدخل في شؤونه الفنية والمادية حيث كانت القرويين تابعة لوزارة العدل والكتاتيب القرآنية حرة في شؤونها المادية ولكنها من الناحية الفنية تابعة لوزارة الاحباس ، وقد اقبل الشعب المغربي على التعليم القرآني اقبالا اقلق راحة المستعمرين مما جعلهم يكيدون للقائمين عليه وينعتونهم باقبح النعوت ويدعون انهم انما يتسترون وراءه لبث آرائهم المنافية للفضائل وللاخلال بالامن والنظام وتاليب عامة الشعب على الحكومة وحتى على الملك ولكنه رحمه الله كان على علم دقيق بكل هذه الدسائس ويقابلها بالصبر والحكمة ويسن من القوانين ما يظن الاستعمار انه في صالحه ولكنها في الحقيقة مسامير كان يدقها محمد الخامس في نعش الاستعمار لان تقنين التعليم القرآني وتقسيمه الى كتاتيب قرآنية تهتم بالقرآن وحده وبتحفيظ متون العلوم العقلية والنقلية والى مدارس قرآنية حرة تعمل على العناية بتدريس مبادىء العلوم اللسانية والشرعية والعقلية كل ذلك من شانه ان يركز اللغة القومية ويحيط تعاليم القرآن الكريم بسياج من الرعاية والحفظ والتقدير ويجعل المقبلين عليها في تكاثر دائما حتى كانت تفوق باضعاف مراكز التعليم الذي تشرف عليه الادارة الفرنسية .

وهذا ما حدا بهذه الادارة الى ان تتخذ موقفا متشددا ازاءها حيث عمدت الى اقفال ابوابها لانها شعرت بخطرها وعملها المنافي لتركيز النفوذ الاجنبي في المغرب . فتظاهر تلاميذها الصغار في الشوارع معلنين سخطهم على الاستعمار الثقافي واللغوي فقام جلالة المغفور له محمد الخامس بعمل حازم في الموضوع حيث امر بفتح المدارس القرآنية واصدر ظهيرا ملكيا بتاريخ 11 ـ 12 ـ 37 يسمى بقرار وزيري نظم تفتيشا دقيقا للكتاتيب القرآنية والمدارس القرآنية وخصص منحا لحملة القرآن والقائمين على شؤون هاته الكتاتيب والمدارس ؛ ومن هنا اصبح التعليم بالكتاتيب والتعليم الحر يخضع لقوانين يضعها القصر الملكي وحده تحت الاشراف المباشر لجلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه . وبفضل هاته الرعاية الملكية السامية استطاع التعليم القرآني ان يحافظ على

صبغته الدينية وتمكنت المدارس القرآنية الحرة من ان تؤدي رسالتها على اكمل وجه ؛ وقوي نشاط حفاظ القرآن وحملته خصوصا لما تحققوا من عناية صاحب الجلالة بهم واهتمامه بامر القرآن وحملته الذين وضع لهم شهادة خاصة تمنح للمجيدين منهم بعد ان يجتازوا اختبارا في القرآن ورسمه تحت اشراف قاضي المدينة او القرية وبواسطة لجنة من حفظة القرآن وعلماء الرسم والتجويد تختار لهذا الغرض وبقي الحال هكذا الى سنة 1956 اي سنة الاستقلال حيث استرجعت وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة امر النظر في التعليم القرءاني واصبح بمقتضى مذكرة رقم 21 خاضعا لتفتيشيات تنظمها هاته الوزارة بواسطة مفتشين رئيسيين ثلاثة وبمساعدة نواب مخبرين في كثير من المدن والقرى وبعثت مصلحة التعليم الاصلي في وزارة التربية الوطنية بمذكرات الى عمال المدن والاقاليم بواسطة وزارة الداخلية ترجوهم فيها مساعدتها في احصاء الكتاتيب والمدارس القرآنية عبر المدن والقرى فقام العمال بالامر خير قيام وبعثوا بتقارير ضافية عن عدد الكتاتيب والمدارس وعدد الحفاظ والمعلمين وعدد تلاميذ هاته الكتاتيب . وقد ارتأت مصلحة التعليم الاصلي ان لاتبقى الكتاتيب محافظة على نظامها العتيق الذي اصبح عائقا لها عن تادية رسالتها نظرا لتطور اساليب التربية والتعليم من جهة ولكون العائلات المغربية قد تفتحت آفاقها عن النظم الجديدة المتبعة في الامم التي سبقتنا في هذا المضمار . فوضعت مشروعا للكتاتيب النموذجية طبق في كثير من المدن والاقاليم كما انشئت مدارس للمقرئين بالشمال والجنوب اعطت نتائج لاباس بها . وبعد التعديلات التي ادخلت على وزارة التربية الوطنية انتقل امر تفتيش الكتاتيب والمدارس القرآنية والحرة الى نياباتها الاقليمية .

وفي سنة 1962 وضعت هاته النيابات احصائيات مكنتها من التعرف على عدد الكتاتيب والمعلمين والتلاميذ هذا العدد الذي ناهز نحو اربعة عشر الف كتاب تضم نحو هذا العدد من المعلمين وترعى نحو ثلاثمائة الف طفل

وبقي الامر على هاته الحال حتى سنة 1964 حيث انعقد اجتماع بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ضم كثيرا من المسؤولين من هاته الوزارة ومن وزارة التربية الوطنية وقر الراي على رجوع الكتاتيب القرآنية الى الاحباس واحتفاظ وزارة التربية الوطنية بأمر مساعدتها فنيا فقط .

والحقيقة ان امر العناية بالتعليم القرآني وبعلوم القرآن كان في طليعة الاعمال التي تقوم بها الدولة العلوية منذ نشوئها لحد الآن وكان هذا التعليم يلقى من كافة الملوك والمسؤولين في هاته الدولة ما هو جدير به نظرا لغيرة هذا الشعب على دينه والكتاب المنزل الذي هو دستور حياته المادية والمعنوية . وقد اظهر جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في كثير من المناسبات عطفه على حملة القرآن واهتمامه بالتعليم القرآني والتربية الاسلامية بوجه عام مما هو معروف ولا حاجة لبسطه لانه حفظه الله يقتفي اثر والده وسلفه الصالح في ذلك فنرجو بمناسبة هاته الذكرى الخالدة ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم على الرسول الاعظم ان تتجدد الاعتبارات على جميع المستويات وان تسترجع تعاليم القرآن مكانتها في نفوس جميع المغاربة والمسلمين قاطبة لانهم كلهم جربوا الخروج عن هاته التعاليم والنتائج التي استنتجوها والوبال والانحطاط الخلقي والاجتماعي الذي وصلوا اليه ، والحقيقة انه لو اتبع المسلمون هاته الروح الانسانية التي تحويها تعاليم القرءان الكريم بل لو اتبعها الناس كلهم لانعدمت مشكلة الفقر ولحلت مشاكل التغذية ولعاشت منظمة الامم في امن من مخاوف الفقر وانعدام القوت . والناس من خوف الفقر في الفقر . وصدق من اورد هاته الحكمة الاسلامية الخالدة .

الرباط : محمد ادريس العلمي



- رواية تمثيلية ... في أربعة فصول ...
- زمانها ما بين الجاهلية وظهور الاسلام ...
- مكانها بادية العرب ومكة المكرمة ...

هذه رواية تمثيلية عن تحرير القرآن الكريم للمرأة المسلمة .. تتقدم بها كاتبتها المحترمة على صفحات هذا العدد المخصص لامجاد الدولة العلوية المالكة في خدمة القرآن وعلومه .. راجية أن تعود مثوبتها على روح المجدد الاعظم فقيد العروبة والاسلام الملك الافخم مولانا محمد الخامس محرر المرأة المغربية في القرن العشرين ومعيد نشاطها ونهضتها .. رضي الله عنه في العالمين واعلى مقامه في العليين ..

اشخاص الرواية

الفصل الاول

ام سلمى	ظمياء
ابو سلمى	ميسة
ام أوفى	بنات صغيرات
خولة	سلمى وسليمى وسمية

(يرفع الستار عن ام سلمى وهي جالسة امام خيمة وحولها بناتها الصغيرات واحدة منهن في حجرها تناغيها وترقصها .. وتداعب الاخريات وتغني بما تغني به الامهات عادة لاطفالهن .. وهي في لباس عربي ذي الوان في هيئة تدل على القناعة وضعف الحال ..)

ام سلمى : (تغني في حنان) :

بنتي ! بنتي ! — بين البنات
انسي بها — طول الحياة
ازهى بها — الى الممات
بنتي ! بنتي ! — بنت الحسب
بنت العلا — بنت العرب
فخري بها — ولا عجب

(ثم يدخل زوجها ابو سلمى في حالة نافرة ، وهو يزمجر .. وتقوم اليه احدى بناته لتحييه ، فيدفعها عنه في خشونة ، فتلوذ بامها) :

ابو سلمى : (يخاطب امرأته في غضب) ـ آه ؛ انت ما زلت تدللين هذه المخلوقات ، وتوهمينهن انهن شيء يستحق الاهتمام ، الم انهك غير ما مرة عن ذلك ، اليس لك في الشاء والابل وصغار المعزى والخرفان خير بديل عمن لا يغني شيئا ، لا في السلم ولا في الحرب . !

(ولما رآها لا تجيب ضرب الارض برجله .. فذهب يكلم نفسه) ـ ولكنها التي بنت انثى ، وهي لا تلد الا الاناث ، عقمت عن ولادة الذكور ، وملأت بيتي باسماء النساء ربات المغزل ، هذه سلمى ، وتلك سليمى ، واخرى سمية .. وا اسفاه .. ! لقد الحقت هذه المراة بي العار ، فصرت استحي ان اغدو او اروح على مجامع القوم ، طالما تواريت منهم .. يبشرون بالذكور والرجال ، وانا لا ابشر الا بذوات الحجال ، من لا يغني في قتال ولا نزال ، ومن لايقوم لي يوم الفخار ، الا مقام العار والشنار !

ام سلمى : (تنهره في حدة) كفاك ايها الرجل كفاك ، بئس ما تنطق به كل يوم ، تغدو وتروح علينا وانت ترغي وتزبد ، ناقما على بناتك اللائي من صلبك ، ساخطا على من ليس لي يد في ايجاده ولا في خلقه .. اذا كنت عقيما فانت اعقم ، واذا كانت هذه الفلذات غما عليك وكمدا فانهن لي رياحين وسلوى ونعيم (تضمهن اليها) .

ابو سلمى : (بتهكم وضحك)

سلوى ونعيم ! سلوى ونعيم ! لقد هممت ايتها المراة ان آخذ منك هذه السلوى والنعمة فأدسها في التراب .. !

ام سلمى : لا تكفر ايها الرجل ، فان امك كانت انثى ، وان العزى ومناة الثالثة الاخرى هما ايضا انثيان ، فليكن قلبك لينا .. !

(هنا يحس بوخز ضميره فيطرق قليلا ثم ينسحب من البيت) .

ام سلمى : (تناجي نفسها) اما من خلاص من هذا الهوان ؟ اليك عني ايتها الآلهة اين انت ! واين قدرتك ! يا ما تضرعت اليك لتكشفي عنا هذا الظلم ... ! اما يتجلى هذا الليل فيسفر عن صبح مشرق وضاح نطمئن فيه على انفسنا وعلى بناتنا ؟ ..

(وفي هذه اللحظة تدخل بعض نساء الحي زائرات ..)

ام سلمى : (تقوم اليهن مستبشرة) ـ اهلا بالعقائل الكريمات ، رحبت بكن الدار ...

ام اوفى : سلمت ام سلمى ، وسعدت بك سلمى ، وسليمى ، وسمية !

ام سلمى : زاد بك بيتي انسا ، ولقيت منكن عزاء وسلوى (تظهر عليها كآبة)

خولة : مالك يا ام سلمى شاحبة كاسفة ؟ ما للابتسامة قد غاضت من ثغرك ؟

ام سلمى : حز في نفسي ايتها الاخوات ما نقاسيه نحن النساء من اضطهاد وما تقابل به البنات من كفر وهوان ..

ظمياء : انني سعيدة على اي حال ، لقد رضيت بما قسم لنا ، فنعمت بالا وسعدت حالا ..

ام سلمى : ولكن بئس ما اخترت لنفسك يا ظمياء

مية : ولكنها معذورة يا ام سلمى (تقول ذلك في لهجة قوية) انها تخشى ان يتحدث الحي عنها كما يتحدثون عنك ..

ام سلمى : (في اهتمام) ـ بماذا يتحدثون ؟

مية : يقولون انك خالفت سنة العربيات وتحديت الآلهة ، لذا فستثور عليك وبناتك غضبها .

ام سلمى : فلتثر الآلهة ، ولتنقلب الارض ، ما دمت غير آمنة على بناتي وعلى نفسي ، وما دمنا مغلولات مظلومات موءودات .

ام اوفى : (باندهاش) ـ الى اين يذهب بك يا ام سلمى .. ! اتريدين ان تكوني لبابة السلولية ؟ ..

ام سلمى : نعم هي مثالي ، وهي قدوتي واسوتي ! فلم لا تصرن انتن مثلها ؟ ولم لاتشعرن بهذا الذل الذي يخيم عليكن وعلى بناتكن ؟ الكن عربيات والعربية ابية ، لا ترضى بالهوان ، ولو في قصر من ذهب !

الزائرات : (بصوت واحد) ـ عاشت ام سلمى ! عاشت ام سلمى !

(ستـــار)

الفصل الثاني

مسعار	هبنقة
عوف	سمرة
صخر	أبو سلمى
مرة	أم هانيء

(يرفع الستار عن ثلة من الرجال في مصطبة ، يشربون ويتسامرون ومن حين لآخر يتردد عليهم الساقي بما يطلبون .. واللباس عربي والاثاث بدوي والاواني من الفخار او من الصفيح ..)

مسعار : من منكم يخرج معي غدا الى الصيد يا رجال ! قد اني موسم الصيد ، وقرمت اسناني الى لحم الظباء ، الآ ترون اسراب القطا تغدو علينا وتروح ؟

عوف : (في تهكم) عهدي بك يا مسعار ، تدعونا لشن الغارات ، واقتحام حومات القتال ، فكيف غدوت اليوم تدعونا الى مطاردة الوعول، وبقر الوحش .. ! ؟

صخر : ان مسعارا غدا مسطارا يجتزيء باللقمة الباردة عن اللقمة الحارة ، صرف سهامه عن الهيجاء الى الظباء .. ! (ضحك) .

مسعار : كفاكم مزاحا يا رفاق ، كدتم بمزاحكم تثيرون حفيظتي ، فادعو احدكم الى المبارزة (يقولها في حدة) .

مرة : كلا يا مسعار ، ليس في الحي كله من يشتط به الامر الى هذا الحد ، فانت ولا جدال مسعار الحروب وجذيلها المحكك . (يرفع كاسه) اشربوا يا قوم نخب مسعار ..! (يهزون كؤوسهم) .

(هنا يدخل هبنقة صاحب الفكاهات والنوادر، وهو شخص قصير ذو حدبة ، عليه امارات البله والدعابة ، وفي عنقه عقد من الودعات..)

صخر : تقدم يا هبنقة ، فلقد ظمئنا الى حديثك (يقولها في فرح)

عوف : (وهو يضحك) ان ابا الودعات يحمل الينا اليوم في حديثه فكاهات مستطابة ..

هبنقة : (يجلس على الارض ، ويدعو الساقي ولا يجيب .. (هات يا ساقي هات ! (يصفق ويبالغ في التصفيق ، والساقي واقف لا يجيب) ما لساقيكم هذا يا قوم لا يجيب ، هو اعمى ، اصم ، لا يبصر ولا يسمع ! ولكن هكذا يكون ساقي اللئام حقا ! (يضحك القوم) .

مسعار : يا ساقي ، اسق ابا الودعات كاسا مزة (يأتيه بها) قص علينا يا ابا الودعات كيف اصطدت ارنبك بالامس ؟

هبنقة : (وهو يتضاحك) اني يا فتيان ، لا اصطاد الوحش كما تصطادونها انتم ، انما اخرج الى الصحراء فتقع الطيور من حولي ، فآخذ منها ما اشاء (يضحكون)

صخر : واذا نفر منك وحش ، فما تفعل به ؟

هبنقة : افعل به ما فعلت بالارنب الحمقاء .

سمرة : وما فعلت بالارنب الحمقاء ؟

هبنقة : خرجت يوما الى الصحراء ، فدعوت الارانب ، فاجتمعت حولي الا واحدة أبت أن تقترب مني لشدة حمقها ، فعدوت وراءها ، لكنها زادت نفورا ، فرميتها بسهم من نشابتي، فلما رات السهم يجري وراءها راغت عنه الى بعض الدروب ، فعارضها والله سهمي في الدرب ، فما زالت تروغ ويروغ معها الى أن نفذ في كليتيها (يضحكون)

مسعار : وقل لهم يا ابا الودعات لماذا تجعل هذه الودعات في عنقك ..

هبنقة : اجعلها في عنقي علامة لي لئلا اضيع (يضحكون)

صخر : واذا خرجت بالابل ترعاها ، فكيف ترعاها ؟

هبنقة : اجعل الابل السمان في خير المراعي ، والحي عنها الابل الهزيلة .

صخر : ولماذا تفعل هكذا ؟

هبنقة : اني لا اصلح ما افسد الله (يضحكون)

(هنا يدخل ابو سلمى وهو يلوح بيديه في حالة اضطراب)

أبو سلمى : اسمعوا يا رفاق ، لقد تمردت علي المراة ، واستأسدت علي انثى ، لقد ملات بيتي اناثا ، وانا فارس ابن فارس ، اريد الفرسان للضرب والطعان ، مالي ولربات الحجال من لا يغني

غناء الرجـــال .. قلت لها هـــذا فهاجت وتنمرت .. اي واللات والعزى ، زعمت ان البنات كالبنين .. !

عـــوف : بعـــدا لها من كلمــــة !

ابو سلمى : دلوني على حل يا رفاق ، خيـــر لـي ان اواري وجهي عنكم من سوء ما ملكت يدي !

مـــرة : احزم امرك يا صاح ، واقطـــع دابر هـــذه الرقطاء قبل أن يستفحل امرها ، وقبـــل ان يتحدث العرب فيقولون : ان امراة من العرب خالفت سنة آبائهـــا وسولت لها نفسهـــا الخروج على عادات قومها ..

مسعـــار : لقد تهاونت يا ابا سلمـى ، فهنت عنـــد المراة ، اعلم ان النار اذا اشتعلت اتت على كل ما حولها ، فبادر واقتل الفتنة فى مهدها فكل عـار ينالك ينالنا ..

ابو سلمى : قولكم الحق ، ورايكم الصواب ، ستعلمون نبأها بعد حين ، سادس بناتهـــا فى الطيـــن واجعلها حديثا للغابريـــن ..

(هنا تدخل امراة عجوز ، في يدها ورقات .. تحييهـــم وتجلس)

مسعـــار : ما بيدك يا ام هانى ؟

ام هانـــيء : (فى صوت متهدج) وريقات أتت بهـــا ام رومان من مكة ، البلد الحرام ، من عنـــد الفتـــى القرشـــى .

عـــوف : ومن الفتى القرشي هذا ؟ (فى استغراب)

ام هانـــيء : انه محمد ، ومن يجهل امر محمد ، وامر كتاب محمد .. !

عـــوف : وهل هذه الورقات من كتابه ؟

ام هانـــيء : لا ادري يا بني فانا امية لا اقرا ولا اكتب، فانظروا من يقرؤها لكم .

مسعـــار : خذها يا سمـــرة ، انك كنت بالحيـــرة ، وخالطت الاحبار والرهبان ، ونظرت فى الزبر .

سمـــرة : (يأخذ الورقات من العجـــوز ويمضي فى قراءتها بتاثر والقوم فى وجـــوم)

سمـــرة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكدرت ، واذا الجبـــال سيرت ، واذا العشار عطلت ، واذا الوحوش حشرت ، واذا البحار سجرت ، واذا النفوس زوجت ، واذا المـــوءودة سئلت ، باي ذنب قتلت ، واذا الصحف نشرت ، واذا السمـــاء كشطت ، واذا الجحيم سعرت ، واذا الجنة ازلفت ، علمت نفس ما احضرت ، فلا اقسم بالخنس الجـــواري الكنس ، والليـــل اذا عسعس ، والصبح اذاتنفس ، انـــه لقـــول رسول كريم ، ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم امين ، وما صاحبكم بمجنون ،ولقـــد رآه بالافق المبين ، وما هو على الغيب بضنين، وما هو بقول شيطان رجيم ، فاين تذهبون ، ان هو الا ذكر للعالمين ، لمن شاء منكـــم ان يستقيـــم ، وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالميـــن . »

(وجوم يسود القوم ، ثم ينتبهون ، فينتفضون ويضطربون ويتصايحون ، وتأخذ العجـــوز اوراقها فتنسل ..)

ابو سلمى : امر امر ابن ابي كبشة ، لقد اخذت آيات كتابه تسير بين أحياء العـــرب ، يستنكـــر الواد ، ويجعل للنســاء مقاما مذكورا ، هـــذا لا يكون ، ولن يكـــون !

مسعـــار : اسرعوا الى بيوتكم ايها القوم ، اسرعـــوا قبل ان يفسد عليكم كتاب محمد نساءكـــم ، اسرعوا اسرعوا .. !

(يخفـــون للخـــروج)

ستـــــار

الفصل الثالث

غزالـــــة	ام هـــانـــيء
مرجانـــة	خـــولـــة
ميمـــــون	ابـــو سلمـــى
ام اوفـــى	مسعـــار
ام سلمـــى	عـــــوف
المرافـــة	نساء الحي

(يرفع الستـــار عن نفس المنظر بالفصل الاول، ويظهر بعض الخدم فى بيت أم سلمى وبينهـــن العبـــد ميمـــون)

غـــزالـــة : ان سيدتنا تئن وتشكو هذه الايام ولست ادري مما تشكـــو ..

مرجانة : ان مولاي من سادات العرب ، وهي تريد ان تشاركه في السيادة ، وبذلك تخرج عن تقاليد قومها .

ميمون : هل اذا تزوجت بك يا مرجانة ، يا فتانة ، تفرضين علي ارادتك انت الاخرى ؟ (ثم يقول في عبث) لا ، لا ، لا ، اعيش اعزب ولا تسود علي امراة .

مرجانة : دعنا من ثرثرتك يا ميمون ، فليس لك بشأن النساء علم ، اذهب عنا .

ميمون : (يخرج مهرولا وهو يقول) : اذهب آتيكم بالعرافة من هيكل الآلهة لتطرد شياطين الجن التي توسوس لسيدتي .

(وفي هذه اللحظة تدخل ام سلمى ، ومعها نساء الحي ، فيتمادين في الحديث قبل ان يجلسن)

ام أوفى : هوني عليك يا ام سلمى ، لاتراعي ، فلن تجلبي لنفسك الا العار اذا تماديت في هذا .

ام سلمى : وهل اذا كنت اريد رفع العذاب عن نفسي وعن بناتي سمي ذلك عارا ؟ هل علي جناح ان التمست لبناتي ولبنات جنسي حق الحياة الكريمة ؟

(وفي هذه الاثناء يدخل العبد ميمون بالعرافة ، وهي عجوز هرمة تلبس لباسا اسود ، يغطي سائرها وتخطو بتؤدة على عصا ترتعش ، وفي يدها بعض اشيائها ..)

ام سلمى : (في اندهاش) من هذه يا عبد السوء ؟

ميمون : (في اضطراب) الشفاء ، الشفاء ، العرافة الداهية كاهنة الحي .

(ام سلمى تنقبض مشمئزة) .

ام اوفى : مرحى ، مرحى ، احسنت يا ابن الامة ..!

العرافة : (في صوت يشبه الصفير) جئت اباركم باسم الكاهن الاكبر ، والعراف الاشهر ، عراف اليمامة ، جئت اطرد من سمائكم الشيطان المارد .. باسم اللات والعزى ، جئت اسوي الماء والهواء ، والظل فوق البيداء .

(تشرع في حركات غريبة ، واشارات سحرية ، وهي في صمت والكل في وجوم ، ثم تنشر اشياء أمامها وتنظر فيها وتقول) .

ان لم يكذبني حدسي فام سلمى قد حل بها غضب الآلهة واستنزلت لعنة يغوث ويعوق ونسرا .. لقد نطق لسانها بما فيه شك لآلهة العرب .. فاسرعوا بتقديم القرابين .. اجيبي يا علبة الاسرار ، ويا جعبة الانوار ، قدموا القرابين ، (تسكت قليلا) انه الشفاء للسيدة ام سلمى ، ربة السلمى ، على ان تفري ، وتقري ، وتملأ يدي ، بالسمن الزبدي ، والدرهم العسجدي ، العسجدي العسجدي (تكررها ..) .

ام سلمى : كفاك يا عجوز ، انصرفي لحال سبيلك ، واعطها يا ميمون ما يرضيها ، ولا تعد تدعوها (يأخذ بيدها ، ويخرج بها)

(ثم تدخل ام هانيء التي ظهرت في الفصل الثاني)

ام سلمى : رحبت بك الديار يا ام هانيء .. فهل من نبأ ؟

ام هانيء : جئتك بنبأ عظيم ، هو الخلاص لما نحن فيه جميعا ، واذا صدق قائله فهو الصبح الابلج الذي سيغير وجه حياتنا .

ام سلمى : تكلمي وافصحي ..

ام هانيء : حدثتني ام رومان القرشية ان محمد بن عبد الله القرشي الفتى الامين نزل عليه كتاب كريم ، فيه كلام يأسر القلوب ، ويشرح النفوس ، ويأمر بشريعة ما عرفتها العرب من قبل ، تقضي برفع الضيم عن الضعفاء ، والتسوية بين الرجال والنساء ، وتحريم السبي ، والوأد ، والعضل ، واكراه الاماء على البقاء ..

ام سلمى : ومن هي ام رومان هذه التي انبأتك ؟

ام هانيء : هي ام فتاة لها عندي ، ارضعتها بباديتنا ، فهي لذلك تزورني وازورها وتحمل الي الالطاف والهدايا ، وكان مما حملت الي هذه المرة ، هذه الورقات (تخرجها من تلافيف ثوبها) وقالت انها من كتاب الله وانها مما انزله الله في شأن تحرير المراة ..

ام سلمى : وهل تحفظين منها شيئا ؟

ام هانيء : نعم ، احفظ منها آيات ، اعادتها ام رومان على مسامعي حتى حفظتها .

ام سلمى : اسمعينا اياها يا ام هانيء .

ام هانيء : (ترتل بصوت شجي) اعـوذ بالله مـن الشيطان الرجيم « ربنا ، اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ، أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنـا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفـر عنا سيآتنا وتوفنا مع الابرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ، ولا تخزنا يوم القيامة ، انك لا تخلف الميعاد ، فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامـل منكم ، من ذكر او انثى ، بعضكم من بعـض، فالذين هاجروا ، واخرجـوا من ديارهم ، واوذوا في سبيلي ، وقاتلوا وقتلوا لاكفـرن عنهم سيآتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ، ثوابا مـن عنـد الله ، والله عنـده حسن الثواب » .

النسـاء : (بخشوع) صدق الله العظيم .

ام هانيء : ثم اسر اليكن ايتها الاخوات ، اني مـررت على مجمع القوم بالحي في طريقـي اليكـن فاظهرت لهم بعض هذه الاوراق ليعلموا مـن نبا كتاب محمد ما يجهلـون ، ولارى كيف يستقبلون هذه الدعوة الجديدة .

ام سلمى : وهل قراواها ؟

ام هانيء : اجل ، قراوا بعضـهـا ، فثـاروا وحاصروا حيصة حمر الوحش ، وانفضوا وهم يتوعدون وينوون شرا بنـا وبكتاب محمـد ، فجئت استحث الخطا لاحذركن من سوء مـا بيتوا ، وانبهكن قبل فوات الاوان ، حتى تحتـاط كل واحدة منكن لامرها ، والاجدر بنـا ان ننصرف الآن وندبر امرنا .

خولـة : نعـم ما ترين ، هيا بنا يا اخـوات ، وهيـا معنا يا ام سلمى ندبر امرنا ونستعين عليـه بالكتمـان ..

(يخرجن متسللات .. وبعد هنيهة يدخـل ابو سلمى في انفعال شديد)

ابو سلمى : اين انت (في صوت عـال) اين انت ؟ ام سلمى ، (صوت اعلى) ام سلمى الا تسمعي ، اخرجي من مخبئك فسيدك يناديك !

مرجانـة : (تتقـدم في ادب) عفـوا سيـدي ! ان سيدتي ليست في البيت ، خرجت منذ زمن، وركبت ناقتنا القصواء في صحبة بعض نساء الحي وما زلت اتبعها ببصري الى ان غـابت وراء هذه التلال .

ابو سلمى : (في هيجان شديد) تبا لك من امة ، وجه السوء والشؤم ، لا تأتيني الا بالاخبار السوداء مثالك ، اغربي عن وجهي .. ؟

مرجانة : (في ذعـر) سمعا وطاعة يا مولاي .

(ابو سلمى يذرع البيت ذهابا وجيئة وهـو ينتفض انتفاضة المحموم)

ابو سلمى : أي عار يضمه بيتي ، لماذا لم يبْدوا هـذه المراة ؟ لماذا كانت في نصيبي ، لتنصب عليهـا لعنة الآلهة ، ولكني اعرف كيف اغسل هـذا العار عني ، انها خرجت وانصرفت الى بيت ابويها لتشكوني الى قومها ، ولم تعلم انـي حزمت امري وشكوتها اليهم قبل أن تشكوني، وفوضوا امرها الي . لا مفر لها منـي ولـو اوغلت في البيداء ، ولا مناص لها من نقمتـي ولـو تعلقت بالنجـوم .. !

(هنا يدخل زوج ام اوفى مسعار ، وهـو يتلفت يمنة ويسرة في حالة تاثـر)

ابو سلمى : علام تبحث يا مسعار ؟

مسعـار : ابحث عن ام اوفى ، اين هي ؟

(ثم يدخل عوف زوج خولة)

عـوف : اين خولة زوجتي ؟ اين هي ؟

(ثم يدخل آخر .. ثم آخر ...)

ابو سلمى : وانا ايضا ، افتقدت ام سلمـى ، وكنت اظن انها انصرفت الى اهلها ، كما تفعـل اذا غاضبتني ، ولكني ايقنت الآن ، انها ذهبت الى وجهة غير وجهة اهلها .. من يا ترى بيتنـا بما كادته لنا هذه النسوة ؟ ..

(هنا يدخل ميمون في حالـة الفزع)

ميمون : سيدي ! سيدي ! انني كنت ارعى الابـل ، وراء هذه التلال فمرت بي سيـدتي هـي ورفيقاتها يطوين الارض طيا ، وسمعتهـن يتحدثن انهن يقصدن دار الارقم ...

ابو سلمى : دار الارقم ! دار الارقم ! اين هـي دار الارقـم ؟

(تظهر عـلامات التعجب والاندهـاش على ملامح القوم ..)

مسعـار : هلموا بنا يا قوم ، نقتفي اثرهن ، ونردهن الى حظيرتهن ونستجلي امرهن ..

ستـــــار

الفصل الرابع

العاص	أبو سلمى
خباب	عوف
عمار	سمرة
حمالة الحطب	سعار
أم سلمى	رجال .. ونساء ..
ام هانيء	

(يرفع الستار عن ساحة امام دار المقداد بن الاسود،معقل النبي (ص)واصحابه، واثنان من المسلمين يحرسانه من داخل ، واثنان آخران من خارج ..)

العاص بن وائل : (يتقدم من الباب ، وينظر الى الحارسين شزرا) الا تزالان هنا يا ارذلان ؟ اليس لكما شغل عن هذا الباب الذي لازمتماه ملازمة الظل ، لكني اعرف كيف انحيكما عنه اذا عدت ووجدتكما هنا .. اسمعتما ؟ ..

الحارس خباب : فالله خير حفظا ، وهو ارحم الراحمين !

العاص : ستريان ! ستريان !

(ينصرف وهو يرسل ضحكات استهزاء)
(ثم تتقدم امراة الى الباب ، وعليها امارات الشر ، تتلفت هنا وهنا .. واخيرا تلقي قمامة على الباب من قفة تحملها وتنصرف).

الحارس عمار : من هذه يا خباب ؟ ..

خباب : انها حمالة الحطب امراة ابي لهب الملعونة فى كتاب الله ، شأنها ايذاء الرسول والمسلمين تلقي عليهم القمامات وتسبهم فى المجالس .

عمار : آ .. ! تذكرت ، هذه التي ذمها اشنع ذم فى كتابه الكريم ، تبت يدا ابي لهب ..

خباب : ان الحسد يا صاحبي هو الذي أوردها المهالك ، وجعلها ملعونة على السنة الاولين والآخرين .. (يشير) انظر يا صاح ، هذا حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله (ص) يتقدم الينا ، لعله اتى ليسلم !

عمار : انه هو ، وأمارات الخير بادية عليه .
(يقف حمزة ، ويشير اليهما ان يفتحا الباب)

حمزة : افتحا الباب (فى لهجة حازمة) .

خباب : وما تريد من فتح الباب ؟

حمزة : اريد أن القى ابن اخي محمدا ، فليس احد اسبق اليه مني ، ابايعه على ان الله واحد لا شريك له ..
(يفتحان الباب ويدخل ، ويغلقان عليه الباب)

خباب : الحمد لله ، هذا نصر من الله للمسلمين ، وتمكين لدينه فى الارض .

صوت من داخل : حمزة بن عبد المطلب اسلم ! الله اكبر ! الله اكبر !

(أصوات تردد التكبير)
(ثم يقف بالباب فوج من النساء البدويات وهن وفد أم سلمى ..)

أم سلمى : (تسأل رفيقاتها) هل هذه دار الارقم ؟

ام هانيء : انها دار الارقم فانا اعرفها .

خباب : انها هي يا اماء الله ، الخير اقبلتن ؟

أم سلمى : افتح لنا الباب (فى لهجة حازمة) افتح لنا الباب نلق رسول الله ، ونبايعه على الدين السمح ، ونسمع منه الكتاب الذي جاءنا به .. فهؤلاء عقائل العرب وكرائمها .. جئن يسابقن الرجال اليه ، ويرجون ما عند الله ، هيا بنا يا اخوات ، هذه هي دار النجاة ، دار الارقم .. معقل الاسلام ودار النبوة ومشرق النور .. افتحا لنا الباب يا حارسان .. !

(يفتح الباب ويدخلن ، فيتعالى التكبير فى جوانب الدار) .

خباب : حمدا لك يا رب !

عمار : شكرا لك يا رب العالمين ! اتممت نعمتك علينا،وجعلت افئدة من الناس تهوي الينا! اللهم اهد الناس الى الطريق المستقيم ، وانر امامهم سبل الرشاد ليدخلوا فى دين الله افواجا !
(اذا بفوج من الرجال البدو يتقدمون الى الباب ، هم وفد ابي سلمى)

أبو سلمى : (يخاطب الحارسين) اهذه هي دار الارقم ؟

خباب : نعـم ..

ابو سلمى : وهل جاءت نسوة الى هذا المكان ؟

خباب : ومن تكونون انتم وما شانكم ؟

ابو سلمى : اننا ازواجهـن ، لقـد تركن ديارهـن وابناءهن ، استهواهن الشيطان ، وغواهـن كتاب محمد ، فانسللن الى هنا خفيـة .. ونخشى ان يكفرن باللات والعزى ، ويدخلن دينا غير دين آبائهن .. فاذا كـن فى الدار فاخرجوهن الينا ، ننقلب بهن الى بيوتهـن واهليهـن .

خباب : ان من يدخل هذه الدار اصبح فى حمى الله ورسوله ! فلا سبيل الى ما تطلبون .
(القوم ينظر بعضهم الى بعض)

عمار : ولكن ، هل لكم فيما هو خير من ذلكم ؟

ابو سلمى : ما هـو ؟

عمار : ان تدخلوا فيما دخلت فيه نساؤكم .

مسعار : (يندفع نحو الحارس) لقـد هممت ان اخيطك بسيفـي هذا خبطـا ، وان اريك انه لايقف شيء فى وجهنـا !

عوف : مهلا يا مسعار ! اعلم انك فى البلد الحرام ، وفى الشهر الحـرام ، فمـا لك ان تروع احـدا هنـا .

خباب : اعلموا يا قوم ، انكم لستم أول من جـاء يطلب مثل طلبكم ، ان كثيرا من زعماء القبائل ورجالها اتوا يطلبون أن نسلم اليهم من هداهم الله للدخول فى دينه ، ولكنا ما سلمنا احدا . .

ابو سلمى : (يخاطب اصحابه) لقد استفحل امـر محمد ، اي سحر يملكه هذا الرجل .. واية قـوة بسحـر ؟

سمرة : ان بين يديه كتابا ، وقد سمعتم بعضه .. ان كان حقا ما يقولون فان لهذا الرجل شانا ، واي شان ، لقـد تبعـه اكابرنا واصاغرنا ، ضعفاؤنا ونساؤنا ، انه اعطى النساء شيئـا عجبا ، وجعلهن مثل الرجال فى الاحكـام .. (ثم يرفع صوته) اسمعوا يا رفاق ، فان كان هذا الرجل على حق فلا يسبقنكم اليه أحد ، ان نساءكم بين يديه اترضون ان يحال بينكم وبين محارمكم ، كيف ننقلب الى ديارنا وقـد خلفنا وراءنا محارمنا ؟ ..

مسعار : لقـد نصحكم ابن عمكم .. لا ينبغـي لنا ان نعود الا ومعنا نساؤنا .

ابو سلمى : نصيحة .. ! .. ولكن كيف نكفر بآلهتنا ، باللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ؟ كيف يكون هذا ، انني فى حيرة ، اجيبي يا آلهـة، اقترب ام ابتعـد ، ماذا افعـل يا يغـوث ويا يعوق ونسرا ؟

سمرة : احزموا امركم يا قوم ، لا تترددوا ادخلوا فيما دخلت فيه نساؤكم فمن العار ان يكـن اهدى منكن سبيلا .. !

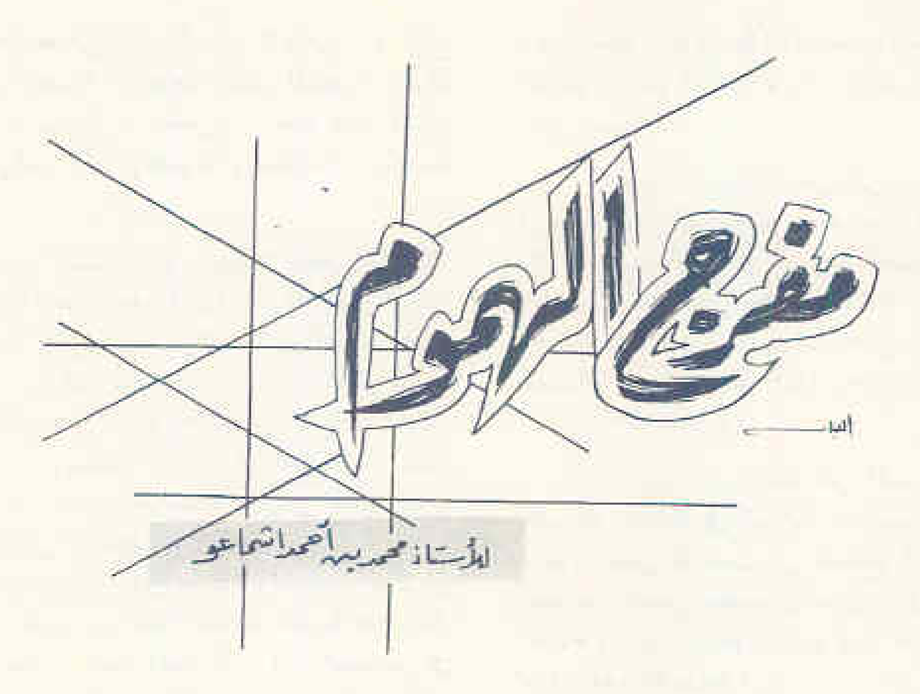
مسعار : (فى لهجـة حازمة) افتحـا الباب ايها الحارسان ، افتحـا !

(يفتح الباب ، ويدخلون ، وتتعالى التكبيـر فى جوانب الدار ، وبعد هنيهة ، يخرجـون ، وقد تأبط كل واحد زوجته وهم يكبرون ..)

الوفدان : (يخرجـان اثنيـن اثنيـن) الله اكبـر ! الله اكبـر ! ....

ستـــــار

الرباط : آمنة اللوه



تفرض الحياة على الانسان ان يعمل ، لكن قلبه او مزاجه يميل به الى التسلي . وهكذا يقضي ساعات في ضمان حاجات الجسد ، ثم ساعات أخرى لقضاء حاجات ومتع الروح والقلب ... كل حسب مزاجه ؛ وكل حسبما يروق له . فالسيد التهامي مثل عامة الناس رجل عامل ، اكسبه عمله متانة في الجسد ، ومرونة في العضلات ، وصفاء في الذهن ، واتزانا في الطبع . فهو من المحترفين الذين استفادوا من حرفتهم رزقا وصحة وفتوة دائمة ، الا ان تسليته ولهوه وحاجات قلبه وروحه ليست كحاجات كثير من المحترفين من ابناء بلدته سلا .

لشد ما يعيب على بعض الناس تلك الهواية المستحوذة على العقول (لعبة الورق) . فهذه اللعبة من وجهة نظره بمثابة ساحر خبيث يملك على اللاعب عقله ورشده، ويحرم البيوت انسها واستقرارها ويحرم الزوجات قرب ازواجهم ، والاطفال رعاية آبائهم المستمرة ، بل هي وسيلة لتعكير المزاج اكثر مما هي وسلية لترويقه والترويح عنه . ثم وبا للفظاعة هواية اولئك الذين يتعاطون الحشيش تدخينا وابتلاعا ، دون ان تلفت انظارهم قواهم الخائرة ووجوههم الذابلة. وايضا اصحاب الهوايات الاخرى ... ... لا ، لا ، عفا الله عن الجميع !

هواية السيد التهامي تملك عليه عقله الا انها هواية رفيعة ...

قبل ان يتعاطى حرفة (خرط الخشب والنقش عليه) قضى اعواما بكتاب (الفقيه النجار) حيث حفظ القرآن في ظرف اثنتي عشرة سنة ! حقا لقد كان ضعيف الحافظة بشكل غريب رغم الجهود التي بذلها . ولولا انه منحرف الصحة يومئذ لما افلت من وثاق (الفلقة) ولا من ضربات قضيب (السفرجل) الدقيق المتين الذي يشبه الحديد في متانته ، ولكن الله سلم .

وتفطن والده عندئذ الى ان ولده ليس بحافظ ، فهو لذلك لا يرجى منه تفوق في مجالس العلم ، ولا يؤمل له ان يلتحق بجامعة القرويين ، ولذلك سلمه الى تعلم الحرفة (الذوقية) : حرفة خرط الخشب والنقش عليه ،على خشب العرعار وخشب الليمون، فهذه الصناعة الرفيعة ، تجعل محترفها يبدع ايما ابداع في تركيب موائد مزخرفة قائمة على ثلاثة أو اربعة ارجل مخروطة باحكام وذوق سليم ، كما يبدع في صناعة الرفوف والصناديق الكبرى والصغرى والخزائن واسرة النوم الفخمة التي تعلوها قباب من الخشب نفسه ... وهذه الاعمال الفنية وامثالها لا يرغب فيها الا ذو الذوق الممتاز والراغبون في حياة مرفهة سعيدة ، وايضا اصحاب الوجاهة الذين يأبون الا المحافظة على المستوى الطيب ، سواء في حياتهم هم ، او حياة افراد اسرهم .

حذق السيد التهامي المهنة في ظرف قصير لم يتعد بضع سنوات ، وصار بذلك صانعا ماهرا يحظى بتقدير واعجاب وتنويه المعلمين الماهرين ، الذين كانت

تكفيهم نظرة خاطفة الى انتاج السيد التهامي ، او انتاج غيره ، ليحكموا بجودة او تفاهة العمل المنجز ، وبذلك يمنحون ثقتهم باستمرار ، ويفخرون بوجود هذا الصانع او ذاك في صفوفهم ، او يرفضونه ويسلقونه بالسنة حداد .

ولما تروح الشمس الى مغربها ينفض المعلم التهامي يده من العمل وهو اشوق ما يكون الى الاستمرار فيه ، ولكن وقت ممارسة الهواية الرفيعة يكون قد حل . وبذلك يبادر الى المسجد الاعظم من حيث يجدد وضوءه في النافورة العظمى التي تتوسط الصحن الغربي ، ويستند الى الجدار قليلا ليعب من النسمات الطيبة ، الواصلة رأسا من البحر المحيط ، ثم يدخل بعد ذلك الى المسجد مع الداخلين . انه لا يعرف من اسس ، ومن وسع ، ومن جدد ، ولكنه يدرك ان رجالا عظاما هم الذين بنوا هذا المسجد عظيما هكذا ، وما جعلوه متسعا الى هذا الحد الا لوفرة المتعبدين في زمنهم . ان المسجد الفسيح الارجاء العامر بالجلال والمهابة ، والذي مرت على منبره الكبير ومنابره الصغرى مئات الخطباء والوعاظ والمحدثين يمتلىء هذه الايام بعناصر من الشباب الوطني التي اتخذت من المسجد معقلا حصينا للدفاع عن الديانة الاسلامية وبالطبع عن اهلها وارضها ، خصوصا وقد قدروا ان قوة المستعمر تتلاشى امام صلابة العقيدة الاسلامية الخالدة الصامدة .

كان الشباب الوطني يتوافد على المسجد قبيل المغرب ، وفور اداء الصلاة كانوا ينتظمون في صفين امام المحراب احدهما على اليمين والآخر على اليسار ويشرع في قراءة (الحزب) اليومي ، لكن مع ترتيل جميل ، ونغمة مقتبسة من نوبات الامداح النبوية والطرب الاندلسي ، وتتصاعد اصوات الشبان الجهيرة واصوات الفتيان والصبيان الرقيقة في تناسق يبعث على الخشوع وتندى له اكثر المآقي جفافا ، فتتغذى الارواح ، ترتوي الاذواق بدرجة بعيدة عن تدقيق الوصف .

في الواقع لم يكن السيد التهامي ينسلك في اي صف من الصفين ، وانما يلزم احدى الاساطين القريبة من التجمع ، ويتناول مصحفه الخاص ويروح مساهما في التلاوة ، في الترتيل بل في الترنم الجميل ، الذي يستغرق ما بين الساعة والساعة الا ربع ، ولكنها فترة رغم امتدادها تمر وكأنها لحظات قصار من تلك اللحظات التي يجود بها الزمان ، بين الحين والحين ، وهي بحمد الله في هذا المسجد ، ومع هذا الكتاب الطاهر ، ومع هؤلاء الشبان الوطنيين تتجدد كل يوم كل مساء .

وينقلب السيد التهامي الى بيته ليتعشى وليبش في وجه أهله واولاده ثم يعود لهوايته الممتعة ، يعود يتلو ويترنم ، وهو ذو الصوت الجميل ، تحت سمع وبصر زوجته التي تجلس محاذية له ، مستمعة بجوارحها وقلبها غير متضايقة من الدموع التي في عينيها ، حتى الاطفال كانوا ينامون على ترنمات ابيهم القارىء الخاشع .

بالمناسبة كان يلفت نظر السيد التهامي وهو بالمسجد يشارك في القراءة ان الشبان الذين يعرفون بوجود بعض المتجسسين لصالح الادارة الفرنسية الحاكمة والذين يجلسون متوارين في بعض الاركان المعتمة ، كانوا يرفعون اصواتهم اكثر ليسمعوهم من امثال هذه الآيات :

« ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا »

او « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ، تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول واياكم ... »

او « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين »

او « ... ولله العزة ولرسوله وللمومنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون » ... ...

ويلتفت السيد التهامي الى تلك الجهات المعتمة فيلمح أن هؤلاء المتجسسين الانذال ياخذون في التسلل هاربين ، خوفا من أن تشير اليهم الاصابع (أنتم الذين نعنيهم ، واليكم اشاراتنا) !

ان المعلم التهامي لم يشارك قط في الاجتماعات والحلقات الوطنية ، ولكنه تفهم بعض المباديء الوطنية من خلال تردده اليومي على المسجد ومن خلال تتبعه الاعمال وتصرفات الشبان الوطنيين ... ولكم كان يحس بالانقباض والاستياء لما يعلم بطريق مباشرة او غير مباشرة ان لفيفا من الشبان الوطنيين قد القي عليهم القبض واودعوا السجن . وعندئذ يمعن في تلاوة القرآن طرفا من الليل اكثر من المعتاد ، بل يستيقظ قبل الصبح ويقبل على القراءة تضرعا الى الله في ان

يطلق سراح الوطنيين ، حتى يعود الى المسجد ازدهاره الكبير عند تلاوة القرآن ، ويزيد الحاحـا على الرب الكريم بأن يطلب من زوجته الطيبة واولاده الصغار ان يرفعوا بدورهم اكف الضراعة الى الله ، ولا يسعهم الا ان يفعلوا بقلوب عامرة بالثقة والايمان ... ويستمـر ذلك الى ان يستجيب الله للادعية الصادقة ويطلق سراح الوطنيين ويتحقق الرجاء ...

وذات مساء خطير ، لم يجد المعلم التهامي مجالا للذهاب الى المسجد فقد كانت حالة الطوارىء معلنة ، ونظام منع التجول مفروض ، فحتى المساجد ، بيوت الله ، مغلقة يسودها ظلام دامس وسكون شامل ، ولو ان الليلة ليلة عيد من اكبر اعياد الاسلام . لقد اختار الاستعمار هذه الليلة بالذات ليبث الكثير من لواعـج الحزن العميق في نفوس المسلمين ، وان الاحزان التـي فاتت السيد التهامي فيما سبق من الاحداث الوطنية جاءت اليوم كصخرة ضخمة عاتية ونزلت بكامل ثقلها على قلبه لتسحقه وتمحقه سحقا ومحقا شديدين .

تسلل من السطح الى منزل جاره السيد الحسن الفيلالي لينصت الى (صوت العرب) ، يا اسفاه انـه لايملك جهاز راديو حتى اليوم ! ! وبدات الموسيقـى الحماسية (امجاد ياعرب امجاد ...) وتلاها صـوت المذيع مجلجلا جهوريا متدفقا متحمسا لينشـر علـى الدنيا : دنيا العرب ، دنيا المسلمين ، دنيـا الاحـرار خبر نقل الملك الجليل محمد الخامس مع نجليه الاميرين الكريمين الى المنفى البعيد ...

بكى السيد التهامي تأثرا واخـذ يردد مـرارا « وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا ان لله وان اليه راجعون » بينما اشتد التوتر بالسيـد الحسن الفيلالي واخذ يتوعد (والله لن تمر عليكـم بسلام) اما زوجة الفيلالي في فناء الدار فهي تفرغ في الفضاء العالي المشوب بقليل من نور القمر قذائف مـن الشتائم واللعنات في حق الجنرال (كيوم) وانصـاره من الخونة والمتجبرين ، لم تتعب ولم يتوقف لسانهـا لكأنها تتلو من ورقة واضحة الخطوط عامرة السطور ، وتجاوب معها ابناؤها الصغار وبناتها فملأوا الجـو صراخا ، وانى لهم بمن يأخذ بخاطرهم !

ضاقت الدنيا من حول الجميع ، وهنا اسعـف الموقف السيد التهامي بأن دعا جاره ومن معه بالتبعية للانصات الى مفرج الهموم : كتاب الله عز وجـل . وافتتح التلاوة بسورة (سيدنا يوسف) ولكأنه وضع مسكنا لطيفا على القلوب ، لقد فهموا ضمنيا ومن خلال التمعن البسيط ان نبي الله يوسف سبق ان غدر بـه، وبيع بيع العبيد ، وفتن في عرضه ، وادخل السجـن، ولكنه خرج من هذه المحن كلها منتصرا مظفـرا ... وتلك عاقبة الصابرين الاوفياء جميعا ...

اخذت عائلة الحسن الفيلالي بيد السيد التهامـي تقبلها تبركا واعترافا بالجميل ، جميل بعث الامل في نفوسهم . فلم يبق عليه اذن الا ان يبادر وينقلب الـى اهله ليقوم بنفس الدور ، ولكنه وجد الزوجة قد نامت وصدرها مشحون غيظا ، كما نام الاطفال ايضا وقـد جفت على شفاههم الرقيقـة ابتسامة العيد غيـر السعيـد ..

سـلا محمد احمد اشماعو



كان السيد عمر الاشهب رئيس تحرير جريدة « الزمان » الليبية أحد الصحفيين الذين استدعوا لحضور حفلات مرور اربعةعشر قرنا على بدء نزول القرآن الكريم في شهر رمضان المبارك ، وقد نشر سيادته في جريدته المقال التالي :

« احتفالات المغرب بمرور 1400 سنة على نزول القرآن »

« ملك المغرب يلقي خطابا هاما بالمناسبة »

وقد احببنا ان ندرج هذا المقال في هذا العدد الخاص بمناسبة عيد العرش .

كان جلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب قد قام خلال شهر رمضان المبارك بمبادرة اسلامية رفيعة عند احتفاء بلاده بمرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان الكريم لتكون هذه المبادرة الرفيعة انجع السبل الى تعزيز لقاءات اسلامية يتعزز فيها الخلق الاسلامي باعتزازه للقرءان العظيم وتتزود فيها الشعوب الناطقة بالضاد بعملة خلقية رفيعة لا تدانيها اية عملة في العالم عندما كان المسلمون يتعاملون في الماضي هذه المعاملة التي جعلت منهم خير امة اخرجت للناس ومكنتهم من ان يكونوا اعظم مثل انتصر به العدل وسما به السلم في العالم حتى جاءت عهود الانحطاط والتخلف الذي منى به العالم الاسلامي زمنا طويلا .

ولقاء هذا التجديد الذي قام به المغرب من مبادرة اسلامية لها اثرها وجه جلالة الملك الحسن الثاني الدعوة الى اكثر من خمسمائة شخصية اسلامية بين كاتب ومفكر محدث ومحاضر ومؤلف وباحث للمساهمة في هذا الاحتفال التاريخي حضروا كلهم من ماليزيا وايران وافغانستان وتركيا وباكستان والهند والعربية السعودية والكويت والعراق ومصر والاردن ولبنان وليبيا وتونس ، ومن داكار وساحل العاج وسيراليون والنيجر ونيجيريا والتشاد والسودان . ولم نشاهد في هذا المجمع احدا من الجزائر ولا من سوريا ، ولم يجرني الفضول للتساؤل عن عدم حضور ممثلين عن القطرين الشقيقين .

وقد نزلت هذه الوفود كلها على ضيافة جلالة الحسن الثاني ، وقد ترأس جلالته هذا الاحتفال بليلة القدر المباركة فصلى مع المدعوين ومع كبار الشخصيات المغربية صلاة العشاء في جامع القصر الملكي الذي يحكي مسجده عهود الاسلام المتتابعة فيه منذ عهد المرابطين الى عهد الاسرة العلوية .

وبعد صلاة العشاء توجه المحتفلون بهذه المناسبة العظيمة الى جامع اهل فاس وهو من المساجد الاسلامية التي تعتبر مفخرة للفن الاسلامي العريق والجهد الاسلامي الاصيل ، وجامع اهل فاس يبعد عن القصر الملكي حوالي نصف كيلو متر حيث افتتح الملك في صحنه الاحتفال المعني بخطاب بليغ ارتجله

جلالته وربط فيه احداث العالم الاسلامي منذ عهد الدولة الاسلامية الكبرى ومراحل الفتح الاسلامي الرفيع وانبعاث الحضارة الاسلامية ومقومات السلم التي حافظ عليها المسلمون طوال حكمهم الاصيل فى جو سادت فيه الحرية والمحبة والاخاء كل من وقع فى دائرة حكمهم سواء من كان منهم مسلما او نصرانيا او يهوديا حتى ظل العهد الاسلامي مثالا للعدل والمساواة والاخاء وعنوانا للسلم والتسامح .

وقال جلالته ان العرب والمسلمين وهم فى غمرة هذه اليقظة العظيمة اصيبوا بحروب صليبية ونكسات ومؤامرات كثيرة ، ولكنهم كانوا فى خلالها ادعى الى التسامح واقرب الى الوئام من اى شيء آخر حتى منوا بعهود التخلف والانحطاط ، كما منوا بالغزو الاستعماري الذي شتت مجتمعاتهم وقضى على كياناتهم ، وفرق جموعهم ، واتى على وحدتهم ، فاكل كل جهد ، وطمس العلم والمعالم ، وقسم المغانم ، وجعل بين الامة الواحدة اكثر من حد من الحدود المحدودة ، والاماكن الملوثة حتى يتسنى له البقاء على انقاض هذا التراث الذي خسرناه بعد ان شيدناه وبنيناه . واسترسل جلالته وهو يتحدث بصوت فيه نبرات من الاحساس بالمسؤولية والالم بواقع الاحداث المتتابعة يقول : ومع تراكم هذه المتاعب كلها لم يفقد العرب والمسلمون املهم فى استرداد مقوماتهم وبناء كياناتهم حيث قام نفر هنا وهناك يدعون الناس الى الجهاد والنضال والخروج من عتمة التخلف عندما غزت اوربا عالمنا الاسلامي بالآلة والمدافع وقد اثمرت هذه الدعوة منذ مطلع القرن التاسع عشر واتت اكلها فى كثير من الاوطان بعد جهد جهيد ، وبعد نضال مرير من المد والجزر الا ان الكيل فيه قد طفح بفضل اليقظة التي بدأت تغمر من جديد ارجاء عالمنا الاسلامي .

ولكن اسمحوا لي ايها السادة ان اقول لكم ان هذه اليقظة التي انطلقنا على ضوئها نترسم طريق الخلاص ونترسم على هديها طرق النجاح والصلاح لم تكن لها اية فائدة تذكر اذا لم يكن شعارنا وعملنا في جميع مراحلها نستمده من ثمرة القرءان العظيم الذي بدونه لا نستطيع ان نبني اية نهضة ولا نتمكن بدونه ان نثبت اية عقيدة امام هذه التيارات الجارفة التي بدات تغزو عالمنا بشعارات من الانحلال والالحاد ، الا اذا تمسكنا بمنهج القرءان العظيم ، وجعلنا منه خير مادة ، واحسن عملة ، واعظم وسيلة ، لها من الانفاق والمنهج والغاية والهدف ، ما يناسب اى تطور فى الدنيا ويصاحب اية نهضة في العالم . .

وقال الملك : ولقد درست بنفسي كثيرا من البحوث التي الفها المستشرقون عن القرءان واجمعوا فيها كلهم على انه اعظم مادة روحية ومعنوية تساير مقتضيات التطور وتنسق معالم الحضارة الانسانية فى كل زمان ومكان . وقال جلالته اننا خلال المراحل الماضية حضرنا عدة مؤتمرات سياسية واجتماعية على مختلف مستوياتها ، وكانت جميع القرارات التي تؤخذ فيها لا تعدو مع ـ الاسف ـ ان تكون كلها قرارات نظرية لا يوجد فيها اى اثر للتطبيق ، ولو كنا خلال هذه الاجتماعات وما سواها عملنا على مستوى تدعيم نهضتنا الزمنية وطرائق معيشتنا وتقدمنا وارتباطنا ببعضنا على نحو من التقيد والالتزام بحدود تشريعات القرءان لكنا قد اوجدنا فى نفوسنا وحدة متحدة ، لها مفهومها فى مجال الوحدة الكاملة ، ولكنا بهذه الوحدة وذلك التقيد اكبر قوة ، لها مناعتها في هذا العالم الذي لا يعرف اى منطق سوى منطق القوة.

ونحن اذ نحتفل بهذه المناسبة التي نرجوا الا يكون امرها مقتصرا فى المدة المقبلة على بلادنا وحدها بل نريد من العالم الاسلامي كله ان يترسم من هذا الاحتفال ضرورة التقيد والالتزام بمناهج القرءان الكريم وتشريعاته الرفيعة فى علاقات الفرد بالمجتمع والمجتمع بالدولة حتى تكون الغاية قد اثمرت الى ما يهدف اليه المسلمون من تعزيز مجتمعهم وتدعيم مراكزهم . نقول ان احتفالنا هذا لم يكن المراد منه حماية القرءان لان الله هو الذي حفظه ومكنه لقوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ولكننا فى مثل هذه المناسبة وغيرها قد نستفيد منه بما يبعث الطمانينة فى نفوسنا ويزيل الاحقاد من قلوبنا .

هذا وقد اختصرنا بعض الجمل التي وردت فى خطاب الملك لانه كان ضافيا ومسهبا ومتسلسلا وكانه يقرا احداث التاريخ من خلال اربعة عشر قرنا من لوحة مكتوبة امامه ، وقد يذهل المرء عند ما يعرف ان هذا الاستهلال كله انما كان بطريقة الخطيب المرتجل على نحو من البلاغة الفائقة ، والكيانة الرصينة ، والتعبير السليم ، والمعاني الرفيعة ، مستشهدا بالاحاديث والآيات الشريفة ، تنطلق من فيه انطلاق الماء من بين الاصابع ، من غير تلعثم او تفكير ، ثم ختم الملك خطابه بالدعاء بان ينقذ الله العالم الاسلامي وان يعيد الى شعوبه وقادته طريق الصواب ، مرددا في تأثر قوله : « اللهم اني اعوذ بك من نعمة يتلوها بطر

ومن جاه أو حكم يتخلله بهتان او ظلم او كفر » .

وبعد انتهاء الملك من افتتاح هذه الحفلة الكبيرة التي شهدها اكثر من ثلاثة آلاف من مختلف الطبقات الوطنية والمدعوين تقدم من جلالتـه شيـخ جامعـة القرويين والقى كلمة بليغة شكر فيها جلالته عن هذه البادرة العظيمة ، ودعا له بالتوفيق ، ثم اذن الملـك المدعوين للتعرف والسلام عليه .

وقد قام وزير الاوقاف والشؤون الاسلاميـــة بتقديم الضيوف الى جلالته مبتدئا بالحروف الابجدية لكل دولة من الدول ، وجاء اسم ليبيا فتقدمت للسلام على جلالته . وقد كانت منه لفتة كريمة عندما شـد على يدي بحرارة لحظات طويلة توقفت خلالها المقابلات وهو يسالني عن صحة حضرة مولانا الملـك المفـدى بمزيد من الحب والتقدير .. فقال جلالتـه بالحـرف الواحد : « كيف صحة مولانا الملك ادريس ، ان شاء الله يكون طيب وبخير ، أرجوكم تبليغـه تحياتـي ، وتحيات الشعب المغربي ، اننا نتمنى لشعبنا الشقيق كل خير وسعادة فى ظل مليكه العظيـم » . ثـم اذن لغيري بالمقابلة وقد استرعت هذه اللفتة السامية نظر جميع الصحفيين والمدعوين وكبار رجال المغاربة حيث اخذ كل منهم بدوره يسالني سؤالا خاصا ، وانتهـى الاحتفال فى جو اسلامي رفيع .

ثم استمرت الاحتفالات بقية ايام رمضان المبارك فى جامعة محمد الخامس والمسرح الوطني وفى المساجد بالقاء مناظرات ومحاضرات دينية وتاريخية واجتماعية وسياسية واقتصادية ، ولا اكتم سرا اذا ما قلت ان كيل شيوخ المغاربة فى العلم والفقه والتاريخ قد طفح على كيل شيوخ المشارقة الذين كان بعضهم يتلعثـم والبعض الاخر يردد نفس المعنى عدة مرات فى اقل من ثانية ، ولعمري ان هذا الترديد هو نفس الافتقار الى جوهر المادة ، ولقد ايدني فى هـذه المقارنة منـدوب السودان عندما استمعنا الى محاضرة دينية القاهـا العلامة الشيخ عبد السـلام الفاسي شيـخ جامعـة القرويين ، وقد امتلات ردهات وكليات جامعة محمد الخامس من المواطنين لسماعها ، وقد كانت محاضرة فريدة من نوعها ، والحقيقة التي لا غبار عليها ، هي ان فى المغرب العربي ذخيرة صافية متجانسة فى الكتـب وفى المتحدثين عنها وفى العلماء العاملين من اجلها ، هذه الذخيرة هي مفخرة للعالم الاسلامي كله .

واذا كان المغرب العربي يعتبر ذخيرة العالـم الاسلامي للتراث الذي حافظ عليه والذي لا يوجـد مثله فى اية عاصمة اخرى فان جامعة القرويين تعتبر تاج هذه الذخيرة ومعدنها الاصيل .

طريقـة الاحتفـاء بعيد الفطـر

ويحتفل شعب المغرب العربي بحلول عيد الفطر احتفالا اسلاميا عظيما ويذهب المصلون صلاة العيد جماعات غفيرة الى الميادين العديـدة والساحـات الفسيحة فيصلون العيد فى العراء بالطريقة التي كانت متبعة زمن الصحابة .

الصـلاة فى مسجـد الملـــك

وعلى بعد كيلو متر وفى منطقة فسيحة الارجاء يصلي الملك وكبار المدعوين من رجال الدولة والسلك السياسي ورجال العلم والقضاء والادارة وكبار ضباط القوات المسلحة وغيرهم من وجهاء البلاد واعيانهــا صلاة العيد حيث يتسابق المدعوون كلهم لاخذ اماكنهم فى المسجد الذي هو عبارة عن حائط كبير من الخيام المربعة ، وعند الساعة التاسعة يأتي الملك ممتطيــا صهوة جواده مع سرية من حاشيته ، وقد لبس الملك برنسا ابيض تعلو رأسه عمامة بيضاء وبيده سبحـة صغيرة ، وقد تسير السرية بيـن صفيـن من خيـول الحرس الملكي المرتدي افراده زيا مغربيا مختلفا عن بعضه ، لان كل سرية من هذه السرايا تشكل عهدا من العهود الملكية التي حكمت المغرب من عهد الادارسـة وهم اول من اسس دولة المغرب العربي الى عهد الدولة العلوية الحالية .

وقد يسهل على الناظر وكانه ينظر لاول وهلة الى هذه السرايا والنماذج المختلفة عهود الاسلام من عهد الدولة العباسية الى يوم الناس ، هذا فى بساطة مؤثرة للغايـــة .

ويترجل الملك من صهوة جواده فياخذ مكانـه فى المسجد وتقام الصلاة ثم يعود الموكب الكبير على طبيعته الى القصر ويبدأ الملك فى استقبال اولاده ثم أولاد شقيقه الامير عبد الله ، ثم بقية الذين صلوا معه صلاة العيد ، وهكذا يستمر الاستقبال حتى منتصف النهار والحراس يقدمون للزوار التمر واللبن ، وهذا هو الشيء المفضل فى القصر الملكي طوال ايام العيد .

وفى اليوم الثاني اختتم الملك الاحتفالات حيث قدم للعلماء وسام الكفاءة الفكرية ، وقدم للذين حازوا اوسمة ملكية سابقة مصاحف قرءانية مكتوبة بمـــاء الذهب ، وتمنى للجميع كل خير وتقدم .

والمغرب العربي الـذي يحافـظ على تقاليـده وطرائقه الخاصـة فى الحيـاة والاعتـزاز بمقوماتـه التاريخية يستحق كل تقدير واحترام .

لمحة موجزة عن تاريخ المغرب

اذا ما تحدث اى متحدث عن طبيعة اى بلـد ومدى مكانته فى التاريخ والمجتمع عبر العصور السحيقة فمن الطبيعي ان يكون الحديث عن المغرب العربي الذي كانت الانطلاقة الاسلامية على نهاية شواطئـه تعتبـر حدثا هاما فى تاريخ بناء الامبراطورية الاسلامية فان التحدث عن هذا القطر الشقيق يستحق كل عنايـة واهتمام ، وليس من السهل ان يجد الانسان متسعـا من الوقت لاستيعاب كل ما يكتب فى مكان محدود على صفحات مثل هذه الجريدة حتى يوفي الواصف وصفه وانطباعاته الا اننا نستطيع فى ايجاز ان نقول ان المغرب بطبيعته الراهنة هو البلد العربي الوحيد الذي استطاع الحفاظ على جمال هذه الطبيعة وعلى مقوماته التاريخية وتراثه الرفيع من غير ان تطمسه الاحداث من خلال القرون العديدة التي مرت به وهو اقدم دولة فى تاريخ الدول العربية .

وقد نشات الملكية فيه على التوالي منذ عهـد الادارسة حتى يوم الناس ، هذا فى نظام متناسق .

ولقد شهد عهد الموحدين والمرابطين فيه ازدهارا امتدت اثاره الى نجدة حكومات الاندلس ابان انهيارها وتقلص نفوذها .

وفى عهد الدولة العلوية شهد المغرب فى مدة حكم الحسن الاول ازدهارا وتفتحا على العالم كله .. ودار الاثار المغربية حافلة بالوثائق التي تعبر عن احتـرام كبريات الدول الاوربية لدولة المغرب واللجوء اليها في اكثر من وساطة وصور من الرسائل التي ارسلها جورج واشنطن وابراهـام لنكولن الى ملك المغـرب لايجـاد وساطة بين الولايات المتحدة وحكومات اخـرى عـن طريق المغرب هي ضمن الوثائق التاريخية العديدة ولو لم يتعرض المغرب عام 1912 للانتداب الفرنسي عندما قسمت دول اوربا رقعة العالم العربي لاصبـح مـن السهل ان يقال عنه انه البلد الوحيد الذي لم تجتحه ابة جيوش غازية وبالرغم مما استهدف له المغرب من احتلال وانتداب فان رجالاته وزعمائه كان همهم الاول هو الحفاظ على هذه المقومات الاصيلة .

فاذا ما لاحظ الزائر طبيعة البلاد الجغرافية من حيث سحرها وجمالها مضافا الى هذا كله ما ادخل على القطر الشقيق من وسائـل العمـران والتخطيـط والتنسيق فقد يصح القول بانه اجمل بلد فى العالم العربي لنضارته وجماله ورقة اهله ، ومقياس الذوق الجميل عندهم فى كل شيء من اشياء الحيـاة حتـى اصبح الذوق فى تنسيق القريـة والمدينـة والمزرعـة والطرقات يتسم بجاذبية اخاذة ومنسقة .

وقد انطلقت بنا السيارة من مدينة وجدة وهي تجتاز شبكة عديدة من الطرق الحديثة عبر الاوديـة والسهول والجبال الى مدينة الرباط فى مسافة قدرها ستمائة كيلو مترا كلها واحة خضراء ، وكأنها حديقة منسقة بصنع بديع .

اما جمال المدن الرئيسية التي لا حد لها ، مثل تطوان ، طنجة ، فاس ، مكناس ، مراكش ، الرباط . والدار البيضاء وغيرها من المدن الكبيـرة ، فهـي تعبر عن رسوخ حضارة اصيلة تتسم بطابع اندلسي وذوق مغربي علاوة على الفن الاوربي فى ذوق منسق برزت فيه حضارة الشرق من غير ان تطمسها حضارة الغرب ، كما هو الحال فى البلاد العربية الاخرى .

ويتمسك المغاربة بذوقهم هذا فى حياتهم اليومية وفى منازلهم وطباعهم وعاداتهم الكثيرة حتى اصبـح اعتزازهم بهذا الطابع الفريد اشبه بالكبرياء فى كـل شـيء .

والمغرب بطبيعته القطرية جذاب فى كل شيء ، مع الصعوبة التي تلاحظ عليه الى جانب بساطتـه ، ولعل هذا امر راجـع الى الاعتـزاز والثقة بالنفـس وبحضارة البلاد ومناخيها ، وهم يغبطون على هـذه الثقة الكبيرة التي حدت بهم الى ان يجعلوا من وطنهم جنة فيحاء ومرجعا تاريخيا اصيلا .

وكل شيء فى المغرب ينطق عن الاصالة العريقة، فالصناعـة المهنيـة للنحاس والجلـود والاصـواف ومشتقات المعادن الاخرى تعبر عن اصالة هذه النهضة القديمة والنقوش على الجـدران وتخطيـط المنازل والمساجد وصبغها بصبغة الفن الاسلامي الذي نشـا فى بغداد ودمشق ثم انتقل الى الاندلس والمغرب يحكي عبر هذه العصور التي انطمس فيها هذا الفن فى عواصم

المشرق التي اجتاحها المغول والتتار ، وحافظ عليها المغاربة حفاظا اصيلا يحكي عن عظمة المغاربة ومقدرتهم على دفع هذه الحضارة الى الامام دفعا له آثاره فى هذه الوثبة الكبيرة حتى اصبح الاقبال من مختلف سياح اوربا وامريكا على اقتناء صناعة المغرب شيئا له اهميته الكبرى .

ولقد نجحت السياحة فيه خلال السنوات القليلة الماضية نجاحا كبيرا .

ولا يوجد فى العالم العربي بلدا قد يعتمد على نفسه من حيث الاكتفاء الذاتي اكثر من المغرب الذي تكاملت فيه ثروته الصناعية والزراعية والاقتصادية تكاملا يكاد ان يغطي جميع احتياجات شعبه مع ما يفيض من هذه الثروة وتصديرها للخارج .

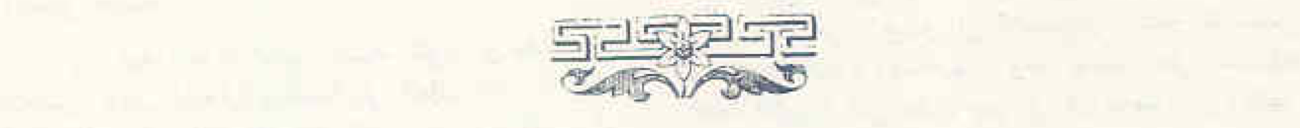
ومع هذا الفائض الكبير من اللحوم والمواد الخام الكثيرة من الفوسفاط وغيرها ، ومن الحبوب والخضروات والفواكه التي تغطي احتياجات اكثر من بلد اوربي فى اوربا الغربية ، مثال فرنسا وبلجيكا والمانيا واسبانيا ، فان عددا كبيرا من المغاربة ما زالوا يناضلون لتحسين اوضاعهم ، ولا توجد فى المغرب بطالة بقدر ما يوجد بين سكانه احتياجات نقص في الدخل القومي عند عدد كبير من الفئات الوطنية .

ولكن المغاربة دابوا على العمل وزاحموا العامل الاوربي فى مصنعه وعرفوا كيف يسيرون حياتهم على مستوى من الرخاء . ومعيشة الفرد العادي فيه على مستوى يفوق احسن المستويات فى البلاد الاخرى .

والملك الذي يتعهد تحسين هذه الاوضاع وقد تبناها بنفسه ما برح يبذل قصارى جهده عاملا ودؤبا على تذليل جميع المشاكل التي تواجه بلاده بهمة متتابعة وبنظرة ثاقبة حتى تحطمت على ارادته اكثر المتاعب ، وهو ما زال يردد القول بين لحظة واخرى ان الواجب يحتم علينا بناء المغرب الحديث بناء متكاملا فى كل شيء حتى يستطيع الوطن مجابهة جميع الاحــــداث .

وشعب له مثل هذا التاريخ العريض والطموح الكبير لابد له ان يتبوأ منزلة رفيعة بين الامم والشعوب على النحو الذي اطل به المغرب على العالم وهو يشيد هذه النهضة الكبيرة .

ليبيا : عمر الاشهب



ما حققه المغرب

في عهد الحسن الثاني من منجزات في مجال الإسلاميات

للأستاذ محمد عبد الواحد بناني

لقد كان الاسلام هو غذاؤنا الروحي في سنوات الكفاح الطويلة ، ولولاه ما صمدنا في وجه الاستعمار.. وهذا الدرس قد تلقيناه عملا لا قولا ، فلا حياة ولا مستقبل لنا الا بالاسلام . وان انتصارنا على الاستعمار كان انتصارا للقرآن على خصومه ، ولولا هذا الكتاب الذي جمع قلوب مواطنينا على اختلاف عناصرهم وقومياتهم لانتهت أمة المغرب والشمال الافريقي من زمن طويل ، ولاصبحت هذه الديار قطعة أوربية حقيقة لا مجازا .

حقا : لقد كان القرآن رائدنا في معركة التحرر ، وسيظل كذلك بالنسبة لنا في معركة الوحدة والبناء .

ذلكم بالنص هو ما كان أب المغرب الحديث جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه ، قد صرح به للسيد كامل الشريف نائب الامين العام للمؤتمر الاسلامي بالقدس ، وهو يعبر أصدق تعبير عن المذهب الرسمي للدولة المغربية الا وهو الاسلام الذي منه استمدت الامة المغربية قبل الاستقلال جذوة المقاومة والنضال ، والفدائية والكفاح ، وتستمد في عهد بناء الاستقلال الاسس الحكيمة والقواعد السليمة لهذا البناء ، كي يكون قويا متينا مباركا كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء .

وذلكم ايضا من حيث المبدأ العام ... أما بالنسبة للتطبيق ، ولتحويل هذا المبدأ السامي الى حقيقة معاشة ، وواقع ملموس ، فها هو ذا جلالة محمد الخامس — طيب الله ثراه ، وجعل الفردوس مأواه — يبتدىء أول ما يبتدىء بفلذة كبده ، ولي عهده ، وخليفته من بعده ، جلالة الحسن الثاني ، اطال الله بقاءه ، واعز دوما لواءه ، فيوجه اليه خطابا توجيهيا ، كان مما ورد فيه :

« يا بني : لقد اخترت لك من الاسماء « الحسن » لاربط بين حاضر البلاد وماضيها القريب والبعيد ، وليكون لك في جدك المولى « الحسن » خير اسوة ، واعظم قدوة . فلم تكد تطل على السادسة من عمرك حتى قدمتك للمعلم ليلقنك آيات القرآن ، وليغرس في قلبك الطاهر الفتي حب الدين وعزة العروبة والاسلام. ولما ترعرعت يا بني اخترت بقاءك تحت سماء المغرب ليتم تكوينك الثقافي في بيئة مغربية .. فأعددتك مواطنا مغربيا قبل اعدادك أميرا ، فقد كنت اقص عليك تاريخ بلادك ، ومواقف اجدادك ، كما كنت القنك معنى المواطنة حتى تؤدي ولاية العهد التي انطتها بك ، واحرص على ان تومن بالواجب الوطني والصالح العام .

وكنت ادفعك لتتعمق في فهم معنى قيم الشعب لتخدمه الخدمة الصادقة .. واياك ان تحيد عن صراط الاسلام القويم ، او تتبع غير سبيل المؤمنين ، فانه لا عدة في الشدائد كالايمان ، ولا حيلة في المحافل كالتقوى.

واعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، وتقرب منه بالاعمال الصالحة ذراعا يتقرب منك توفيقه باعا . واجعل القرآن المصباح الذي تستضيء به اذا ادلهمت الدياجي ، واشتبهت عليك السبل ، وليكن لك في

رسول الله وصالحي الخلفاء اسوة حسنة ، اولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده . »

*

« من هذه الوصايا الكريمة ــ يقول جلالة الحسن الثاني ــ استمددت العون ، واستلهمت الرشد ، واستمدت العزم .. واذا كانت البنوة تفرض طاعة الاباء بتنفيذ اوامرهم وهم أحياء ، فهي كذلك تفرض تنفيذ وصاياهم وهم اموات » .

ان احترامنا لمبادىء القرآن ــ يقول جلالته ــ وتشبثنا بتعاليمه ليس بالشيء الغريب ، حيث ان ابانا « محمد الخامس » رحمة الله عليه كان أول ما وضعه في يدنا قلما ، وضعه لا لنخط الاحرف ولا لنرسم الرسوم رغم حداثة سننا ، وانما وضعه في يدنا لاول مرة لنكتب بسم الله الرحمن الرحيم . ولم ندخل المدرسة الابتدائية ولا الثانوية حتى قضينا في الكتاتيب القرآنية ما يزيد على اربع سنوات ، هذا الشيء هو الذي طبعنا به وجبلنا عليه ، وجبل عليه آباؤنا واجدادنا والاجيال التي سبقتنا في هذا البلد ...

وانما لنجد ونجتهد لا لنعيد لهذا الكتاب العزيز مجده والتعامل به ، فالله سبحانه وتعالى قد تكفل بذلك ، فالله خير حافظ للقرآن ، وهو ارحم الراحمين، ولكن جهادنا واجتهادنا هو العمل اليومي على ان يصير كتاب الله عملة خلقية وانسانية وقانونية ، ليتعامل به جميع بني الانسان مسلمين كانوا او عربا . واملنا في الله سبحانه وتعالى أن يحقق رجاءنا وأملنا ، حيث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما اجتمعت امتي على ضلال » ، فاي هدى اهدى واحلى وافضل من هدي القرآن ! واي حق احق من كتاب الله ! فاذن من باب اولى واحرى ان يجتمع المسلمون على كتاب الله .

ويضيف جلالة الحسن الثاني قائلا : « ان الله سبحانه وتعالى قد تعهد لنا وقد ترابط معنا نحن معشر المسلمين في كتابه العزيز حيث قال :

« ان تنصروا الله ينصركم » ونصرة الله تختلف باختلاف الازمنة والاماكن والاجيال والملابسات، ونصرة الله اليوم غيرها بالامس ، وهي ليست نصرة الحرب ولا نصرة السيف ، ولكن هي نصرة الدين الاسلامي بنصرة كتاب الله ، ذلك الاشعاع الذي لا يقف في وجهه مصفحات ولا دبابات ولا طائرات ، والذي من شأنه ان يقهر كل عدو ، وكل قوة مادية او عسكرية كيفما كان نوعها ، وكيفما كانت كثرتها وشوكتها ! .. » .

واذن فقد وقع اجماع المغرب ــ ملكا وشعبا ــ منذ ايام الكفاح الاولى على الاسلام باعتباره دستورا للحكم ، ومبدأ للتشريع ، ومنطلقا للحيوية في جميع مرافق النشاط بالمغرب ، فضلا عن كونه عقيدة مقدسة يعيش بها ولها ، ويضحي بأعز الغوالي تمسكا بها ودفاعا عنها ...

*

وما ان يتولى جلالة الحسن الثاني المعظم عرش المغرب المجيد حتى يكون منذ الوهلة الاولى امتدادا لجلالة والده المنعم :

يقول حفظه الله في اول خطاب وجهه الى الشعب اثر توليه العرش :

... اعلن لك شعبي العزيز انني امسكت معتمدا على الله مقاليد الملك ،وتربعت على عرش اسلافي المنعمين تلبية للارادة الاجماعية التي تمثلت في بيعتك لي ، وتنفيذا لعهد جلالة ملكنا المرحوم ، وارضاء للواجب الوطني المقدس .

وانني اعاهد الله واعاهدكم على ان اضطلع بمسؤولياتي ، واودي واجبي طبق مبادىء الاسلام وقيمه السامية ، وتقاليدنا القومية العريقة ، ومقتضيات مصلحة الوطن العليا . كما اعاهد الله واعاهدكم على ان ادافع عن حوزة الوطن واستقلاله وسيادته ، واحرص على وحدته واعلاء شأنه بين الدول ...

والحق ان تباشير فجر اسلامي صادق بهذا الوطن العريق في الاسلام والعروبة قد بدت واضحة للعيان على يد جلالة الحسن الثاني ، وان بعثا جديدا لتعاليم القرآن الكريم ، وسنة رسول الله العظيم الحكيم ، قد اخذ يشق طريقه نحو القلوب والعقول بفضل قيادة جلالته الحكيمة ومساهمته العظيمة ..

*

واول نصر حققه المغرب في هذا المجال اثناء الاستقلال هو ما نص عليه دستورنا المغربي من ان « الاسلام دين الدولة » وان « الدولة تضمن لكل واحد حرية ممارسة شؤونه الدينية » .

ان الدستور معناه القانون الاساسي للدولة ، اي القانون الذي يحدد شكل الدولة وتكوينها ، ووظائف السلطات الحكومية فيها ، والحقوق الاساسية للمواطنين بها ... ثم ان سائر القوانين الفرعية الاخرى انما تستمد

روحها من روحه ، ومبادئها من مبادئه ، بحيث لو تعارض اي قانون من قوانين الدولة او قرار من قراراتها في اي مجال من مجالات حياتها السياسية او الاقتصادية او الاجتماعية مع الدستور مادة او روحا ، حكم في الحال ببطلان ذلك القانون او القرار ، لتعارضه مع الدستور الذي هو القانون الاساسي للدولة .

وعندما تص دستورنا المغربي على ان « الاسلام دين الدولة » كان معنى ذلك أن الدين الاسلامي هو دين الدولة المغربية ملكا وحكومة وشعبا ، وان الاسلام دين ودولة ، اي عقيدة ونظام ، ومعنى هذا ان سائر مظاهر الحياة في المغرب ، وكل القوانين الفرعية التنظيمية التي تضبط أموره وتسير شؤونه انما يجب ان تستمد روحها ومادتها من الاسلام ، لانه طبقا لنص الدستور بالنسبة للمغرب هو الدين ، وهو الشريعة ، وهو النظام .

وبذلك قطع الدستور المغربي — بفضل المعية جلالة الحسن الثاني وبعد نظره ، وتشبثه بالاسلام وصدق ايمانه — السنة اي من المنحرفين الضالين ، كالداعين الى فصل الدين عن الدولة من العلمانيين اللادينيين ، أو المنادين بمناواة الدين اساسا ومحاربته رسميا من طرف الدولة بدعوى انه افيون الشعوب ومخدر الامم ، كالماركسيين الماديين .. كبرت كلمة تخرج من افواههم ، ان يقولون الا كذبا » .

وجلالة الحسن الثاني وهو المثقف الحصيف خير من يعلم انه لكي تتحول هاتيكم المادة من الدستور المغربي الى حقيقة معاشية تنطق بها كل مظاهر الحياة في المغرب المسلم لابد أولا من تعلية الشعور بالقيم الاسلامية الحقيقية ، وبمثله السامية العملية لدى كل فرد من افراد الشعب حتى يكون على علم ويقين من اهمية دينه العظيم وفعاليته التي لا تسامى في مجالات الحياة جميعها ، فاخذ جلالته يقيم خلال شهر رمضان المعظم سنويا ذلكم المهرجان العظيم بضريح مولاي الحسن الاول قدس الله روحه ، حيث تلقى تحت اشراف جلالته .. وايضا بمشاركته — تلكم الدروس القرآنية الحديثية التي يتلقفها الشعب عن طريق الاذاعة والتلفزة بكل اقبال واحتفال ، لانها تلبى نداء غريزيا فيه نحو الثقافة الاسلامية والتعاليم القرآنية والحديثية فتغذي روحه واحساسه ، وتصقل مشاعره ووجدانه ، وتضيف عنده الى لذتي : الصيام والقيام لذات ، اذ تجعل الشعب كله مستشعرا روحانية الحديث الشريف « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع » فضلا عما يجنيه الشعب بواسطة هاتيكم الدروس من الفوائد التي تعود عليه بالنفع العظيم والخير العميم ...

ومن جهة اخرى فلكي يكون نص الدستور على ان « الاسلام دين الدولة » حقيقة ملموسة في شتى الوان حياتنا المغربية من سياسية واقتصادية واجتماعية وتربوية ونحوها كان من الطبيعي بل من الضروري التفكير في ايجاد اطار عال من ذوي الثقافة الاسلامية الممتازة بجميع فروعها ليقوم بهاتيكم المهمة ، ولذلكم انشا جلالة الحسن الثاني دار الحديث الحسنية ، لتخريج حملة الدبلوم العالي والدكتوراه في العلوم القرآنية والحديثية ، والدراسات الاسلامية العالية ، هذه الدار التي قطعت ثلاث سنوات دراسية من عمرها ، والتي اسست على تقوى من الله ورضوان فهي توتي اكلها كل حين باذن ربها ، حيث اخرجت في السنة الدراسية المنصرمة الفوج الثاني من علمائها ، اولئك الذين سيبرهنون عن جدارة وكفاءة على انهم بعون الله وحسن توفيقه اهل للثقة الملكية الغالية ، ولاداء ما سينيطه بهم جلالته من امانة ويحملهم اياه من مسؤولية ، وانهم سيكونون لهذا الوطن الحبيب على الدوام : نورا يشع ، وهدى يضيء ، وسيفا للحق على الباطل يتلالا مضاء وسناء ، وحجة قائمة دائمة على ان الله حق ، وان الاسلام صدق ، وان العاقبة دوما والى الابد للمتقين .

وتتوالى على وطننا العزيز في ظل الاستقلال نفحات الاسلام القدسية وانواره ، وتتفتح في مرابعه الميمونة ازهاره ، وتعم خيراته وبركاته وثماره ، فهذا جلالة الحسن الثاني يختتم سلسلة دروس شهر رمضان المعظم عام ست وثمانين وثلاثمائة والف بذلكم الدرس القيم والمحاضرة العلمية الممتازة ، التي كان موضوعها شرح الحديث النبوي الشريف : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان » .

تلكم المحاضرة العلمية التي كانت خير مثال نموذجي لما يجب أن يكون عليه المتصدى للدراسات الاسلامية في هذا العصر من ثقافة واسعة متنوعة ، وقدرة على الاستنباط والاستدلال ، وتفتح وانعطاف مع المضامين الحقيقية والمثالية للشريعة الاسلامية في ثوبها الانساني النقي ، فضلا عن قدرته على الاجتهاد المنتج ، وعلى الخلق والابداع طبقا لمقتضيات الحياة

وقوانين التطور ، وفى حدود الاصول السامة للشريعة الاسلامية دونما زيغ او تنطع ، وبكل ايجابيــــة وموضوعية .

وكذلكم كان الدرس الذي القاه جلالة الحسن الثاني فى ختام سلسلة الدروس الدينية يوم رابع عشـــر رمضان المعظم من هذا العام ، والذي كان موضوعــه شرح الحديث النبوي الشريف ، « كم من رجل لــو اقسم على الله لابره » .

وهكذا انطبق على مغربنا العزيز قول الامـــام البوصيري رحمه الله :

واذا سخر الاله اناســـا

لسعيد فانهم سعـــداء

حيث رأينا روح جلالة الحسن الثاني الاسلامية تنعكس وتنشط شتى مرافق الحياة المغربية مـــن حكومية وشعبية :

فهذه وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تصدر بامر من صاحب الجلالة :

— كتاب « الاسلام دين ودولة ونظام » للاستاذ عبد الحي حسن العمراني . وكتاب الاعلام بحدود الاسلام للقاضي عياض بتحقيق الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي، و « اربعون حديثا فى اصطناع المعروف » للمنذري بتحقيق الاستاذ ابن تاويت الطنجي .

— وكتاب : ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ، لمعرفة اعلام مذهب مالك ، للقاضي عياض، حقق الجزء الاول منه الاستاذ ابن تاويت الطنجي ، ويحقق بقية الاجزاء الاستاذ عبد القادر الصحراوي الذي انجز من هذا العمل الهام الجزاين الثاني والثالث ، وهو الان فى مرحلة مقابلة النصوص بالنسبة للجزء الرابع .

— وكتاب التمهيد لما فى الموطا من المعانـــي والاسانيد للامام الحافظ يوسف بن عبد البر الاندلسي، صدر منه للان الجزء الاول بتحقيق الاستاذ مـــولاي مصطفى العلوي مدير دار الحديث الحسنية والاستاذ محمد عبد الكبير البكري الملحق بوزارة الاوقـــاف والشؤون الاسلامية .

— واصدرت (هذه الوزارة ايضا) عددا خاصا من مجلتها « دعوة الحق » بمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ، هذه المجلة التي دخلت فى السنة الحادية عشرة من عمرها المبارك ، والتـــي تتلاقى على صفحاتها سواء من وطننا العزيز او من الشرق العربي والعالم الاسلامي اخلص النيات واكمل المواهب واجمل الاقلام ، غايتها خدمة الثقافة والفكر ، ونشر الدراسات الخاصة بشؤون الاسلام ، وهـــي تعتبر بحق من أقوى والمع المجلات لا فى المغرب وحده بل فى العالم الاسلامي بالنسبة لمثيلاتها فى موضوعها ،

— كما تصدر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية مجلة مبسطة ومشكولة هي مجلة « الارشاد » الشهرية وغايتها التثقيف الشعبي والتوجيه الاسلامي .

وان من يمن الطالع والفال الحسن ان تظهر مع الذكرى العظيمة ، ذكرى مرور أربعة عشر قرنا على ابتداء نزول القرآن مفخرة جديدة لجلالة الحسن الثاني لها وثيق الصلة بها ، بل ربما كانت من اجلها وبوحي منها، الا وهي ظهور اول طبعة من المصحف الحسني الذي قامت باعداده واصداره بأمر من جلالته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فجاء تحفة مغربية رائعة فنية . ولو حاولت تتبع نشاط وزارة الاوقــاف والشـــؤون الاسلاميـــة فى مجـــال الاسلاميـات بجميـــع جزئياتها كالمدارس القرآنية التي تؤسسها — مدرسة سمو ولي العهد سيدي محمد للقراءات السبع بدار زهيرو بطنجة والمدرسة القرآنية بارفود مثلا — بالاضافة الى تأسيس المساجد ونحو ذلك لا تسع بنا المجال ، ولهذا نكتفي من نشاطها بهذا القدر ، نذكره لهـــا ونشكره .

*

وفى ميدان وزارة التربية الوطنية أول ما يلاحظ ان مادة الدين الاسلامي وتفسير القرآن والحديـــث والتاريخ العربي والاسلامي قد اخذت مكانا مرموقا بمدرستنا المغربية خصوصا فى مرحلة التعليم الثانوي بطوريه ، وذلكم فى رأيي من الاهمية بمكان ، لانه هو الذي سيطبع تلامذتنا بطوابع التربية الاسلامية الخلاقة خصوصا وقد توجه صاحب الجلالة الحسن الثانـــي بفرض الحشمة فى اللباس على البنات ، وبجعل الصلاة اجبارية بالمدارس المغربية فى جميع الاوقات .

ولعل شهر رمضان المعظم هذا العام كان مـــن المناسبات الاسلامية النادرة التي يجب ان تسجل على الحدق قبل الورق ، وتكتب بحروف من نور علـــى الصدور قبل السطور ، ففيه احتفل المغرب ملكـــا وحكومة وشعبا بليلة القدر المباركة ، وذكرى مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن الكريم ، وقد حضر الى المغرب بهذه المناسبة وفد يمثل خيرة علماء المسلمين فى العالم باستدعاء من جلالة الملك ، وقد اقيمت بهذه المناسبة احتفالات ومهرجانات ، والقيت

دروس ومحاضرات على مختلف المستويات ، ولقد وجه جلالة الملك من مسجد أهل فاس حيث اقيم الاحتفال رسميا بهذه الذكرى الخالدة خطابا الى جميع المسلمين — قادة وشعوبا — في جميع أنحاء العالم ، تناول فيه النكبة التي حلت بنا أخيرا في فلسطين والاراضي العربية محللا اسبابها ، داعيا الى الاتحاد على كلمة الاسلام التي هي كلمة الله ، للحصول على النصر الذي وعدنا به الله : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون) .

ويمكن تلخيص المكاسب التي حققناها في رمضان هذا العام باختصار في :

1) اجماع الملك والحكومة والشعب على كون الاسلام هو المذهب الرسمي للجميع عقيدة ونظاما ، وانه هو سبيل جميع المسلمين الى الانعتاق مما حل بهم من هوان وخذلان .

2) تولي جلالة الحسن الثاني أمير المؤمنين ، وحامي حمى الملة والدين ، وصاحب السلطتين الدينية والزمنية بوطننا العزيز ، تنظيم دروس الوعظ بالضريح الحسني والدرس الذي ختم جلالته به تلكم السلسلة ، وخطاب جلالته الذي رد به على تهنئة علماء الاسلام بعيد الفطر ، بالاضافة الى نداء جلالته الذي تحدثنا عنه آنفا .. وجلالته في كل ذلكم دعا ويدعو الى العودة الى القرآن الكريم وسنة الرسول الحكيم ، اذ بهما عز المسلمون في الماضي ، ولن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها .

3) قيام « كتابة الدولة في الشبيبة والرياضة » وهي المهيمنة على نشاط الشباب في المغرب بتنظيم سلسلة محاضرات وندوات تحت شعار اسلامي ذي مغزى نبيل ، له اثر بالغ على عقلية شبابنا وتوجيه افكارهم ومشاعرهم ، الا وهو : « التربية الاسلامية » وقد شارك فيها بنشاط ملحوظ السيدات والآنسات أمهات المستقبل ومربيات الجيل الناشيء ، وأقبلن عليها اقبالا منقطع النظير ، يبعث على الامل فيهن وتوسم الخير الكثير .

4) تعقيب السيد وزير التربية الوطنية بواسطة الاذاعة والتلفزة والصحافة وهو المسؤول عن أكبر جهاز تربوي وأخطره في الدولة على تصريحات صاحب الجلالة في موضوع وجوب العودة الى الاسلام ، باعتباره العقيدة والشريعة والنظام ، واستبشاره بها، وتهليله لها ، وتبنيه اياها شكلا ومضمونا مذهبا تربويا رسميا للدولة المغربية الفتية .

وغني عن البيان أن جميع التكتلات والمنظمات الوطنية ذات الفعالية والماضي الوطني والرصيد الشعبي تسير في نفس هذا الاتجاه الطبيعي قبل الاستقلال وبعده ، بحيث يأخذ هذا الاتجاه في المغرب الان شكل الاجماع العام .

وان من الواجب ان ننوه بالدور الايجابي الفعال لكل من الاذاعة والتلفزة في هذا المجال ، فهما لا يكادان يتركان مناسبة من تلكم المناسبات دون أن ينقلاها الى الشعب المغربي ، الامر الذي يجعل النفع أهم ، وأعم، فضلا عما تخصصانه من برامج اسلامية ، كالقرآن والتفسير بكل منهما ، وكبرامج : الدين والحياة ، وفقه السيرة ، والتمثيليات الاسلامية بالاذاعة ، كما أن من الوفاء التنويه بالاستجابة الشعبية ومجهودات رابطة العلماء وخريجي دار الحديث الحسنية وعلمائها ، وجمعية النهضة الاسلامية ومجلتها «الايمان» ، وجمعية المحافظة على القرآن الكريم بفاس ، ونشاط فروع الاذاعة الوطنية بالمغرب ومساهمة السادة العلماء في هذا الميدان بها ، الى غير ذلكم مما لا يمكن حصره او يستوفى ذكره ، خصوصا واننا لا نزال في بداية سنة القرآن ، اذ المؤمل ان يكون النشاط مزدهرا ومتواصلا في هذا الميدان .

ويتوج صاحب الجلالة كل هذه الاعمال الجليلة فيبعث الى موسم الحج هذا العام وفدا هائلا على حساب جلالته الخاص تمثل فيه كل الهيئات والمنظمات، وينتظم جميع مناطق المغرب الكبير بمناطقه المستقلة والتي لا تزال مغتصبة ، وبذلكم يبرهن جلالته من جديد على عطفه الدائم على هذه الامة بجميع مستوياتها ، وسعيه الحثيث الى ما يضمن لها السعادة في دينها ودنياها، ويشعرها بالالتحام والتآخي فيما بينها وبين ملكها ، وذلكم من أجل خدمة هذا الوطن واحلاله المكانة السامية اللائقة به بين الاوطان ، واعلاء شأن الاسلام والبرهنة على أنه أسمى وأشرف الاديان ، وبذلكم تحقق في ملكنا العظيم المؤمن قول الرسول عليه السلام: « يحمل هذا الدين من كل خلف عدو له، ينفون عنه تحريف الضالين ، وانتحال المبطلين ، وتاويل الجاهلين » وقوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

الرباط : محمد عبد الواحد بناني

فهرس العدد الرابع